الجامعــة الإسلامية ــ غــزة

عمــادة الدراســات العــليــا

كــليــة أصـــول الديـــن

قسم التفسير وعلوم الــقرآن

الفســـــــــاد والمفســـــــــدون

دراسة قرآنية موضوعية

إعداد الطالب

ضيائي نعمان السوسي

إشراف فضيلة الدكتور

عبــد الســلام حمــدان اللــوح

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من كلية أصول الدين

العام الجامعي

١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

المائدة(٣٤، ٣٥)

الإهداء

- إلى أرواح الشهداء من أبناء أمتنا الإسلامية عامة، وأرواح شهدائنا على أرض الإسراء والمعراج خاصة، الذين سطروا بدمائهم أروع ملاحم البطولة والفداء، دفاعاً عن شرف الأمة ومقدساتها ...
- إلى الجرحى الذين سالت دماؤهم لتغسل عاراً لحق بالأمة يوم أن تسلط على رقابها أفسد الخلق وحثالة الأمم ...
- إلى الأسرى خلف أقبية السجون، الذين يدفعون ضريبة العزة نيابةً عن أمة فقدت بوصلة الولاء لدينها وعقيدتها، فكانت فتنة الأرض وفساد كبير...
- إلى الجند المجهولة المرابطة على ثغور الوطن، الضاغطة على الزناد، الساهرين على أمن الأهل في فلسطين، المتصدين لأعتى آلة عسكرية...
- إلى شعبنا الفلسطيني البطل الصامد الذي كوي بنار المفسدين، وتضور الجوع والحصار لا لجريمة ارتكبها، أو ذنب فعله، سوى أنه معتصم بالله، مستمسك بدينه ومبادئه...
- إلى روح أبي الطاهرة، الذي كان يحثنا على المطالعة والتحصيل العلمي...
- إلى الوالدة الحنون

- **، التي ما بخلت علينا بالعطف والحنان، والدعاء في السجود والصلوات..**
- **إلى إخوتي الأعزاء، الذين شجعوني للسير قدماً في طريق طلبة العلم وأهله...**
- **إلى الزوجة العزيزة التي ضحت معي حتى أتممت هذا الجهد وهي صابرة محتسبة...**
- **إلى أبنائي الثمانية الذين أخذ هذا البحث جزءاً من خاصة وقتهم، وقد تحملوا الكثير فـــي سبيل إتمامه...**

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع

شكر وعرفان

لا يسعني في بداية هذا البحث إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من أسهم في إنجاح هذا البحث، سواء أكان بمساعدتي في اختيار الموضوع، أم الموافقة عليه، وإسداء النصح والإرشاد، أو تقديم المساعدة والتوجيه، وأخص بالذكر

أستاذي وشيخي فضيلة الدكتور: عبد السلام حمدان اللوح، الذي اختار لي عنوان هذا البحث وشجعني عليه ووقف إلى جانبي بكل همة وعزيمة ومتابعة، كما شجعني علي مواصله البحث دون انقطاع، وقد ساعدني كثيراً في تذليل الصعاب والعقبات التي كانت تواجهني خلال عملي في البحث، فجزاه الله عني خير ما يجزي أستاذاً عن طالبه.

كما وأتقدم بموفور الشكر والعرفان لكل من أستاذيّ الفاضلين:

فضيلة الدكتور مروان محمد عايش أبو راس

وفضيلة الدكتور وليد محمد العمودي

على تفضلهما بالموافقة على مناقشة هذا البحث للوقوف على ما فيه من مزايا أو مثالب بهدف التصويب والتوجيه، والاستفادة من خبرتهم الطويلة وتجربتهم الرائدة في الدراسات والبحث العلمي بما يثري هذا البحث حتى يخرج في أبهى حلله، فجزاهم الله عني خير الجزاء،

كما وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان لجامعتنا الفتية الغراء، صانعة مجد هذا الشعب، رائدة العلم والعلماء، وواحة العلم والعطاء، بكل هيئاتها ومؤسساتها، وعلى وجه التخصيص كلية أصول الدين عميداً وأكاديميين وإداريين، وكذلك عمادة الدراسات العليا، والمكتبة المركزية،على ما يبذلون من جهد مشكور لرعاية طلبة العلم، وتذليل الصعاب أمامهم.

كما أتقدم بالشكر الخاص إلى المربي الفاضل الأخ إبراهيم رضوان على تفضله بمراجعة الرسالة من الناحية الإملائية والنحوية، رغم تأكيده بندرة هذه الأخطاء

فجزى الله الجميع خير الجزاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده القرآن ليكون كتاب هداية وقمعا للفساد .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله الله بالهدى والرشاد، وعلى آله وصحبه الذين كانوا للفساد بالمرصاد .

أما بعد:

فإن الناظر إلى حال الأمة اليوم يرى العجب العجاب من أمة أكرمها الله بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كيف يصل حالها إلى ما وصلت إليه، في أدنى درجات التيه والضياع، حتى غدا الفساد معلما بارزا في كل مرافق الحياة، وشمل الفرد والجماعة، وأصبح الإسلام فينا غريبا كما بدأ .

فإن كان المصلحون جادين في سيرهم، فعليهم بالقرآن، يستنطقون آياته ويلتمسون منه سبيل الخلاص، فهو حبل النجاة، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، وإن أفضل نعم الله علينا بعد الهداية إلى الإسلام هي نعمة العيش مع القرآن، نتدبره في خلوة وصفاء، ونرتشف من معينه العذب الفرات، ونلتمس منه معالم الطريق إلى الفضيلة والسداد .

وانطلاقا من هذه المقدمة، فقد رأى الباحث في التفسير الموضوعي ضالته، ليعالج قضية هامة في حياة المسلمين، ألا وهي ظاهرة الفساد، حيث اهتم القرآن بهذه الظاهرة وتناولها في أكثر من خمسين موضعاً، وقد فصل في ذلك وأجمل

ومن هذا الباب فقد رأى الباحث أن يكون موضوع هذه الرسالة

" **الفساد والمفسدون: دراسة قرآنية موضوعية** "

فأسأل الله تعالى أن يعين على إتمامها وإخراجها بأفضل صورة وأن يجعلها عملا خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعل فيها الخير، والله ولي التوفيق.

سبب اختيار الموضوع .

يمكن إجمال الأسباب الدافعة لاختيار الموضوع في النقاط التالية: -

١- كثرة الحديث عن الفساد والمفسدين في هذا الزمان، واختلال الموازين في تحديد مدلول لمصطلح الفساد، فأراد الباحث أن يبرز المعيار القرآني لحسم هذا الخلاف .

٢- كثرة الأبحاث المتعلقة في جوانب الخير والصلاح، وندرتها في مجال الشر والفساد، فأراد الباحث أن يسهم ولو بشيء يسير لسد هذا الفراغ .

٣- حديث حذيفة بن اليمان، الذي يقول فيه: " كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني .. "[1] .

٤- الآثار الخطيرة للمفسدين على الحياة البشرية خاصة، والكون بصورة عامة، مما يستدعي تسليط الضوء على هذه الظاهرة الخبيثة، وبيان معالمها لتوقي مخاطرها من خلال القرآن الكريم .

أهداف البحث

ويمكن إيجازها في النقاط التالية: -

١- بيان المنهج القرآني في اجتثاث الفساد والمفسدين، والأخذ بيد الناس ليكونوا عناصر إصلاح ودعاة هداية وخير .

٢- بيان رحمة الله ولطفه بخلقه، حيث أرسل رسله بالهداية، وحرضهم على جهاد المفسدين، وإحياء سنة التدافع .

٣- بيان ضرورة وجود الطائفة المؤمنة، التي تأخذ دورها في التصدي للفساد والمفسدين، ووضع حد لحالة الظلم المستعرة التي أفسدت على الناس حياتهم .

٤- عناية القرآن الكريم بظاهرة الفساد والمفسدين، حيث شغل هذا الموضوع حيزا كبيرا، مما يستدعي الوقوف أمام هذه الظاهرة، ودراستها دراسة علمية موضوعية.

([1]) صحيح البخاري ــ كتاب المناقب ــ باب علامات النبوة في الإسلام ــ حديث رقم ٣٤١١ مج٣ ص١٣١٩

٥- إيجاد نموذجٍ تطبيقيٍ للتفسير الموضوعي يعالج قضايا العصر، مما يرسخ القناعة بأن القرآن الكريم يجب أن يكون حاضرا في علاج كافة قضايا البشرية على مدار الزمن .

٦- محاولة المقارنة بين المناهج الأرضية والمنهج القرآني، لإبراز البعد الإعجازي، وتميز القرآن الكريم في علاج المشاكل الاجتماعية - ما أمكن.

دراسات سابقة

بحثت في اسطوانة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الموجودة في مكتبة الجامعة الإسلامية بغزة، وبحثت في الصفحة الإلكترونية على شبكة المعلومات العالمية للمركز المذكور، كما بحثت أيضا في صفحة الجامعة الأردنية ــ باعتبارها مركز إيداع للرسائل العلمية على مستوى الجامعات العضو في اتحاد الجامعات العربية فلم أعثر على أي رسالة علمية بهذا العنوان، رغم أهمية الموضوع وحاجة الواقع المعاصر إليه.

منهج البحث

سيعتمد الباحث المنهج الوصفي الموضوعي[2] ملتزماً ــ بعون الله تعالى ــ بالنقاط التالية:

١- جمع الآيات القرآنية التي تتناول لفظة الفساد ومشتقاتها، مستخدما لذلك المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

٢- استخراج الألفاظ التي وردت في هذا الموضوع وبيان معانيها، مستعينا في ذلك بكتاب مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، وأمهات المعاجم اللغوية.

([2]) يقوم المنهج الوصفي على "محاولة الوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية لعناصر المشكلة أو الظاهرة القائمة لفهم أفضل وأدق أو وضع الإجراءات المستقبلية الخاصة بهم". انظر: مناهج البحث العلمي ــ أحمد الرفاعي ــ ص١٢٢. فإذا أضيف إليه الموضوعي قصد بذلك وصف الظاهرة قيد الدراسة من خلال اختيار الآيات الآيات الكريمة التي تناولت الظاهرة في كامل السياق القرآني، للمزيد يمكن مراجعة كتاب التفسير الموضوعي للدكتور صلاح الخالدي، مباحث في التفسير الموصوعي للدكتور مصطفى مسلم.

٣- دراسة هذه الآيات دراسة وافيه من خلال أمهات كتب التفسير على اختلاف مناهجها، وتسجيل ما ورد فيها من أحاديث نبوية شريفة، وأقوال الصحابة والتابعين، وكبار المفسرين، وذلك لإثراء البحث والخروج بأفضل النتائج والتصورات حول الموضوع .

٤- ملاحظة المكي والمدني في الآيات التي تم جمعها، وأسباب النزول، ومناسبة الآيات والاستفادة من ذلك ما أمكن، دون تكلف أو تعسف .

٥- توزيع الآيات القرآنية التي تم جمعها على فصول البحث ومباحثه ومطالبه ما أمكن .

٦- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب، مستخدما الألفاظ القرآنية ما أمكن .

٧- حصر الدراسة في نطاق القرآن الكريم مع الاستشهاد بالسنة النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وعلماء التفسير، بما يخدم المعنى القرآني إن لزم الأمر، مع تخريج الأحاديث والآثار حسب الأصول المتبعة، ونقل أقوال العلماء في الحكم عليها .

٨- محاولة إظهار تفرد القرآن الكريم واستعلائه في معالجة المشاكل الإنسانية، مقارنة بغيره من المناهج الوضعية .

٩- مراعاة البعد المعاصر للآيات القرآنية، بما يخدم وضع تصور يسهم في خدمة الحياة الإنسانية من خلال القرآن الكريم .

١٠- التوثيق من المراجع والمصادر حسب الأصول .

١١- ترجمة للأعلام غير المشهورين والأماكن الغريبة التي قد ترد في البحث ما أمكن.

١٢- عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث، وتسهل الوصول للمعلومات.

وتحقيقا لهذه الأهداف فقد رأى الباحث أن تكون خطة البحث على النحو التالي:-

خطة البحث:-

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وذلك كما يلي:

المقدمة

تمهيد

ويحتوي على:

أولا: تعريف الفساد لغة واصطلاحا

ثانيا: الفساد في ضوء السياق القرآني

ثالثا: الفساد بين الجاهلية والإسلام

الفصل الأول

أسباب الفساد ومظاهره وآثاره كما يوضحها القرآن الكريم

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: أسباب الفساد

و فيه تسعة أسباب في تسع مسائل:

المسألة الأولى: اتباع الهوى

المسألة الثانية: اعتقاد تعدد الآلهة

المسألة الثالثة: ترك الجهاد في سبيل الله

المسألة الرابعة: ظهور المترفين

المسألة الخامسة: العلو والطغيان

المسألة السادسة: فساد الملوك

المسألة السابعة: طاعة المسرفين

المسألة الثامنة: ترك الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين.

المسألة التاسعة: الفراغ مع وفرة الطعام

المبحث الثاني: مظاهر الفساد وآثاره

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مظاهر الفساد وآثاره على الأفراد

و فيه أربع مسائل :

المسألة الأولى: انحراف السلوك

المسألة الثانية: الندم عند الموت

المسألة الثالثة: عذاب القبر

المسألة الرابعة: سوء المصير يوم القيامة

المطلب الثاني: مظاهر الفساد وآثاره على الأمة

و فيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: سفك الدماء

المسأل الثانية: قطع الأرحام

المسألة الثالثة: انتشار الرذيلة

المسألة الرابعة: فقد الأمن

المسألة الخامسة: الفناء والاستئصال

المطلب الثالث: آثار الفساد الكونية

و فيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: القحط والجفاف

المسألة الثانية: الكوارث والدمار

المسألة الثالثة: اختلال النظام الكوني

الفصل الثاني

أنواع الفساد كما يصورها القرآن الكريم

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فساد النية والقصد

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف النية والقصد لغة واصطلاحاً
المطلب الثاني: صور من فساد النية وأقوال العلماء فيها

المبحث الثاني: فساد العقيدة

وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: فساد الاعتقاد في الإلهيات
المطلب الثاني: فساد الاعتقاد في النبوات
المطلب الثالث: فساد الاعتقاد في الغيبيات

المبحث الثالث: فساد في السلوك والأخلاق

وفيه مطلبان:
المطلب الأول: فساد في المعاملات .
المطلب الثاني: فساد في الشهوات والرغبات .

الفصل الثالث

صفات المفسدين ونماذج مختارة

و فيه مبحثان:

المبحث الأول: صفات المفسدين

المطلب الأول: صفات عدوانية

و فيه خمس صفات :
الصفة الأولى: سفك الدماء
الصفة الثانية: الاعتداء على المال العام
الصفة الثالثة: التطفيف
الصفة الرابعة: ترويع الآمنين وقطع الطريق

الصفة الخامسة: أكل أموال اليتامى ومخالطتهم بنية سيئة

المطلب الثاني: صفات ذات طابع اجتماعي

و فيه أربع صفات :

الصفة الأولى: قطع الأرحام

الصفة الثانية: البغض والحسد

الصفة الثالثة: نقض العهود والمواثيق

الصفة الرابعة: الغدر والخديعة

المطلب الثالث: صفات عامة

و فيه أربع صفات:

الصفة الأولى: الاعتداد بالرأي

الصفة الثانية: التعالى وغمط الحق

الصفة الثالثة: انحراف الأهواء

الصفة الرابعة: الصد عن سبيل الله

المبحث الثاني: نماذج مختارة من المفسدين ومصائرهم

و فيه مطلبان:

المطلب الأول: أفراد اشتهروا بالفساد

و فيه ثلاث نماذج:

النموذج الأول: النمرود بن كنعان

النموذج الثاني: فرعون

النموذج الثالث: قارون

المطلب الثاني: أمم اشتهرت بالفساد

و فيه ثلاثة نماذج:

النموذج الأول: يأجوج ومأجوج

النموذج الثاني: قوم لوط

النموذج الثالث: بنو إسرائيل

الفصل الرابع

منهج القرآن الكريم في إصلاح الفساد.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إصلاح الفساد بالتربية والتوجيه

و فيه مطلبان:

المطلب الأول: إصلاح الفرد والجماعة

و فيه تسع مسائل :

المسألة الأولى: الدعوة للإيمان بالله

المسألة الثانية: رقابة الله وكثرة الذكر

المسألة الثالثة: رجاء اليوم الآخر

المسألة الرابعة: الإحسان وفعل الخيرات

المسألة الخامسة: تطهير النفس وتزكيتها

المسألة السادسة: فتح أبواب التوبة

المسألة السابعة: التعارف والتعاون على الخير

المسألة الثامنة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المسألة التاسعة: إخلاص الولاء لله والبراءة من المشركين

المطلب الثاني: إصلاح الدولة وإقامة العدل

و فيه مسألتان:

المسالة الأولى: إصلاح الدولة

المسألة الثانية: إقامة العدل

المبحث الثاني: إصلاح الفساد بالعقوبة الرادعة

و فيه مطلبان :

المطلب الأول: عقوبة المفسدين في الدنيا

وفيه أربع مسائل

المسألة الأولى: إقامة الحدود

المسألة الثانية: الاستئصال والتدمير

المسألة الثالثة: عذاب الخزي

المسألة الرابعة: سوء الخاتمة

المطلب الثاني: عقوبة المفسدين في الآخرة

و فيه أربع مسائل :

المسألة الأولى: إحباط الأعمال

المسألة الثانية: الطرد والحرمان من رحمة الله

المسألة الثالثة: العذاب الأليم

المسألة الرابعة: مضاعفة العذاب يوم القيامة

الخاتمة

وفيها ملخص الرسالة وأهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات

الفهارس

وهي كما يلي:

١- فهرس الآيات القرآنية

٢- فهرس الأحاديث النبوية

٣- فهرس المصادر والمراجع

٤-فهرس الموضوعات

وفي الختام ترجمة ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

ض

التمهيد

أولا تعريف الفساد لغة واصطلاحاً

١ - الفساد في اللغة:

الفساد: "الفاء والسين والدال كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً وهو فاسد وفسيد"[3]، ويقال: "قوم فَسْدَى كما قالوا ساقِطٌ وسَقْطَى، قال سيبويه جمعوه جمع هَلْكى لتقاربهما في المعنى...، وتَفَاسَدَ القومُ تدابَرُوا وقطعوا الأَرحام...، والمَفْسَدَةُ خلاف المصْلَحة...، والاستفسادُ خلاف الاستصلاح...، وقالوا هذا الأَمر مَفْسَدَةٌ لكذا أَي فيه فساد وفَسَّدَ الشيءَ إِذا أَبَارَه[4]"[5]

وقيل: "فَسَدَ كنَصَرَ ...، ضِدُّ صَلُحَ فهو فاسِدٌ، وفَسيدٌ من فَسْدَى ولم يُسْمَعْ: انْفَسَدَ"[6]، "وقد اخْتَلَفت عباراتُهم في معناه فقيل: فَسَد الشيءُ: بَطَلَ واضْمَحَلّ ويكون بمعنَى تَغَيَّر "[7]

وقيل الفساد: "بمعنى الجدب، قال عز وجل: ﴿ **ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ...**﴾[8]، قيل: الفساد هنا الجَدْب في البرّ والقحط في البحر أَي في المُدُن التي على الأَنهارِ[9]

وقيل: الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة [10]،

([3]) معجم مقاييس اللغة ــ ابن فارس ــ ص٧٤٨

([4]) أبار الشيء إذا أهلكه أو أفسده. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٤ص٨٦

([5]) لسان العرب ــ ابن منظور ــ مج٣ص٣٣٥ -٣٣٦

([6]) القاموس المحيط ــ الفيروزأبادي ــ مج١ص٣٣٥، أنظر: تاج العروس جواهر القاموس مج٢ص٤٥٢

([7]) تاج العروس جواهر القاموس ــ مج٢ ص٤٥٢

([8]) سورة الروم: ٤١

([9]) انظر: معاني القرآن ــ الزجاج ــ ج٤ ص١٨٨

٢ - الفساد اصطلاحاً

قال الطبري: "الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية"[11]

قال أبو حيان: " الفساد: التغير عن حالة الاعتدال والاستقامة"[12]

وقال البيضاوي: "والفساد: خروج الشيء عن الاعتدال "[13].

وقال المنصوري[14]: "الفساد يتناول جميع أنواع الإثم، فمن عمل بغير أمر الله فهو مفسد"[15].

التعريف الاصطلاحي كما يراه الباحث

"هو ما خرج عن حالة الصلاح والاعتدال التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية"

([10]) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ــ الراغب الأصفهاني: ص٦٣٦، انظر: المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم ــ نبيل هارون ــ ص١٥٦

([11]) الطبري ــ الطبري ــ ج١ص٩٧

([12]) البحر المحيط ــ ابو حيان الاندلسي ــ مج١ ص١٩١

([13]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ مج١ ص٢٨

([14])ولد في مدينة حصن بالمنصور عام ١٠٧هـ ، واسمه: مصطفى بن ميمش بن الحسين، صاحب تفسير مقتطف من عيون التفاسير توفي سنة ١٣٩٠هـ ودفن في اسطمبول. انظر: المقتطف من عيون التفاسير ــ مصطفى الحصن المنصوري ــ مقدمة الكتاب (بيد إبراهيم طانير ــ أحد أصدقاء المؤلف).

([15]) المقتطف من عيون التفاسير ــ مصطفى الحصن المنصوري ــ ص٣٩

الفساد في ضوء السياق القرآني

جدول (١) يبين الآيات المكية التي تناول السياق فيها الحديث عن الفساد

الرقم	الشاهد من الآية	المفردة	السورة
١	وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً	تفسدوا	الأعراف:٥٦
٢	... فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	مفسدين	الأعراف:٧٤
٣	..وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا	تفسدوا	الأعراف:٨٥
٤	وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	مفسدين	الأعراف:٨٦
٥	... فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	مفسدين	الأعراف:١٠٣
٦	وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...	يفسدوا	الأعراف:١٢٧
٧	... وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ	مفسدين	الأعراف:١٤٢
٨	وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ	مفسدين	يونس:٤٠
٩	.مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ	مفسدين	يونس:٨١
١٠	آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ	مفسدين	يونس:٩١
١١	... وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	مفسدين	هود:٨٥
١٢	فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ	الفساد	هود:١١٦
١٣	قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ	نفسد	يوسف:٧٣
١٤	... زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ	يفسدون	النحل:٨٨
١٥	وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ...	تفسدن	الاسراء:٤
١٦	قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ...	مفسدون	الكهف:٩٤

١٧	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا	فسدت	الانبياء:٢٢
١٨	وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ	فسدت	المؤمنون:٧١
١٩	الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ	يفسدون	الشعراء:٥٢
٢٠	وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	مفسدين	الشعراء:١٨٣
٢١	... فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ	مفسدين	النمل:١٤
٢٢	قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً	أفسدوا	النمل:٣٤
٢٣	وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ	يفسدون	النمل:٤٨
٢٤	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ	مفسدين	القصص:٤
٢٥	وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ	الفساد	القصص:٧٧
٢٦	تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً.	فسادا	القصص:٨٣
٢٧	قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ	مفسدين	العنكبوت:٣٠
٢٨	..يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	مفسدين	العنكبوت:٣٦
٢٩	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ	الفساد	الروم:٤١
٣٠	أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ	مفسدين	صٓ:٢٨
٣١	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ	الفساد	غافر:٢٦
٣٢	فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ	الفساد	الفجر:١٢

جدول(٢) يبين الآيات المدنية التي تناول السياق فيها الحديث عن الفساد

الرقم	الشاهد من الآية	المفردة	السورة
١	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ	تفسدوا	البقرة:١١
٢	أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ	مفسدون	البقرة:١٢
٣	... وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ...	يفسدون	البقرة:٢٧
٤	قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ	يفسد	البقرة:٣٠
٥	... كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ	مفسدين	البقرة:٦٠
٦	... وإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ	يفسد، الفساد	البقرة:٢٠٥
٧	...وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ...	المفسد	البقرة:٢٢٠
٨	وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ	فسدت	البقرة:٢٥١
٩	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ	مفسدين	آل عمران: ٦٣
١٠	مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ...	فساد	المائدة:٣٢
١١	إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا ...	فساداً	المائدة:٣٣
١٢	....وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ	فساداً	المائدة:٦٤
١٣	وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ	فساد	أنفال:٧٣
١٤	وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ	يفسدون	لرعد:٢٥

من خلال الجدولين السابقين نلاحظ ما يلي:-

أولاً: وردت مادة فسد في السياق القرآني تسعاً وأربعين مرة.

اثنتان وثلاثون في السور المكية، وسبع عشرة في السور المدنية.

في ست وأربعين آية، إحدى وثلاثون أية في السور المكية، وخمس عشرة آية في السور المدنية.

وقد وُجِدَتْ هذه الآيات في اثنتين وعشرين سورة، ست عشرة منها مكية، وست سور مدنية.

ثانياً: الآيات المكية التي تتحدث عن الفساد والمفسدين، ضعف الآيات المدنية التي تناولت ذات الموضوع، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة المجتمع المكي الذي كانت تسوده روح الجاهلية وتعاليمها الفاسدة، ويتزعم قيادة المجتمع أهل الفساد، لذا فقد أولى القرآن الكريم ظاهرة الفساد اهتماماً كبيراً، بهدف استئصال هذه الآفة من جذورها، وتطهير المجتمع من أرجاسها.

أما في المدنية، فالأمر على خلاف ذلك، فالقيادة للنبي ﷺ ، والشعب تربى على تعاليم القرآن الكريم، ولم يعد للمفسدين شأن ولا سلطان، لذا كانت الآيات المدنية التي تتناول الحديث عن الفساد نصف الآيات المكية، وقد نزلت لتعالج فساد المنافقين والمندسين في صفوف المؤمنين، وفضح المارقين من كفار أهل الكتاب، الذين كانوا يتربصون الدوائر بالمؤمنين.

ثالثا: لمادة فسد في القرآن الكريم أربع صيغ وهي كما يلي:

١ - الفعل الماضي بصيغتي: " فَسَدَ، أَفْسَدَ"

ورد الفعل الماضي من مادة فسد في السياق القرآني أربع مرات، وبيان ذلك فيما يلي:ـــ

أ) قال تعالى: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ**﴾[16]، وقد جاء الفعل في الآية الكريمة في سياق تأكيد فساد الأرض، إذا أطلقت يد الباطل تعيث[17] فيها دون ردع.

ب) قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[18]، جاء الفعل في سياق الحديث عن حقيقة الوحدانية لله تعالى، وفساد الكون لو ثبت تعدد الآلهة.

ج) قال تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنّ**﴾[19]، جاء الفعل في سياق الحديث عن حقيقة فساد الكون إذا أُخْضِعَ الحق للهوى.

د) قال تعالى: ﴿**قَالَتْ إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[20]، جاء الفعل في سياق الحديث عن حقيقة إفساد ملوك الأرض، خاصةً عند دخولهم البلاد على أهلها عنوة[21].

ملاحظات على الفعل الماضي من مادة فسد

أ ــ جاء الفعل الماضي من مادة فسد في القرآن الكريم لإثبات سننٍ وحقائق متنوعة وهي كما يلي:ــ

ــ سُنَّة التدافع التي تقوم على دفع أهل الباطل بأهل الحق، للحفاظ على صلاح الناس.

([16]) البقرة: ٢٥١.

([17]) العيث: سرعة الإفساد، انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٢ص١٧٥.

([18]) الأنبياء: ٢٢.

([19]) المؤمنون: ٧١.

([20]) النمل: ٣٤.

([21])انظر: جامع البيان في تفسير آي القرآن ــ الطبري ــ .م٩ج١٨ص٥١٥

ــ حقيقة الوحدانية للخالق عز وجل، واستحالة تعدد الآلهة.

ــ حقيقة منطقية، وهي عدم التوافق المطلق بين الحق والهوى[22].

ــ حقيقة سياسية وهي إفساد ملوك الدنيا وأمرائها في الأرض.

ب ــ لما كان الحديث عن السماوات والأرض استخدم الفعل فسد، وهذا يعني أن الفساد في حقهما بفعل مؤثر خارجي، ولما كان الحديث عن الإنسان استخدم الفعل أفسد، وهذا يفيد أن الفساد يصدر عن المكلفين، فالفساد نتيجة مخالفة أمر الخالق جل وعلا، ولا يخالف أمره إلا الإنس والجن.

٢ - الفعل المضارع

جاء الفعل المضارع من مادة فسد في السياق القرآني أربع عشرة مرة، وهي على النحو التالي:-

أ) **مجرد من الضمائر وفاعله يعود على الفرد،** وذلك في موضعين وهي كما يلي:ــ

ــ **﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ﴾**[23].

ــ **﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ﴾**[24].

ب) أحد عشر موضعاً متصلاً بواو الجماعة، لأغراض متعددة وهي كما يلي:ــ

([22]) انظر: المنطلق ــ محمد أحمد الراشد ــ ص٤٢.

([23]) البقرة: ٣٠.

([24]) البقرة: ٢٠٥.

١ــ **النهي عن الفساد في الأرض،** وكان الخطاب في كل آية موجهاً لفئة من النـــاس وبيان ذلك فيما يلي:ــ

ــ **النهي للمنافقين عموماً،** قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْـــسِدُوا فِـــي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُون**﴾[25].

ــ **النهي لمدين** بصور **خاصة،** قال تعالى: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَـــوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ... وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا...**﴾[26].

ــ **النهي للناس عامة،** قال تعالى: ﴿**وَلا تُفْسِدُوا فِـــي الأَرْضِ بَعْـــدَ إِصْـــلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[27].

٢ــ **في بيان عقوبة المفسدين يوم القيامة،** وبيان ذلك كما يلي:ــ

ــ ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ**﴾[28].

ــ ﴿**...وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[29].

ــ ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ**﴾[30].

([25]) البقرة: ١١.

([26]) الأعراف: ٨٥.

([27]) لأعراف: ٥٦.

([28]) البقرة:٢٧.

([29]) الرعد: ٢٥.

٣ ــ **التحذير من الأعمال التي تكون سببا للفساد في الأرض،** قال تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[31].

٤ ــ **التحذير من طاعة المسرفين** قال تعالى: ﴿**وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**﴾[32].

٥ ــ **الأمم تنعت بعضها بالفساد،** قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ.....**﴾[33].

٦ــ **بيان شدة فساد ثمود،** قال تعالى: ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ**﴾[34].

٧ــ **تأكيد فساد بني إسرائيل:** قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾[35]

ج) **موضع واحد متصل بنون الجمع في أول الفعل،** حكاية عن أخوة يوسف عليه السلام، حين نفوا ما نسب إليهم من سرقة صواع الملك، قال تعالى: ﴿**...قَالُوْا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾[36].

([30]) النحل: ٨٨.

([31]) محمد: ٢٢.

([32]) الشعراء: ١٥٢.

([33]) لأعراف: ١٢٧.

([34]) النمل: ٤٨.

([35]) الإسراء: ٤

([36]) يوسف: ٧٣.

ملاحظتان على ورود الفساد بصيغة المضارع:

أ ــ ورد الفعل المضارع من مادة فسد في القرآن في أحد عشر موضعاً متصلاً بواو الجماعة أو نونها للإخبار عن الجمع، وفي موضعين مجرداً، وهما: قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا...**﴾[37]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ والنَّسْلَ...**﴾[38]، لذلك يمكن القول بأن القرآن الكريم أولى الفساد الذي تمارسه الجماعة من العناية والاهتمام أضعاف ذاك الذي يمارسه شخص بمفرده، وفي ذلك إشارة إلى خطورة الجماعات البشرية المفسدة على الكون برمته، وأنها أحرى أن يتنبه المصلحون لخطرها.

ب ــ ورد الفعل من مادة فسد في كل السياق القرآني مبنياً للمعلوم، وذلك لكشف اللثام عن المفسدين وعدم التستر عليهم، وبَيان أحوالهم، وفضح سلوكهم، وذلك لعظيم خطرهم في حياة الأمم والشعوب. وأما قراءة ابن عباس لقوله تعالى﴿...لَتُفْسَدُنَّ...﴾ قيل المقصود يفسدكم غيركم[39]، ويقصد بالفساد على هذا المعنى التدمير وخراب الديار، وقد بين سياق الآيات أن دمار ديارهم يكون على يد عباد لله، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً**﴾[40].

٣ - اسم الفاعل

([37]) البقرة: ٣٠.

([38]) البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥.

([39]) انظر: الأفعال في القرآن الكريم ــ عبد الحميد السيد ــ ج٢ص١٠٤٥

([40]) الإسراء: ٥

جاء اسم الفاعل من مادة فسد من الفعل الماضي الرباعي ــ أفسد فهو مُفْسِد ــ إحــدى وعشرين مرة، ويمكن إدراجها تحت العناوين التالية: -

أ) **النهي عن الفساد**، قال تعالى:

ــ ﴿.. كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[41].

ــ ﴿.. فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[42].

ــ ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا المِكْيَالَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْــيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[43].

ــ ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[44].

ــ ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا اليَوْمَ الآخِــرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[45].

ــ ﴿.. وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِــعْ سَــبِيلَ المُفْسِدِينَ﴾[46].

ب) **المفسدون طغاة معتدون أو منافقون**، قال تعالى:

ــ ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾"[47]، والمقصود هنا فرعون.

([41]) البقرة: ٦٠.

([42]) الأعراف: ٧٤.

([43]) هود: ٨٥.

([44]) الشعراء: ١٨٣.

([45]) العنكبوت: ٣٦.

([46]) الأعراف: ١٤٢.

ـ ﴿قَالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ... ﴾[48].

ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[49].

ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾[50].

ـ ﴿فَلَمَّا القَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[51].

ج) **العبرة من مصير المفسدين**، قال تعالى:

ـ ﴿.. وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾"[52].

ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[53].

ـ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[54].

([47]) يونس: ٩١.
([48]) الكهف: ٩٤.
([49]) القصص: ٤.
([50]) البقرة: ١٢.
([51]) يونس: ٨١.
([52]) الأعراف: ٨٦.
([53]) الأعراف: ١٠٣.

د) **بغض الله تعالى للمفسدين**، قال تعالى:

ـ ﴿...كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾"[55].

- ﴿.. وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[56].

ـ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالفُجَّار﴾[57].

هـ- **المفسدون لا يخفون على الله**، قال تعالى:

ـ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[58].

ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[59].

و ـ) **الاستنصار على المفسدين**، قال تعالى:

ـ ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى القَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[60].

وقد ورد اسم الفاعل مفرداً مرة واحدة، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾[61]، والمقصود به هنا جنس المفسدين وليس مفسداً بعينه.

([54]) النمل: ١٤.

([55]) المائدة: ٦٤.

([56]) القصص: ٧٧.

([57]) صّ: ٢٨.

([58]) آل عمران: ٦٣.

([59]) يونس: ٤٠.

([60]) العنكبوت: ٣٠.

([61]) البقرة: ٢٢٠.

ملاحظتان على ورود اسم الفاعل:

١ــ جاء اسم الفاعل في السياق القرآني بصيغة مفسد مشتقاً من الفعل المتعدي أفسد[62]، ولم يأت مطلقا بصيغة فاسد من الفعل فسد، فالقرآن الكريم يعلنها حرباً على المفسدين لشدة خطرهم على المجتمعات البشرية والكون من حولهم، لذا فضح السياق القرآني المفسدين العاملين على نشر الفساد في الأرض، ولم يذكر الفاسدين بشيء، وهذا يظهر تلطف القرآن الكريم مع الناس، فمن لم يجاهر بالفساد ولم يسهم في ظهوره ستره القرآن، فلعل ذلك يكون أدعى لصلاح حاله.

٢ــ وردت لفظة المفسدين عشرين مرة، بينما لم ترد لفظة المفسد إلا مرة واحدة، وهذا يعزز لدى الباحث القول بأن القرآن الكريم يولى فساد الجماعة وإفسادها من الاهتمام ما لم يول فساد الفرد، أما قوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ...﴾[63]، فالمراد به جنس المفسدين وليس مفسداً بعينه، فلام التعريف هنا الجنسية، فالله سبحانه وتعالى يعلم من حاله الصلاح ويعلم من حاله الفساد.

٤ــ المصدر

ورد المصدر من الفعل الثلاثي فسد بصيغة ــ فساداً ــ في السياق القرآني أحد عشر مرة، يمكن إدراجها تحت العناوين التالية: ــ

أ) سوء عاقبة الفساد، قال تعالى:

([62]) انظر: الأفعال في القرآن الكريم ــ عبد الحميد السيد ــ ج٢ص١٠٤٥

([63]) البقرة: ٢٢٠.

ـ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ﴾[64].

ـ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً...﴾[65].

ـ ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[66].

ب) **النهي عن الفساد،** قال تعالى:

ـ ﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[67].

ـ ﴿...وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾[68].

ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ﴾[69].

ج) **بيان سبب الفساد،** قال تعالى:

([64]) الفجر: ١٢.

([65]) المائدة: ٣٢.

([66]) المائدة: ٣٣.

([67]) هود: ١١٦.

([68]) القصص: ٧٧.

([69]) غافر: ٢٦.

ـ ﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[70].

ـ ﴿...كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً...﴾[71].

ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[72].

د ـ) بغض الله للفساد، قال تعالى:

ـ ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[73].

هـ) في الثناء على من رفض الفساد، قال تعالى:

ـ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[74].

ملاحظة عامة:

([70]) الروم: ٤١.

([71]) المائدة: ٦٤.

([72]) الأنفال: ٧٣.

([73]) البقرة: ٢٠٥.

([74]) القصص: ٨٣

وردت مادة فسد في السياق القرآني بصيغة الفعل الماضي، والمضارع، واسم الفاعل، والمصدر، ولم ترد بصيغة الأمر، ولا المبالغة ولا المدح، ذلك أن القرآن الكريم قد جاء حرباً على الفساد ولم يمدحه ولم يأمر به بأي حال من الأحوال.

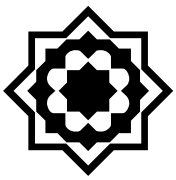

ثالثاً: الفساد بين الجاهلية والإسلام

الجاهلية لغةً: جهل: الجَهْل نقيض العِلم، ورجل جاهِلٌ والجمع جُهْلٌ وجُهُلٌ وجُهَّل وجُهَّال وجُهَلاء، وقال ابن جني: قالوا جُهَلاء كما قالوا عُلماء حملاً له على ضده، والجاهِلِيَّة زمن الفَتْرة قبل الإِسلامَ، أي: الحال التي كانت عليها العرب قبل الإِسلام من الجَهْل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمُفاخَرَة بالأَنساب والكِبْر والتَّجَبُّر[75].

([75]) انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ج ١١ ص ١٢٩.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ **أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللهِ حُكْمًا لِقَـوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾[76]، قيل: "المراد بالجاهلية: الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى"[77].

ويرى الأستاذ محمد قطب أن الجاهلية كما عناها القرآن وحددها " هي حالة نفسية ترفض الاهتداء بهدى الله، ووضع تنظيمي يرفض الحكم بما أنزل الله تعالى" [78].

ويرى الباحث أن تعريف الأستاذ محمد قطب شمل كلاً من الحالة الفكرية والحالة التنظيمية التي تحكم المجتمع، فهو مقدم على غيره.

فإذا كان معنى الفساد في السياق القرآني كما سبق بيانه في هذا البحث أنه: **ما خالف حالة الصلاح والاعتدال التي جاء بها القران والسنة النبوية**، فإن للجاهلية معنىً خاصاً بالفساد، حيث إنها ترى في الأنبياء وأتباعهم من المصلحين ثلة من المفسدين في الأرض، رغم أن الله شهد لهم بمكارم الأخلاق، وأمرهم بالدعوة إلى إصلاح مجتمعاتهم لينعموا بسعادة الدنيا والآخرة.

فهل للفساد والصلاح معيار ثابت تُجْمِعُ عليه البشرية، أم أن الصلاحَ والفسادَ مسائل اعتبارية لكل أمة فيها تصور خاص؟

وللإجابة على هذا التساؤل لا بد من هذا العرض:

لقد وصف فرعونُ موسى عليه السلام بالمفسد بعد أن دعاه للهدى والرشاد، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُل مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّل دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ**

([76]) المائدة: ٥٠.

([77]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ ج١ص٢٧٨.

([78]) جاهلية القرن العشرين ــ محمد قطب: ص٩.

فِي الأَرْضِ الفَسَادَ﴾[79]، ففرعون الطاغية ورمز الفساد، يرى في موسى عليه السلام مفسداً، يجب أن يحارب ولا ينبغي التهاون معه أو السكوت عليه[80].

ويرى الملأ[81] من قوم فرعون، أن موسى عليه السلام ومن آمن معه مفسدون في الأرض، يجب الأخذ على أيديهم بالعزم وألا يتركوا ليعيثوا فساداً في مجتمع الطهر الفرعوني.. ! قال تعالى: ﴿**وَقَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا...**﴾[82]

ويرى الملأ من قوم لوط، أن لوطاً عليه السلام وأهله أناس خارجون عن إجماع العشيرة العام، فيجب أن يطردوا من الديار، ولو كان هذا الإجماع رذيلة وخروجاً عن فطرة الإنسان الطبيعية، التي جعل الله فيها السكن والرحمة، قال تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾:[83] فهذا الخروج عن الرذيلة في نظر قوم لوط فساد ينبغي على فاعله أن يعاقب بالإخراج من الديار، قال تعالى: ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آل لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾"[84].

مما سبق نجد أن لسادة الجاهلية على مدى العصور مفهوماً وتصوراً خاصاً بالصلاح والفساد، وأن هذه التصورات والمفاهيم نسجت لتلائم هوى سادة الجاهلية وأعيانها، بما يحفظ مصالحهم ويضمن بقاء زعامتهم، وبسط نفوذهم على قلوب المستضعفين من الأتباع.

([79]) غافر:٢٦.

([80]) انظر: في رحاب التفاسير ــ عبد الحميد كشك ــ ج٦ص٥٠١٣

([81]) الملأ: من القوم هم رؤوسهم وزعامتهم. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١ص١٥٨

([82]) الأعراف: ١٢٧.

([83]) الروم: ٢١

([84]) النمل: ٥٦.

فيقذفون من يأخذ بيد الناس نحو الهداية والرشاد، بنعوت الفساد والتخلف، والضلال وسائر الألفاظ التي تجعل من هؤلاء المصلحين موضع ريبة عند عبيدهم وشعوبهم، لا لشيء إلا لأنه يكشف سوأتهم ويمس مكانتهم، ويفضح باطلهم بين المستضعفين.

وللإسلام مفهومه الخاص بالفساد والصلاح، فهو دين رب العالمين الذي ارتضاه للبشرية جمعاء على مر القرون و العصور، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ...**﴾[85].

فأحكام الإسلام جاءت لرفع الحرج عن العباد وإقامة الحق بينهم، فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق، وهو الذي أمر، وهو الذي حكم، وهو الذي شرع، قال تعالى: ﴿**أَلا لهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالِمِينَ**﴾[86]،وقال: ﴿ **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**﴾[87].

لذا فإن كل انحراف عن الغاية التي وجد الخلق من أجلها هي في حكم الإسلام أمر فاسد، وغاية وجود الخلق عبادة الله تعالى، وعمارة الأرض وفق منهجه سبحانه وتعالى، وكل ما تعارض مع هذه الغاية هو في نظر الإسلام فساد.

والمعنى الذي بينه القرآن الكريم، هو المعنى المعتبر الذي يجب على البشرية قاطبة أن تأخذ به، لتحقق لذاتها الطمأنينة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

([85]) آل عمران :١٩.

([86])الأعراف: ٥٤.

([87]) النحل: ١٧.

الفصل الأول

أسباب الفساد ومظاهره وآثاره كما يوضحها القرآن الكريم

و فيه مبحثان :

المبحث الأول : أسباب الفساد

المبحث الثاني : مظاهر الفساد وآثاره

المبحث الأول : أسباب الفساد

و فيه تسعة أسباب في تسع مسائل:

المسألة الأولى: اتباع الهوى

المسألة الثانية: اعتقاد تعدد الآلهة

المسألة الثالثة: ترك الجهاد في سبيل الله

المسألة الرابعة: ظهور المترفين

المسألة الخامسة: العلو والطغيان

المسألة السادسة: فساد الملوك

المسألة السابعة: طاعة المسرفين

المسألة الثامنة: ترك الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين

المسألة التاسعة: الفراغ مع وفرة الطعام

المسألة الأولى: اتباع الهوى

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، وقيل: سمي الهوى بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، والهوي: سقوط من علو إلى سُفل[88].

وقال الشعبي[89]: "إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار"[90].

قال تعالى ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لفَسَدَتْ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَل أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾[91]، أي: "لو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون، وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم، وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن"[92]، **وقيل**: "المراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من شَرْعِ الهوى، وشَرَعَ الأمور على وفق ذلك، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، أي لفساد أهوائهم واختلافهم"[93].

ومن الملاحظ أن الهوى ما جاء في القرآن الكريم إلا مذموماً، وما نُسِبَ إلا لأهل الفساد والضلال، قال تعالى: ﴿ **.. وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ...**﴾[94]، ﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ ..**﴾[95]، ﴿ **وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الذِينَ كَذَّبُوا...**﴾[96].

ويمكن حصر الفساد الناتج عن الهوى كما بينه القرآن في النقاط التالية:ـ

١ـ الهوى وثن يعبد من دون الله، قال تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَهُ اللهُ عَلى عِلمٍ**﴾[97].

([88]) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ـ الأصفهاني ـ ص٨٤٩

([89]) عامر الشعبي ـ وهو بن شراحيل أبو عمرو، كوفى، تابعي ثقة، رأى على بن أبى طالب وروى عنه، انظر: الجرح والتعديل ـ ابن أبي حاتم ـ ج٦ ص٣٢٢

([90]) أدب الدنيا والدين ـ أبو الحسن الماوردي ـ ص١٤

([91]) المؤمون:٧١

([92]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ الطبري ـ م٩ج١٨ص٣٣

([93]) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ ج٥ص ٤٩٦.

([94]) المائدة: ٧٧.

([95]) الأنعام: ١١٩.

([96]) الأنعام: ١٥٠.

٢ــ **الهوى يفضي إلى الظلم**، قال تعالى محذراً نبيه ﷺ: ﴿**وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ العِلمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنْ الظَّالِمِينَ**﴾[98].

٣ــ **الهوى يصد عن الحق**، فقد حذر الله تعالى نبيه داود عليه السلام من الهوى فقال: ﴿**يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلا تَتَّبِعْ الهَوَى فَيُضِلكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ...**﴾[99].

٤ــ **الهوى استدراج من الشيطان**، فقد وجه الله نبيه ﷺ للبعد عن الشرك بالله في الدعاء لأنه من استهواء واستدراج الشياطين، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ...**﴾[100].

٥ــ **الهوى يصد عن الهدى**، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ...**﴾[101].

٦ــ **الهوى يُنسي يوم الحساب**، قال تعالى: ﴿**فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى**﴾[102].

([97]) الجاثية: ٢٣.
([98]) البقرة: ١٤٥.
([99]) سورة ص: ٢٦.
([100]) الأنعام: ٧١.
([101]) القصص: ٥٠.
([102]) طه: ١٦.

٧ــ **الهوى يصد عن الدعوة والاستقامة**، قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿**..فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...**﴾[103].

٨ــ **الهوى يورث الكبر**، قال تعالى: ﴿**أَفَكُلمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ...**﴾[104].

٩ــ**الهوى نقيض العدل**، قال تعالى: ﴿**فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا...**﴾[105].

١٠ــ **الهوى خلاف الوحي**، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الهَوَى * إِنْ هُوَ الا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[106].

فأي فساد أعظم من تلك الصفات الذميمة التي يورثها الهوى لأتباعه، والتي تكفي الواحدة منها أن تفسد أمة بأكملها، لذلك كان ترك الهوى سبيل النجاة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى**﴾[107].

ومن لطائف الكلام أن لفظة الهوى عند تعلقها بالأمة ما جاءت في القرآن الكريم إلا بصيغة الجمع، (**أهواءهم**)، ولم تأت بلفظ (**هواهم**) قط، وفي ذلك إشارة بتعدد الهوى، وأن

([103]) الشورى: ١٥.

([104]) البقرة: ٨٧.

([105]) النساء: ١٣٥.

([106]) النجم: ٣.

([107]) النازعات: ٤٠.

لكل شخص من القوم هوىً خاصاً به، وهذه دلالة واضحة على استحالة جمع الأمة على رأي تبعاً للهوى[108] ، مما يفضي إلى الفساد.

المسألة الثانية: اعتقاد تعدد الآلهة

آلهة في اللغة: جمع إله، وهو اسم لكل معبود، بحق أو بغير حق، ومنه لفظ الجلالة "الله"، أدخلت عليه الألف واللام وحذفت الهمزة، وأصبح علماً على الباري تعالى، ولتخصصه به[109] قال تعالى: ﴿**...هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[110].

قال تعالى: ﴿**أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنْ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ الا اللهُ لفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[111]، أي: "لو كان في السموات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله، الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له، ﴿**لفسدتا**﴾ أي: لفسد أهل السموات والأرض"[112]، وقيل: "لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام"[113].

وتحسن الإشارة إلى أن الآيتين مكيتان، وتتناولان مسألة من أهم مسائل العقيدة، وهي فساد اعتقاد تعدد الآلهة كما يزعم المشركون، وهذا الاعتقاد يفسد على الناس حياتهم، ويرجع هذا الفساد لسببين:

([108]) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ــ الأصفهاني ــ ص٨٤٩ .

([109]) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ــ الأصفهاني ــ ص٨٢.

([110]) مريم: ٦٥.

([111]) الأنبياء: ٢١، ٢٢.

([112]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ ابن جرير الطبري ــ م٩ج١٧ ص١١.

([113]) معالم التنزيل ــ الحسين بن مسعود الفراء البغوي ــ ج١ ص٣١٤.

الأول: إن هذه الآلهة التي اتخذوها من دون الله لا تملك ضراً ولا نفعاً ولا موتــاً ولا حياة ولا نشورا، وهذا يطلق العنان للمفسدين، فيفسدوا على الناس حياتهم، ويفقدونهم أمــنهم، دون طمع في ثواب، أو ردع من عقاب.

ملاحظة:

ويرى الباحث أن السبب الثاني ذو بعد إداري، فأي عمل له رأسان بــنفس الــصلاحية والمهام، سينتهي أمره إلى الفشل والفساد، بسبب التنازع الذي سينشأ بين هذين الرأسين.

المسألة الثالثة: ترك الجهاد في سبيل الله

الجهاد: هو "استفراغ الوسع في طلب العدو، وهو ثلاثة: جهاد العدو الظاهر، وجهــاد الشيطان، وجهاد النفس..."[114]

وقد ربط القرآن الكريم بين ترك الجهاد في سبيل الله وبين الفساد ربطاً مباشــراً فــي آيتين وهما كما يلي:ــ

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَــالُوتَ وَآتَــاهُ اللهُ الْمُلكَ وَالحِكْمَةَ وَعَلمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لفَــسَدَتِ الأَرْضُ وَلكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلى العَالمِينَ**"[115]، وللمفسرين في الآية قولان:

الأول: لولا أن الله يدفع العقاب عن العصاة بأهل الصلاح، لعجــل العــصاة بعقوبــة سريعة، ولأهلك أهل الأرض فلم يبق عليها أحداً، ولكن الله متفضل على عباده، يؤخر عــنهم العذاب بفضل الصالحين[116] .

([114]) التوقيف على مهمات التعريف ــ محمد عبد الرؤوف المناوي ــ ص٢٦٠ .

([115]) البقرة: ٢٥١.

الثاني: لولا أن الله سبحانه وتعالى يقيض المؤمنين لقتال الكفار ومجاهدتهم وينصرهم عليهم، ويكف بهم أهل الفساد، لغلب الكافرون المؤمنين وفسدت الأرض، وبطلت منافعها، ولعم الكفر، ونزل السخط واستؤصل أهل الأرض قاطبة[117].

ويرى الباحث أن الرأي الثاني هو المقدم لسببين هما:

١- أن من ذهب إلى الرأي الأول من العلماء، إنما استدلوا على رأيهم بالحديث المنسوب إلى جابر بن عبد الله مرفوعاً حيث يقول **[إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء]**[118]، وهذا الحديث ضعيف جداً[119] .

٢- أن الآية جاءت في معرض الحديث عن الجهاد في سبيل الله، لوضع حد لظلم جالوت وجنده على بني إسرائيل، فالجو العام للآيات يدور حول الجهاد في سبيل الله، ودفع أهل الباطل بأهل الحق والتصدي لهم، ثم جاء التعقيب على ذلك بقوله تعالى: ﴿**...وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لفَسَدَتِ الأَرْضُ ...**﴾،

ولعل قوله تعالى: ﴿**... وَلوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا ...**﴾[120] يؤكد هذا المعنى.

([116]) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ للطبري ــ ج٢ ص٤٠٤، وانظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج١ ص٦٦٢.

([117]) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ ج١ص١٣١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز ــ الواحدي ــ ج١ ــ ص١٨١.

([118]) المعجم الأوسط ــ الطبراني ــ ج٣ ــ ص١٢٩ــ ح(٤٠٨٠) .

([119]) انظر: صحيح وضعيف الجامع ــ الألباني ــ ص٢٣٩ ــ حديث رقم(١٦٥١)

([120]) الحج: ٤٠ .

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**فَهَل عَسَيْتُمْ إِنْ تَــوَلَيْتُمْ أَنْ تُفْــسِدُوا فِــي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[121]، فقد جاء في معنى التولي قولان:

الأول: التولي بمعنى الإعراض عن الجهاد، أي هل عسيتم إن أعرضتم عــن الجهــاد ونكلتم[122]، أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، وتعودوا إلى ما كنتم عليه من الجاهلية، وتسفكوا الدماء وتقطعوا الأرحام، وهذا نهي وتحذير عن الإفساد في الأرض[123].

والثاني: التولي بمعنى الولاية، أي فهل عسيتم إن توليتم أمر الأمــة أن تفــسدوا فــي الأرض بالظلم والجور[124].

والأظهر في الآية أن المعنى الأول هو الأرجح، حيث يتناول سياق الآيــات الحــديث عن تمني المؤمنين نزول آية محكمة في الجهاد، فلما نزلت آيات الجهاد تثاقلت طائفة، لــذلك كان الخطاب تحذيراً لهم، أي هل عسيتم إن أعرضتم عن امتثال أمر الله في القتال وتركتمــوه أنْ تفْسدوا فِى ٱلأَرْضِ، فتتركوا معونة إخوانكم ولا تناصروهم، فتقطعوا ما بينكم وبينهم مــن صلة الرحم[125].

وأما المعنى الثاني فله ما يعززه من قراءة علي رضي الله عنه حيث قَرَأهــا (تُــوُليتُم) بضم التاء والواو، وهي من الولاية.

ومما سبق من معنى الإجمالي للآيات، يرى الباحث أن القرآن الكريم يقرر ما يلي:ــ

([121]) محمد: ٢٢.

([122]) نكلتم: أي جبنتم. لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١١ص٦٧٧

([123]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٧ص ٣١٩.

([124]) انظر: فتح القدير ــ للشوكاني ــ ج٥ ص٣٨.

([125]) انظر: البحر المحيط ــ أبو حيان ــ ج٨ص٨٢

١ــ الجهاد في سبيل الله هو السبيل الذي تطهر به الأرض من عبث المفسدين، وتسود بسببه الفضيلة وتستقيم الحياة.

٢ــ ترك الجهاد والتثاقل إلى الأرض يدفع أهل الجور والأهــواء ليتــصدروا مقاليــد الأمور، ويتحكموا بباطلهم في مصائر الشعوب، فيعم الفساد فــي الأرض وتنتــشر الرذيلــة، ويهلك الحرث والنسل. ويُصَدِّقُ ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح **[ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب]**[126]

المسألة الرابعة: ظهور المترفين

والمُتْرَفُ لغةً: الذي أَبْطَرَتْه النعمةُ وسَعة العيْشِ فطْغى[127]، "والترفه: التوســع فــي النعمة"[128].

وما ذكر الترف في كتاب الله تعالى إلا في معرض الحديث عن الظلم والفسق والفساد في الأرض، أو عند الحديث عن الذين توعدهم الله بالعذاب في الدنيا وفي الآخرة، ويمكن بيان ذلك من خلال الآيات الكريمة التي تناولت الحديث عن المترفين ووصفت أحوالهم:

١ - المترفون ظالمون، قال تعالى: ﴿**فَلوْلا كَانَ مِنْ القُرُونِ مِنْ قَبْلكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إلا قَليلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الذِينَ ظَلمُوا مَا أُتْرِفُــوا**

([126])المعجم الأوسط ــ الطبراني ــ ج٣ص٥١ــ حديث رقم(٣٨٣٩)، قال عنه الألبــاني: صــحيح. انظــر: السلسة الصحيحة ــ ناصر الدين الألباني ــ ج٦ص١٦٥ ــ حديث رقم(٢٦٦٣).

([127])انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٩ص١٧.

([128]) مفردات ألفاظ القرآن ــ الأصفهاني ــ ص١٦٦.

فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[129]، فالظلم آفة كبيرة، يغرس العداوة والأحقاد والتحاسد والتباغض بين أفراد المجتمع، فتفسد العلاقات بين الناس، ولا تستقيم الحياة، ولا يطيب العيش، ويترتب ذلك ذهاب الدين والفضيلة، وتحل الرذيلة والفرقة والضياع.

٢ - **تصدر المترفين ينذر بالدمار**، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[130]، فقد أمر الله المترفين على لسان الرسل بالطاعة والعمل الصالح، وخصهم بالأمر لأن غيرهم تبع لهم، فإن فسقوا وتمردوا، وبالغوا في الفحش، فوجب عليهم العذاب، فَدُمِّروا تدميراً وأهلكوا هلاك استئصال[131].

٣ - **المترفون أعداء الأنبياء**، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾[132] وقال: ﴿ **وَمَا أَرْسَلنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**﴾[133]، وقال أيضاً ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**﴾[134]، والمتدبر في هذه الآيات الكريمة يلمس بوضوح أن أهل الترف هم الذين يتصدرون العداء لرسل الله تعالى، فلا يَرون الحق إلا ما تسوغه نفوسهم، ويرفضون أن

([129]) هود: ١١٦.

([130]) الإسراء: ١٦.

([131]) انظر: زاد المسير ــ ابن الجوزي ــ ج٢ص٦٣٠، وانظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ــ علي ابن أحمد الواحدي ــ ج٢ص٨٠٧.

([132]) المؤمنون: ٣٣ .

([133]) سبأ: ٣٤ .

([134]) الزخرف: ٢٣.

يستوي بهم غيرهم من الناس، فيتذرعون بحجج واهية يبررون لأنفسهم من خلالها العدول عن دين الله والصد عن سبيله.

مما سبق يتبين لنا أن المترفين من وراء كل رذيلة في المجتمعات البشرية، وعليه فإن ظهورهم في المجتمع وتصدرهم فيه، سبب هام من أسباب فساد المجتمعات.

المسألة الخامسة: العلو والطغيان

فالعلو في اللغة ضد السفل، وهو الارتفاع، ويستعمل في الأمكنة والأجسام أكثر، وفي المحمود والمذموم[135]،والعُلُوُّ العَظَمة والتَّجَبُّر[136].

والعلو صفة من صفات الله عز وجل، قال تعالى واصفاً نفسه في آية الكرسي ﴿**... وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيم**﴾[١٣٧] وجاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى: **[الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار]**[١٣٨].

وليس هذا هو العلو المقصود في هذه المسألة، ولا العلو القائم على الحق والعدل كرجحان العالم على الجاهل، والمؤمنين على الكافرين، فهذا استعلاء محمود لا تستقيم الحياة إلا به[139]، قال تعالى: ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[١٤٠]، إنما المقصود ذلك العلو المقترن بالاستكبار والطغيان، القائم على التجبر والتعالي على الحق، وقد قرن القرآن الكريم بين العلو والفساد في أكثر من آية وبيان ذلك فيما يلي:ـــ

([135]) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ـــ الأصفهاني ـــ ص ٥٨٢، والتعريفات ـــ للمناوي ـــ ص٥٢٥.
([136]) انظر: لسان العرب ـــ ابن منظور ـــ ج٥ ص٨٣.
([137]) البقرة: ٢٥٥.
([138]) مسند الأمام أحمد ـــ أحمد بن حنبل الشيباني ـــ ج٢ص٤١٤. قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع ـــ الألباني ـــ ج٢ص٧٩٥ـــ حديث رقم(٤٣١١).
([139]) انظر: التحرير والتنوير ـــ محمد الطاهر ابن عاشور ـــ ج١٠ص٦٦.
([140]) آل عمران: ١٣٩.

١ــ قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَل أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ**﴾[141]، يخبر المولى عز وجل أن فرعون علا في الأرض وشَعَرَ بعلوه على مكانة غيره، وادعى الألوهية وأنه ابن للشمس[142]، واعتقد أن له مكانةً لا تدانيها مكانة أحد من الناس، فدفعه هذا العلو إلى الظلم والطغيان والفساد، قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿**اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾[143]، فجعل المجتمع شيعاً، يستعبد طائفة منهم ويسخر نساءهم لخدمته ويقتل أطفالهم، وهذا هو قمة الفساد في الأرض، لذلك ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ**﴾، وهذا دليل على أن العلو والطغيان من أسباب الفساد.

٢ــ قال تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[144]، يخبر المولى عز وجل عن سوء عاقبة فرعون وملئه بسبب إفسادهم في الأرض، والسبب في ذلك هو الظلم والعلو، فظلموا أنفسهم بمجافاة الحق الذي استيقنته أنفسهم، وكان علوهم بسبب كفرهم بالآيات البينة التي جاء بها موسى عليه السلام [145]، فلما اجتمع الظلم والعلو وصفهم الله بالمفسدين، وفي ذلك إشارة أن العلو والطغيان من أسباب الفساد في الأرض.

وبصورة عامة فإن العلو يدفع صاحبه للكبر والتكذيب لأنبياء الله ورسله، قال تعالى ﴿**ثُمَّ أَرْسَلنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلطَانٍ مُبِينٍ * إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا**

([141]) القصص: ٤.

([142]) انظر: التحرير والتنوير ــ محمد الطاهر ابن عاشور ــ ج١٠ص٦٦.

([143]) طه: ٢٤.

([144]) النمل: ١٤.

([145])انظر: زاد المسير ــ ابن الجوزي ــ ص١٠٤٢.

وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾[146]، وقال على لسان سليمان: ﴿**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ *أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾[147]، فأي فساد أكبر من تكذيب رسل الله عز وجل والتعالي على دعوتهم.

ويستنتج مما سبق أن العلو المقترن بالطغيان يسبب الفساد في الأرض، وكل من اتصف بهذه الصفة الذميمة له يد طولى في الفساد.

المسألة السادسة: فساد الملوك

الملوك جمع مَلِك، والملك: هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، و يختص بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: ملك الناس ولا يقال: ملك الأشياء، وأما قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[148] فتقديره: الملك في يوم الدين. ولفظ الملك تشمل الله سبحانه وتعالى ــ وهو الملك الحق ــ وتشمل ملوك الدنيا[149]، قال تعالى على لسان بني إسرائيل ﴿**... إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...**﴾[150].

وللملوك أثر كبير في قيادة الشعوب نحو الخير أو الشر على السواء، فبصلاحهم تصلح البلاد وبفسادهم تسوء، قال تعالى على لسان بلقيس[151]: ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا**

([146]) المؤمنون: ٤٥ــ٤٦.

([147]) النمل: ٣١ .

([148])الفاتحة: ٣.

([149]) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ــ الأصفهاني ــ ص ٧٧٤.

([150]) البقرة: ٢٤٦.

([151]) قيل: هي يلمقة بنت اليشرح بن ذي جدن بن أيلي شرح بن الحارث بن قيس، ملكة سبأ. انظر: تاريخ الأمم والملوك ــ الطبري ــ ج١ص٢٨٩

دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[152]، لما تلقت ملكة سبأ كتاب سليمان عليه السلام، وأحست بالخطر الذي سيلحق بقومها، قالت للملأ منهم: إن ملوك الأرض إذا دخلوا قرية ــ عنوة وقتالاً ــ أفسدوها: باستذلال أهلها، وإهانة أشرافها، وحط مراتبهم، فصاروا عند ذلك أذلة، وقد جاءت بهذا الحكم في حق الملوك بحكم خبرتها ومكانتها في قومها، وقد أكد الله تبارك وتعالى مقالتها بقوله: ﴿**وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[153] .

والباحث يرى أن ولاة الأمور في هذا الزمان من أمراء وحكام ووزراء، يدخلون في دائرة الملوك، وقد ابتلاهم الله سبحانه وتعالى برعاية أمور الأمم والشعوب، لقيادتها نحو الخير، فإن أحسنوا فلهم ولشعوبهم، وإن أساءوا فعليهم وزر من ضل بضلالهم، ويعزز هذا المعنى ما جاء في رسالة النبي ﷺ إلى هرقل[154] ملك الروم حين دعاه للإسلام فقال **[بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين**[155]**...]**[156]، ذلك أنه إذا أسلم فسيسلم قومه، وإن أَبَى، بقي القوم على شركهم، فالناس على دين ملوكهم فمن حاد من الأئمة عن

([152]) النمل: ٣٤.

([153]) انظر: الكشاف ــ الزمخشري ــ ج٣ص١٤٧، وانظر: وفتح القدير ــ الشوكاني ــ ج٤ص١٣٧.

([154]) هرقل: علم على ملك الروم، فيه لغتان أكثرهما فتح الراء و سكون القاف مثال دمشق، والثانية سكون الراء و كسر القاف، قال الشافعي هرقل علم قيصر لقب ، انظر: تهذيب الأسماء واللغات ــ يحيى بن شرف الدين النووي ــ ج٢ص٦٥، المصباح المنير ــ أحمد الفيومي ــ ج٢ص٣٠٩.

([155]) قيل هم أهل السواد من الخدم وأهل الزراعة. انظر: تاج العروس ــ الزبيدي ــ ج٤ص٩٦.

([156]) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير ــ باب دعاء النبي إلى الإسلام والنبوة - ص٦١٨ ــ ح (٢٩٤١).

الحال مال وأمال[157]، وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"[158].

ويستنتج من ذلك أن لفساد الملوك أثراً كبيراً في فساد الأمم.

المسألة السابعة: طاعة المسرفين

سرف: "السين و الراء و الفاء أصل واحد يدل على تعدي الحدَ"[١٥٩]، والإسراف تجاوز الحد في كل ما يفعله الإنسان.

والمراد بالمسرفين هنا من تجاوزوا الحد في الفساد[١٦٠]

قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ* الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾[١٦١]، في هذه الآية الكريمة ينهى صالح عليه السلام قومه عن طاعة أمر المسرفين، وقوله ﴿.. **أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ** ..﴾ ينسب الطاعة للأمر مجازاً، وهي للآمر حقيقة، وذلك لبيان الطاعة العمياء التي كان يؤديها العوام لهؤلاء المسرفين، وجاء النهي عن مثل هذه الطاعة، لما لها من تأثير يفسد على العامة حياتها، فهؤلاء المسرفون هم أعلام الكفر، الذين هيمن الفساد على حياتهم، فلا يعرفون للصلاح سبيلاً، وقد بينت الآية شدة فسادهم، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾[162]، فهم مفسدون، وتعداهم الفساد إلى

([157]) انظر: فتح الباري ــ ابن حجر العسقلاني ــ ج٧ ص١٥١.

([158]) البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ ج٢ص١٠.

([159]) معجم مقاييس اللغة ــ ابن فارس ــ ج٣ ص١٥٣.

([160]) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ــ محمود الألوسي ــ م٧ج١٩ص١١٣.

([161]) الشعراء: ١٥١،١٥٢.

([162]) الشعراء: ١٥٢

غيرهم، فليس لهم شأن إلا الإفساد، لذلك ختمت الآية بقوله تعالى: ﴿... **وَلا يُصْلِحُونَ**﴾، وذلك لبيان كمال إفسادهم وأنه لا يخالطه شيء من الإصلاح، فتوجب على صالح عليه السلام أن يحذر القوم منهم، لتحصينهم من عدوى الفساد، وحتى يكون قد أخلص لهم النصيحة وأقام عليهم الحجة أمام الله تعالى[163].

فطاعة هؤلاء المسرفين تفسد كل من أطاعهم واقتفى أثرهم.

المسألة الثامنة: ترك الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين

الواو واللام والياء مجتمعة أصل واحد يدل على القرب[١٦٤]، والموالاة ضد المعاداة، و الوَلاية بفتح الواو تعنى النصرة[165].

أما البراء من بَرِأ: الباء و الراء و الهمز فلها أصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق ، والآخر التباعد من الشيء ومن ذلك البُرْءُ عند السلامة من السقم[١٦٦].

والولاء بمفهومه الشمولي هو ارتباط وتناصر وتواد، ارتباط برباط العقيدة الإسلامية، التي هي أقوى رابطة يمكن أن ترتبط بها جماعة من البشر، وتناصر يبذل فيه الفرد ماله وولده ونفسه، دون أوليائه، وهو مودة تجعل الأولياء أحب إليه من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن، وهذا لا يعطيه شخص يؤمن بالله ــ حق الإيمان - إلا لله، ولرسوله، وللمؤمنين الذين ربطته بهم رابطة الإيمان بالله[167].

([163]) انظر: روح المعاني ــ الألوسي ــ م٧ج١٩ص١١٣.

([164]) معجم مقاييس اللغة ــ ابن فارس ــ ص ١١٠٤.

([165]) انظر: المختار الصحاح ــ محمد بن أبي بكر الرازي ــ ص٤٦٢.

([166]) انظر: معجم مقاييس اللغة ــ ابن فارس ــ ص١٢٨.

([167]) انظر: في ظلال القرآن الكريم ــ سيد قطب ــ ج١ص٣٨٧ .

وقد حرَّض القرآن الكريم المؤمنين على ولاء بعضهم لبعض، وحذر من ترك الولاء، كما حذر من ولاء المؤمنين لأعدائهم في أكثر من آية، ويمكن بيان ذلك فيما يلى:ــ

١ــ قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾[168]، تبين الآية الكريمة تحزب الكفار وموالاة وتعضيد بعضهم لبعض، ذلك أن فئة من الكفار تحزبت بعد بعثته ﷺ ووالى بعضهم بعضاً ضد النبي ﷺ خوفاً من رياسته وظهوره عليهم[١٦٩]، لأجل ذلك حذر الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين من التخلي عن ولائهم لبعض، لئلا تكون فتنة في الأرض وفساد كبير، وتأتي هذه الآية بعد أن ذكر السياق القرآني في الآية السابقة لها[170] موالاة المؤمنين من مهاجرين وأنصار وأعراب بعضهم لبعض ومدحهم وأثنى عليهم.

فترك ولاء المؤمن للمؤمن يفضي إلى غلبة أهل الكفر، فَيفْتِنُ أهلُ الكفرِ المؤمنين في دينهم، فيقع الفساد في الأرض.

٢ــ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾[171]، ينهى الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة الكفار، وبين لنا صوراً متعددة للولاء، كإظهار

([168]) الأنفال: ٧٣.

([169]) انظر: النهر الماد من البحر المحيط ــ أبو حيان الأندلسي ــ ج١ص٩٤٢.

([170])(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا ...) : الأنفال :٧٢

([171])الممتحنة: ١

المودة، وتبادل المعلومات "**وهو ما يعرف في هذه الأيام بالتنسيق الأمني**[172]" ،وَوَصَفَ من والاهم بالضلال والبعد عن سبيل المؤمنين، فأي فساد أكبر على الفرد أو الأمة من أن تضل سبيلها، فيخذلها الله تبارك تعالى ويتخلى عنها، والمَخْرَجُ من هذا الفساد والضلال عن سبيل الله إنما يكون بالبعد أن أسبابه، أي بالبراءة من أعداء الله عز وجل كما أمر.

ومما سبق يرى الباحث أن ترك الأمة ولاء بعضها لبعض، وعدم براءتها من أعداء الله، أفسد الأمة وأفقدها وحدتها التي هي سر قوتها، وحل مكان ذلك الفرقة والشقاق، فنرى فئاتٍ كثيرة من أبناء هذه الأمة يعطون الولاء لأعداء الله تعالى، يتلقون منهم الأنظمة والأفكار الدخيلة، كبديل عن دين الله، فحلت العداوة مكان الأخوة، هذه الأخوة التي شكلت رابطاً متيناً أعطى الأمة مهابة بين الأمم على مدى قرون من الزمان.

المسألة التاسعة: الفراغ مع وفرة الطعام.

الفَراغُ: "الخَلاءُ، ...وفي التنزيل وأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ موسى فارِغاً أَي خالياً من الصبر ...وفَرَغْتُ من الشُّغُلِ"[173] أي أصبحتُ خاليا من العمل.

فإن جمع الإنسان بين كثرة الطعام، فملأ بطنه، ثم لم يشغل به وقته بعمل نافع يعود عليه أو على المجتمع من حوله بالخير وقع منه الفساد لا محال.

قال تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[174] في هذه الآية الكريمة يُذَكِّرُ الحق تبارك وتعالى بني إسرائيل

([172]) مصطلح سياسي تقوم بموجبه الأجهزة الأمنية في دولة ما بتبادل المعلومات حول فئات معينة من الناس مع دولة أخرى بناءً على اتفاقيات بينها. انظر: جريدة الرسالة ــ عدد٣٢٩ ــ ٢٠٠٥/٥/١٠ــص٧

([173]) لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٨ص٤٤٤.

([174]) البقرة: ٦٠.

بنعمهِ وتفضله عليهمْ، عندما ساق لهم أطيب الطعام، وفجر لهم العيون بعدد أسباطهم بلا كد منهم ولا سعي، استجابة لدعوة موسى عليه السلام، ثم عقب على ذلك بقوله ﴿... **كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ...**﴾ أي: كلوا واشربوا من هذا الرزق، واشكروا الله على ذلك، ثم نهاهم عن مقابله هذه النعم بالمعصية والفساد فقال ﴿ **... وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ أي لا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها﴿﴾، وقد جاءت فاصلة الآية بالنهي عن الفساد بعد ذكر نعمة المأكل والمشرب، خشية البطر فينشأ عن ذلك الفساد[176]، خاصة أن بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر أصبحوا سادة أحراراً بعد ذلة وعبودية،إذ كانوا يرهقون أنفسهم في الكد والسعي استرضاءً لأسيادهم من الفراعنة الذين كانوا يستخدمونهم لأشق الأعمال[177]، وهم الآن سادة أحرارً يأتيهم الرزق الرغيد دون بذل منهم أو عناء، فهم يتمتعون بنعمة الطعام والشراب والفراغ فالفساد قد توفرت أسبابه فتجب تحذيرهم.

فالإنسان إذا أكل وشبع أُوْرِثَ كثرة النوم، وبلادة الذهن، لاندفاع بخار الطعام إلى دماغه حتى تغطي على مكان الفكر وموضع الذكر[178]، فإذا جمع مع ذلك الفراغ، فإنه سيندفع لاستهلاك طاقته في ما يعود عليه بالخسران.

لأجل ذلك لم يجعل الله الطعام معدا للناس بغير سعي ولا تعب، لأن ذلك يؤدى بهم إلى الشَرَهِ والبطنة، فيكثر الفساد وتعم الفواحش والبغي في الارض[179]، قال تعالى ﴿**وَلَوْ**

([175]) انظر: تفسير القران العظيم ــ ابن كثير ــ ج١ص٢٣٣.

([176]) انظر: تفسير المراغي ــ أحمد مصطفى المراغي ــ ج١ص١٢٩.

([177]) انظر: زاد المسير ــ ابن الجوزي ــ ص٦٠، وانظر: التحرير والتنوير ــ ابن عاشور ــ ج١ص٤٩٢.

([178]) انظر: مختصر منهاج القاصدين ــ أحمد بن قدامة المقدسي ــ ص١٧٥.

([179]) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم و الإرادة ــ ابن القيم ــ ص٢٦٦.

بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَـــادِهِ خَـــبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[180].

(180) الشورى: ٢٧.

المبحث الثاني: مظاهر الفساد وآثاره

و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مظاهر الفساد وآثاره على الأفراد

المطلب الثاني: مظاهر الفساد وآثاره على الأمة

المطلب الثالث: آثار الفساد الكونية

تــوطئــة

جعل الله تبارك وتعالى لهذا الكون نظاماً متناسقاً، ينسجم كل جزء من أجزائه في أداء الدور المنوط به مع بقية الأجزاء، في نظام عجيب غريب لا يكاد جزء منها يخل بـــدوره، إذ أي فساد أو خلل في جزءٍ منه ربما يحدث اضطراباً لنظام الكون برمته[181].

والإنسان جزء من هذا الكون، وقد جعل الله له نظاماً ومنهجاً يَحتكم إليه في كل شـــأن من شؤونه، ينسجم مع نظام الكون من حوله، فلو أخل الإنسان بهذا النظام والمنهاج فقد أفـــسد حياته وتحولت إلى جحيم لا يطاق، والنظام الذي جعله الله للإنسان هو دين الله الذي ارتـــضاه للبشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...**﴾[182]، ودين الإسلام في كـــل عصر هو أمر الله عز وجل في ذلك العصر، وبعد بعثة محمد ﷺ فإن الإسلام هو ما أنزله الله على محمد ﷺ حتى قيام الساعة بوصفه خاتم المرسلين[183]، لذا فإن الخـــروج عـــن مـــنهج الإسلام فيه فساد الأرض وشقاء الإنسان: قال تعـــالى: ﴿**... فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَـــنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[184]، وللفساد مظاهر وآثارٌ وخيمة على المفسدين أنفسهم وعلى المجتمع وعلى الكون من حولنا، وسنتناول في هذا المبحث إن شاء الله تعال آثار الفساد كما يـــصورها القرآن الكريم.

ويمكن حصرها في ثلاث مطالب وهي على النحو التالي:

([181]) انظر: كتاب توحيد الخالق ــ عبد المجيد الزنداني ــ م١ج٢ص٣٣

([182]) آل عمران: ١٩

([183]) انظر الرسالة التدمرية ــ ابن تيميةــ ص١١٠

([184]) طه: ١٢٤

المطلب الأول : مظاهر الفساد وآثاره على الأفراد

و فيه أربع مسائل :

المسألة الأولى: انحراف السلوك

المسألة الثانية: الندم عند الموت

المسألة الثالثة: عذاب القبر

المسألة الرابعة: سوء المصير يوم القيامة

المسألة الأولى: انحراف السلوك

والانحراف في اللغة: الميل عن الشيء[185]، والسُّلُوك: مصدر سَلَكَ وهي من سلك طريقا وسَلَكَ المكانَ يَسْلُكُه[186] .

والباحث يقصد بانحراف السلوك لدى المفسدين: ميل المفسد في سلوكه عن منهج هذا الدين كما بينه القرآن، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تصف انحراف سلوك المفسدين.

ويمكن تصنيف أوجه انحراف سلوكهم على النحو التالي: ــ

١ــ الاعتداد بالنفس وادعاء الصلاح

الأصل في الإنسان أن يتهم نفسه بالقصور، قال تعالى: ﴿**...فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[187]، ويُحْسِنَ الظن بالآخرين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ...**﴾[188]، لكن المفسدين قد انحرفوا بسلوكهم عنى منهج الله، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ* أَلَا إِنَّهُمْ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾[189]، تأتي هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن المنافقين، الذين إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض لم يكتفوا بنفي الفساد عن أنفسهم، بل تبجحوا وادعوا الصلاح فقالوا: إنما نحن مصلحون، إنهم يقولون ذلك لأن الموازين مختلة لديهم، ومتى اختل ميزان القيم لدى الإنسان، اختلت لديه سائر الموازين، فيتعذر عليه أن يشعر

([185]) انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٩ص٤١

([186]) انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١٠ص٤٤٢

([187]) النجم: ٣٢

([188]) الحجرات: ١٢

([189]) البقرة: ١١ــ ١٢

بفساد نفسه، لأن موازين الخير والشر والصلاح والفساد في نفسه تتأرجح مع أهوائه الذاتية[190].

حقاً إنه أثر الفساد في النفس البشرية، الذي يعمي البصيرة فيعتد المفسد بنفسه، فلا يرى الحق إلا في جانبه، ويسفه غيره، فلا يقبل نصحاً ولا يستجيب إلا لهوىً في نفسه، فينحرف بسلوكه عن طريق الصلاح.

٢ــ انحراف الفطرة الجنسية

قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ* أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ*قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾[191]، في هذه الآيات الكريمة ينكر لوط عليه السلام على قومه انحراف فطرتهم الجنسية، إذ كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، وكان قومه أول من ابتدع هذه الطريقة القبيحة في ممارسة الفطرة الجنسية، وقد أنذرهم عذاب الله فسخروا منه، فلما تمادوا في انحرافهم طلب معونة اللهَ ونصرته على هذه الأمة التي فسدت فطرتها[192].

والمتتبع لقصة قوم لوط عليه السلام في القرآن الكريم، يرى أن انحراف سلوك القوم وشذوذهم عن الفطرة الجنسية هي السمة الغالبة على فسادهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ**

([190]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج١ص٤٤، (المفسدون في الأرض ــ جمال بواطنة) انظر: مجلة الإسراء ــ عدد ٥٢ ــ إبريل /٢٠٠٤ــ ص١٥ .

([191]) العنكبوت: ٢٨ ــ ٣٠

([192]) انظر تفسير ابن كثير ــ ج٦ص٢٩١

الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ...﴾[193]، وقد أخلص لوط النصح والإرشاد لقومه فقال: ﴿... **يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ...﴾**[194] لكن الأمة التي فسدت فطرتها، وانحرف خلقها وسلوكها ما كان جوابها إلا أن قالت: ﴿**... لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾**[195]، فهل هناك أبلغ من هذا الرد ليدلل على انحراف القوم عن فطرة الله.

إنه الفساد الذي هيمن على نفوس القوم فأصبحت لا تميز بين خير وشر، ولا بين فضيلة ورذيلة.

٣ــ انحراف في أدب العبودية لله عز وجل.

إن دين الله يقتضي أن يعظم الإنسان ربه، لكن المفسدين لا يراعون أدب العبودية لله، قال تعالى ﴿**وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**[196]، يأتي هذا القول من اليهود شاهداً على عدم تأدبهم مع الله عز وجل، ومدللاً على فساد معتقداتهم وفهمهم لصفاته سبحانه وتعالى، وختْمُ الآية بقوله: ﴿**...وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾، يبين أن القوم ما تجرؤوا على هذا التقول على الله، لولا فساد عقيدتهم.

([193]) الأعراف: ٨١

([194]) هود: ٧٨

([195]) هود: ٧٩

([196]) المائدة: ٦٤

ففساد عقيدتهم سبب انحرافهم وسوء أدبهم مع على الله عز وجل.

٤ - الإسراف في القتل واستباحة الحرمات

قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[197]، وهذا انحراف خطير في سلوك الفرد، ففرعون الطاغية علا في الأرض وتجبر، وجعل أهل مملكته شيعاً، كل شيعة في شأن من شئونه، وسام بني إسرائيل أشد العذاب والاضطهاد، لأنهم كانوا يعتقدون غير عقيدته، إذ كانت لهم بقية من دين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب عليهما السلام، فلما أحس الطاغية أن هناك خطراً على عرشه وملكه من وجودهم في مصر، ابتكر طريقة خبيثة للقضاء عليهم، لا لشيء سوى أنهم لا يعبدونه ولا يعتقدون بألوهيته، فسخرهم في أشق واخطر الأعمال، واستذلهم وعذبهم بشتى أنواع العذاب، وبعد ذلك كله ذبح الذكور من أطفالهم فور ولادتهم، دون ذنب أو معصية[198]، فأي انحراف هذا؟ وأي نفس فاسدة شريرة هذه التي تطال جريمتها أطفالاً ما عرفوا معنى الحياة؟ وما تذوقوا من طعمها سوى طعنة من قاتل جبان، يتلذذ بقتل أطفال دون ذنب منهم أو معصية.

فما أقدم فرعون على هذا السلوك المنحرف الجبان، الذي يخرج المرء فيه عن إنسانيته إلا بعد أن استحكم الفساد في هذه النفس فانحرفت عن السلوك القويم.

٥ــ العمل بالسحر لتحقيق مآرب شريرة

([197]) القصص: ٤.

([198]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٥ص٢٦٧٧

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[199]، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمسلم لا يعتدي على حرمات الآخرين، قال ﷺ: **[كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه]**[200]، والمسلم السوي لا يسعى لقهر الآخرين أو السيطرة عليهم بنفسه أو بغيره، ناهيك عن استخدام الوسائل الخفية أو الطرق الكفرية التي يقوم عليها السحر، قال تعالى في سياق الحديث عن السحر وعلاقة هاروت وماروت به: ﴿**...وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ...**﴾[201]، وقد قرر القرآن الكريم أن السحر شر لا خير فيه، قال تعالى: ﴿**...وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ...**﴾[5].

لذا، فلا يلجأ إلى السحر ويتعلمه ويعمل به إلا صاحب نفس شريرة قد تجرد من كل معاني الخير وهذا هو عين الفساد وانحراف السلوك عن الصراط القويم.

٦ــ مجافاة العمل الصالح

قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾[202]، إن الإنسان المسلم طيب وفعله للخير لا ينقطع، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : **[إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم حدثوني ما هي، قال:(أي ابن عمر) فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله فوقع في نفسي أنها النخلة ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال:**

([199]) يونس: ٨١.

([200]) صحيح مسلم ــ كتاب البر والصلة والأدب ــ باب تحريم ظلم المسلم ــ ج٤ص١٩٨٦ ــ حديث رقم(٢٥٦٤) .

([201]) البقرة: ١٠٢ .

([202]) الشعراء: ١٥٢

هي النخلة][203]، قال العلماء في معنى الحديث أن مَثَلَ المسلم في دوام خيره ونفعه كمثل النخلة، إذ يُنْتَفَعُ منها على مدار العام في كل جزء من أجزائها، وكذلك حال المسلم[204].

لكن من فسدت نفوسهم أصبحت لا تعرف للخير سبيلاً، ولا للإصلاح طريقاً، وما ذاك إلا أثر من آثار هذا الفساد.

٧ــ الصد عن سبيل الله والسعي لإفساد المجتمع

قال تعالى على لسان شعيب وهو يخاطب قومه: ﴿**وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[205]، فالصد عن سبيل الله، وتوعد الصالحين من الناس، هو سلوك منحرف خارج عن منهج هذا الدين، وما انحرف سلوك القوم إلا نتيجة فساد نفوسهم، لذلك جاءت فاصلة الآية تدعوا لأخذ العبرة من مصير المفسدين.

المسألة الثانية: الندم عند الموت

الموت حق على كل نفس قال تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...**﴾[206]، وشتان بين مَنْ يختم عمله بخير فتتلقاه الملائكة بالبشرى، وبين مفسد تتخطفه الملائكة بالضرب على الوجه و الأدبار، وتنتزع روحه انتزاعاً، فيندم على ما فرط وما حمل من أوزار.

([203]) صحيح البخاري ــ كتاب العلم ــ باب طرح المسألة على الصحابة ليختبر ما عندهم ــ ص٢٨ ــ حديث رقم (٦٢).

([204]) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ــ البدر العيني ــ ج٢ص٢٠

([205]) الأعراف: ٨٦

([206]) الأنبياء: ٣٥

وقد وصف السياق القرآني حال المفسدين لحظة موتهم وهم يستغيثون ويستنصرون ويعلنون الإيمان والتوبة، وهذه بعض مشاهد المفسدين لحظة احتضارهم كما بينها القرآن الكريم:

١ــ إعلان التوبة لحظة الموت

قال تعالى مخبراً عن حال فرعون عند موته: ﴿**...حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ * ءَالْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ**﴾[207]، فقد تناولت الآيات الكريمة الحديث عن فرعون في لحظة موته، حين لطمته الأمواج من كل مكان وعاين الموت ورأى أنه أقرب إليه من كل شيء، ورأى سيئ عمله بين يديه، فأعلن إيمانه حين لا ينفع الإيمان، فقيل له آلآن تتوب وقد كنت من العصاة المفسدين في الأرض.

ويحسن هنا أن نذكر مقارنة لطيفة بين يونس بن متي عليه السلام، ذلك العبد الصالح الذي كان يذكر الله تعالى، وبين فرعون الذي كان عبدا طاغياً مفسداً ناسياً لذكر الله تعالى، فأما يونس لما وقع في بطن الحوت سأل الله عز وجل فكان الجواب: ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾[208]، أما فرعون فلما أدركه الغرق قال آمنت، فكان الجواب ﴿**ءالْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ**﴾[209] [210]، فالمفسد يرى سوء عمله عند حتفه فيندم على ما أسرف في دنياه في وقت لا ينفع فيه ندم.

([207]) يونس: ٩٠، ٩١

([208]) الأنبياء: ٨٨

([209]) يونس: ٩١

([210]) انظر: زاد المسير ــ لابن الجوزي ــ ص٦٣٦

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾(النساء: ١٨)

٢ ــ تمني العودة للدنيا لعمل الصالحات

قال تعالى حكاية عن حال المفسدين ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[٢١٢]، ويأتي سياق الآيات في معرض الحديث عن فئة من الناس نَسَبَت لله الولد! وهل هناك أفسد عقيدة ممن نسب لله الولد؟ قال المفسرون: إن طلب العودة إلى الدنيا كان من هؤلاء المحتضرين عند النزع وذلك لهول ما يرون من سكرات الموت وصور أعمالهم القبيحه[٢١٣].

٣ــ البشرى بالعذاب عند الموت

إن من أفسد الأعمال التقول على الله تعالى، لذلك وصف الله سبحانه وتعالى المفسدين المتقولين عليه، بقوله: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا**

([211]) النساء: ١٨

([212]) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠

([213])انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ الطبري ــ م٩ج١٨ص٤١.

كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢١٤]، قال الطبري و القرطبي: نزلت في حق مسيلمة الكذاب، وزاد القرطبي أنها أيضاً في حق كل من قال: بدا لي وأرى، تاركاً سنة النبيﷺ[٢١٥]، وهل هناك أفسد ممن كَذَبَ على الله فادعى النبوة، أو ترك سنة النبي ﷺ وعمل بهواه، وهذا المشهد ــ الذي يصور فيه الحق تبارك وتعالى حال المفسدين الذين عاثوا في الأرض وكذبوا على الله وصدوا عن سبيله ــ يظهر حالة الفزع والندم التي تعتري المفسدين عند معاينة الموت.

من الأمثلة السابقة يستنبط الباحث أن المفسدين إذا عاينوا الموت، رأوا صحائفهم السوداء على مد بصرهم، فيجزعون ويبادرون للتوبة تعبيراً عن ندمهم، ولكن بعد أن سبق عليهم الكتاب فلا تنفع توبة ولا ندم.

المسألة الثالثة: عذاب القبر

وقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية مؤكدين لعذاب القبر، أما القرآن الكريم فقوله تعالى: **﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾**[216]، وأما السنة النبوية فقوله ﷺ **[إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال]**[217]، وقد تمثل عذاب المفسدين بالعرض على النار في الصباح والمساء كما بينت الآية الكريمة حال قوم فرعون، وهم مثل للفساد في الأرض.

([214]) الأنعام: ٩٣

([215]) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ الطبري ــ م٥ج٧ص١٨٣، انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٧ص٣٩.

([216]) غافر: ٤٦

([217]) صحيح مسلم ــ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ــ باب ما يستعاذ منه في الصلاة ــ ج١ص٤١٢ــ ح(٥٨٨).

المسألة الرابعة: سوء المصير يوم القيامة

توعد الله العصاة المفسدين في الأرض بالعذاب الشديد يوم القيامة، وقد ورد في القرآن الكريم صور شتى لألوان العذاب، والمصير الفاضح الذي ينتظر هؤلاء المفسدين الخارجين عن أمر الله تعالى، المحادِّين لرسله، وهذه بعض صور هذا العذاب الذي توعد الله تعالى به المفسدين: -

١ــ العذاب العظيم

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[218]، في هذه الآية يتوعد الله عز وجل المفسدين بعذاب عظيم، بكل ما تعنيه كلمة عظيم.

وقد بين سياق الآيات الكريمة صوراً متنوعة للعذاب الأليم، سيتناولها الباحث بشيء من التوضيح في الفصل الرابع من البحث[219].

٢ــ بغض الله للمفسدين

إن محبة الله للمؤمنين ووده ورضوانه أكبر النعم وأفضلها، بما في ذلك الجنان والأنهار، قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[220]، ولما كانت محبة الله ورضوانه أكبر نعمة، علم بمفهوم المخالفة أن بغضه وعدم محبته للعبد تعتبر من أشد العقوبات.

([218]) المائدة: ٣٣

([219]) انظر: الرسالة الفصل الرابع ص٢٢٧

([220]) التوبة: ٧٢

وقد أفصح الله عن بغضه للمفسدين، فقال: ﴿...وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[221].

٣- عدم مساواة المفسدين بالصالحين

لو أن الله عز وجل أدخل الناس جميعاً الجنة، لما شعر أهل الإيمان بتكريم الله لهم، ولو أدخل الناس جميعاً النار، لما أحس أهل الفساد والفجور بمقت الله عليهم، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[222] ومن العدل أن يفاضل الله بين المحسنين والمفسدين، فلا يستوي الخبيث والطيب، فبشر المؤمنين بالجنان والنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[223]، وتوعد المفسدين بألوان العذاب ــ الشديد والأليم والمقيم ــ ما تقشعر منه الأبدان، قال تعالى: ﴿...فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[224].

والمفاضلة بين المؤمنين والمفسدين في الآخرة فيها من العذاب والألم والوقع الشديد على نفوس المفسدين ما لا يعلمه إلا الله، فعندما يعلم المفسدون المتكبرون أنَّ المؤمنين الذين كانوا فقراءَ ومساكين ومستضعفين في الأرض يسرحون ويمرحون في الجنان والأنهار، ويتقلبون في رضوان الله تعالى، فإن هذا الأمر يقع على نفوس المفسدين كالصواعق المزلزلة

([221]) المائدة: ٦٤
([222]) ص: ٢٨
([223]) التوبة: ٢١
([224]) الحج: ١٩-٢٢

المحرقة، فيزيدهم عذاباً نفسياً فوق العذاب الجسدي الذي يعذبونه، وكما هو معلوم فإن "العذاب النفساني أوقع على العاقل من العذاب الجسماني"[225].

٤ــ المفسدون هم الخاسرون.

توعد الله تعالى المفسدين بالخسران يوم القيامة، فقال في كتابه العزيز: ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[226]، والناس يوم القيامة صنفان:

ــ فائزون، وهم الناجون من النار، قال تعالى: ﴿**...فَمَنْ زُحْزِحَ عَنْ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ...**﴾[227]، وهم المؤمنون العاملون بطاعة الله في الحياة الدنيا.

ــ خاسرون، والمفسدون كما أخبرت الآية هم الخاسرون، وقد أخبر الله عز وجل عن مصيرهم فقال: ﴿**...إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**﴾[228]، فالمفسدون خسروا أنفسهم إذ أوردوها النار بفساد أعمالهم، وهم أيضاً قد خسروا أهليهم، فلم يجدوا لهم في النار أهلاً، وقد كان لهم في الدنيا أهل[229]، ولو وجدوا أهلا في النار فسيكون بعضَهم لبعض عدو ويلعنُ بعضُهم بعضاً ولا يزيدُهم اجتماعهم

([225]) التحرير والتنوير ــ ابن عاشور ــ ج١٤ص٤٤٢.
([226])البقرة: ٢٧
([227]) آل عمران: ١٨٥
([228]) الزمر: ١٥
([229])انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ الطبري ــ م١٠ج٢٣ص١٣١

في النار إلا خسراناً وحسرة وندامة، قال تعالى: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾[230].

ومن خسران المفسدين أيضاً يوم القيامة أنهم يحرمون منازل أعدت لهم في الجنة لو أنهم كانوا صالحين، جاء في حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً أن النبي ﷺ قال: [...**فليس من نفس إلا و هي تنظر إلى بيت في الجنة أو بيت في النار قال: و هو يوم الحسرة قال: فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة ثم يقال: لو عملتم! قال: فتأخذهم الحسرة...**] [231].

٥ - الطرد من رحمة الله وسوء المصير

قال عز وجل: ﴿**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[232]، أي نصيبهم يوم القيامة الطرد من رحمة الله، فلا ينظر إليهم ولا يزكيهم.

٦ــ الزيادة في العذاب

قال تعالى : ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ**﴾[233]، قيل المعنى زدنا قادة الفساد عذاباً فوق عذاب الأتباع، فأحد العذابين على كفرهم و الآخر عن الذين صدوهم[234].

([230]) الزخرف: ٦٧

([231]) المستدرك على الصحيحين ــ النيسابوري ــ ج٤ص٥٤٢ ــ حديث رقم(٨٥١٩) ، قال الإمام الذهبي صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

([232]) الرعد: ٢٥

([233]) النحل: ٨٨

([234]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١٠ص١٤٦.

المطلب الثاني : مظاهر الفساد وآثاره على الأمة

و فيه خمس مسائل :

المسألة الأولى: سفك الدماء

المسألة الثانية: قطع الأرحام

المسألة الثالثة: انتشار الرذيلة

المسألة الرابعة: فقد الأمن

المسألة الخامسة: الفناء و الاستئصال

وكما أن للفساد مظاهره وآثاره على المفسدين أنفسهم، فإن له مظاهر وآثاراً مدمرة في المجتمع، تمزق وحدته، وتذهب قوته، وتؤول به إلى مستقبل مظلم، فلا يُرتجى منه خيـــر ولا يتوقع منه صلاح إلا باجتثاث أصول الفساد من هذا المجتمع وسد سبله.

ويمكن حصر هذه المظاهر والآثار للفساد على المجتمع كما صورها القرآن الكريم في المسائل التالية: -

المسألة الأولى ــ سفك الدماء

إن الإنسان بنيان الله في الأرض، وقد كرم الله تعالى بنيانه فقـــال: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[235]، ومن تمام تكريم الله للإنسان أن توعد من هدمه بغير حق، فقال: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَـــدَّ لَـــهُ عَـــذَابًا عَظِيمًا**﴾[236]، إنه وعيد شديد، ما توعد الله بمثله على معصية قط، فالخلد في النار، وغضب الله، والطرد من رحمته، والعذاب العظيم لمن هدم هذا البنيان.

ولا يشيع القتل وسفك الدماء في مجتمع من المجتمعات، إلا إذا بلغ هذا المجتمع حـــداً من الفساد والجرأة على حدود الله تؤهله لفعل ذلك، بمعنى أن سفك الـــدماء نتيجـــة متوقعـــة للفساد، فساد الفطرة، وفساد في معنى الحياة وغايتها، وفساد في التصور، وفساد فـــي الخُلُـــق،

([235]) الإسراء: ٧٠

([236]) النساء: ٩٣

وفساد في السلوك، وفساد في الروابط والمعاملات، وفساد في كل ما بين الناس من ارتباطات[237]، فالمجتمع الذي يشيع فيه الفسادُ، لا تُراعي فيه حرمة لمال ولا عرض ولا دم، فإذا تدنت الأمة إلى هذه الدرجة السحيقة من الفساد هان على أفرادها الاعتداء على كل شيء.

وقد قرنت الملائكة الكرام بين الفساد وسفك الدماء، قال تعالى على لسانهم: ﴿...أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...﴾[238]، ولعل هذا من قبيل عطف الخاص على العام ــ وذلك لبيان أشنع ما سيكون عليه هذا الفساد، فقد خَصَّتِ الملائكةُ سفكَ الدماءِ وهو من خصوص الفساد وذلك لبيان شناعته، وأن سفك الدماء أعلى درجاته، وما كان لإنسان أن يقترفه إلا إذا بلغ حداً من المغالاة في الفساد.

وقد اعتبر الزمخشري "الفساد في الأرض تهييج الحروب والفتن"[239]، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿...لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ...﴾[240]، وقوله تعالى: ﴿...أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاء...﴾[241]، فالفتن والحروب سميت فساداً لكثرة ما يسفك فيها من دماء، والحروب نتيجة مترتبة عن فساد العلاقة بين أفراد المجتمع أو الجماعات البشرية،

لذا يرى الباحث أن سفك الدماء نتيجة طبيعية لحالة الفساد التي يصل إليها الناس أفراداً وجماعات.

المسألة الثانية ــ قطع الأرحام

([237]) انظر: ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج١ص٤٣٧

([238]) البقرة: ٣٠

([239]) انظر: الكشاف ــ الزمخشري ــ ج١ص١٧٩

([240]) البقرة: ٢٠٥

([241])البقرة: ٣٠

ومن الآثار التي تنشأ عن الفساد في الأمم و المجتمعات، قطع العلاقات والصلات بين أفرادها، فالأصل في الإنسان أنه مخلوق اجتماعي بطبعه وفطرته التي فطره الله عليها قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...**﴾[242]، والسكن هو الطمأنينة والإيناس والراحة النفسية[243]، وقد أمر الشارع الحكيم بصلة ذوي القربى ، فقال: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى...**﴾[244]، كما أوصى بصلة الرحم فقال: ﴿**...وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[245]، ولكن عندما تنحرف الأمة عن منهج ربها ويفسد حالها، تتحلل من روابط الخير وعُرَى الإيمان، وتتخلى عن صلة الأرحام، هذه الرابطة العظيمة التي رفع الله شأنها، وتكفل بوَصلِ من وصلها وقطع من قطعها كما جاء في الحديث القدسي: **[يقول قال الله عز وجل : أنا الرحمن وأنا خلقت الرحم واشتققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته]**[246]، وقد قرن الله تبارك وتعالى بين الفساد وقطع الأرحام في قوله: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[247]، أي أن تعودوا إلى سالف عهدكم من الكفر و الفساد في الأرض وقطيعة الرحم[248]، فإن هذا يشعر وكأن هناك تلازماً بين الفساد وقطع الأرحام، فبعضها يفضي إلى

([242]) الروم: ٢١

([243]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٥ص٢٧٦٣

([244]) النساء: ٣٦

([245]) النساء: ١

([246]) مسند الإمام أحمد ــ ج١ص١٩٤، قال عنه شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره.

([247]) محمد: ٢٢

([248]) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ــ الواحدي ــ ج٢ص١٠٠٣

بعض، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ**﴾[249]، وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[250]، ففي كلا الموضعين يبين السياق القرآني أن من جملة ما أمر الله به أن يوصل هم الأرحام[٢٥١]، وقطعها مقترن بالفساد كما يصف السياق القرآني في هذه الآيات الثلاث[252].

وقد جاء في السنة ما يؤكد ذلك حيث روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **[خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو**[253] **الرحمن فقال له مه، قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك. قال أبو هريرة اقرؤوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**[254]**]** [255].

([249]) البقرة: ٢٧

([250]) الرعد:٢٥

([251]) انظر: زهرة التفاسير ــ محمد أبوزهرة ــ ج١ص١٨٣

([252]) (المفسدون في الأرض ــ جمال بواطنة) انظر: مجلة الإسراء ــ عدد ٥٢ ــ إبريل /٢٠٠٤ــ ص١٥.

([253])الحقو: هو الخصر وموضع شد الإزار وهو الموضع الذي جرت عادة العرب بالاستجارة به لأنه من أحق ما يدافع عنه، كما قالوا نمنعه مما نمنع منه أزرنا فاستعير ذلك مجازا للرحم في استعاذتها بالله من القطيعة. انظر: فتح الباري ــ ابن حجر ــ ج٨ص٥٨٠

([254]) محمد: ٢٢

([255]) رواة البخاري ــ كتاب التفسير ، باب تفسير سورة محمد ــ ص١٠٢٣

ومن هنا يرى الباحث أن قطع العلاقات الطيبة بين أبناء المجتمع، وفي مقدمتها قطع الأرحام، لهو دليل على حالة الفساد التي وصل إليها الناس في هذا المجتمع.

المسألة الثالثة ــ انتشار الرذيلة

الرذيلة: ضد الفضيلة وهي الرديء من كل شيء[256]، في الماديات والمعنويات، والسلوك والأخلاق.

والباحث يقصد بانتشار الرذيلة، ترك الأمة للفضائل وتلبسها بكل ما هو رديء وباطل يوقعها في سخط الله، سواءٌ أكانت هذه الرذيلة فعلاً أم قولاً أم خلقاً.

والأصل في الأمة الإسلامية أنها خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾[257]، وقد جعل الله هذه الخيرية مقترنة بصلاحها القائم على الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الركائز الثلاث هي سر خيرية الأمة، فمتى تخلت الأمة عن هذه الركائز فسد حالها وحلت الرذيلة مكان الفضيلة ونضرب مثلين من صور الرذيلة التي ذكرها القرآن الكريم في معرض الحديث عن المفسدين وهي كما يلي:-

١ــ السرقة

قال تعالى على لسان إخوة يوسف عليه السلام ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾[258]، فإخوة يوسف عليه السلام في هذا المشهد من القصة

([256]) انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١١ص٢٨٠

([257]) آل عمران: ١١٠

([258]) يوسف: ٧٣

يقسمون على براءتهم، و نزاهة جانبهم، وطهارة ذيلهم، عن التلوث بقذر الفساد في الأرض، الذي هو رذيلة ونقيصة، تعتبر السرقة من أعظم أنواعها[259] وهي لا تليق بهم.

٢ــ بخس الميزان

وقال تعالى على لسان شعيب وهو يسدي النصيحة لقومه: **(أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)**[260]، فالتلاعب في الموازين بالتطفيف وبخس الناس حقوقها كل ذلك من أشكال السرقة و الخيانة، وهي رذيلة لا تتفشى وتنتشر إلا في مجتمع فسدت قيمه الأخلاقية[261].

٣ــ الشذوذ الجنسي وقطع الطرق

ومن الرذائل التي تشيع في المجتمعات المفسدة فاحشة اللواط وقطع الطريق والتعرض للناس في أسفارهم لأجل الفاحشة، وكانوا يجاهرون في فعل المنكرات، قال تعالى على لسان لوط وهو يجادل قومه: ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾[262]، والدليل على أن هذه الرذائل كانت قد تفشت في

([259]) انظر: فتح القدير ــ الشوكاني ــ ج٣ص٤٣

([260]) هود: ٨٥

([261]) (المفسدون في الأرض ــ جمال بواطنة) انظر: مجلة الإسراء ــ عدد ٥٢ ــ إبريل /٢٠٠٤ــ ص١٧ــ المفسدون في الأرض.

([262]) العنكبوت:٢٩، ٣٠

القوم حتى غدت خلقاً من أخلاقهم، أن لوطاً عليه السلام قال لهم: ﴿...وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ...﴾ فهم يفعلون الفاحشة في ناديهم[263] ومجالسهم[264]، فهل بعد ذلك من رذيله.

المسألة الرابعة ــ فقد الأمن

وقد بين الله عز وجل أن الأمة التي تنعم بالأمن هي تلك الأمة التي عاشت الإيمان واقعاً في حياتها، خالياً من الإشراك بالله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[265].

فإذا ما تفشت المظاهر التي ذكرها الباحث في المسائل الثلاث، فسفكت الدماء وقُطِّعت الأرحام، وانتشرت الرذيلة وقُطِعَتْ الطريق واستبيحت الأموال ونُقِضت العهود والمواثيق، ذهب الأمن وحل الخوف والرعب، وأصبح الناس غير آمنين في إقامتهم وأسفارهم، فإن أصبح هذا واقع الأمة، فماذا بقي لها من معاني الحياة الكريمة الآمنة؟ وقد تناول السياق القرآني بعضاً من هذه المعاني التي تدلل على أن للمفسدين دوراً في ضياع الأمن وترويع الناس، وذلك من خلال بعض الممارسات نذكر منها ما يلي:

١ــ إشعال الحروب

إن أشد لحظات فقدان الأمن وظهور الخوف في المجتمعات هو زمن الحروب، والمفسدون من وراء هذه الحروب والويلات التي تشتعل بين الأمم والشعوب، قال تعالى في حق بني إسرائيل: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً

([263]) يسمى مكان اجتماع القوم نادياً إذا كان ممتلئاً بأهله. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١٥ص٣١٣

([264]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١٣ص٣٠٣

([265]) الأنعام: ٨٢

وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[266]، فأشنع ما عليه حال المفسدين إشعال الحروب وترويع الآمنين.

٢ــ ترويع ابن السبيل

﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[267]، جاء في التفاسير أن إحدى إفسادات مدين تمثلت بقطع الطريق، وترويع الناس في أسفارهم إذ كانوا يأخذون من أموال الناس العشر عنوة ويتوعدونهم بالقتل، كما كانوا يتوعدون ويخوفون من جاء من الناس قاصداً الإيمان مع شعيب[268].

مما سبق يتبين لنا أن للمفسدين دوراً كبيراً في سلب البلاد نعمة الأمن، وإشاعة الخوف بين الناس في حلهم وترحالهم.

المسألة الخامسة ــ الفناء والاستئصال

تقضي الأمم وتموت كما يقضي الناس ويموتون فلا يبقى منها إلا الأثر، قال تعالى: **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾**[269]، وقال: **﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ * مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾**[270].

وإن بقاء الأمم وتعميرها أمر نسبي مرتبط بصلاح الأمة وفسادها، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾**[271]، جاء في بعض

([266]) المائدة: ٦٤
([267]) الأعراف: ٨٦
([268])انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٧ص٢٢٢، انظر: روح المعاني ــ محمود الألوسي م٣ج٨ص١٧٨
([269]) الأعراف: ٣٤
([270]) الحجر: ٤، ٥
([271]) الأنبياء: ١٠٥

أقوال المفسرين أن المقصود بالأرض: الحياة الدنيا، وأن المقصود بالوراثة هو النصر والتمكين[272]، فالأمة لا تزال يمكن لها في الأرض ما دامت تحافظ على صلاحها.

وقال تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً**﴾[273]، فالآيات تبين أن دمار ممالك بني إسرائيل إنما كان بسبب فسادهم في الأرض، ثم عقب على دمارهم بعد الإفسادتين بقوله: ﴿**وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً**﴾[274] ، أي إن عدتم للفساد عدنا لتدميركم واستذلالكم وسبيكم[275].

وقد جاء في السياق القرآني الكريم العديد من الآيات التي تبين هلاك الأمم بسبب فساد أهلها وكثرة معاصيهم، وهذه طائفة منها:ـــ

١ـــ ﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ**﴾[276]

٢ـــ ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[277].

٣ـــ ﴿**وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ * فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ* فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ**﴾[278]

([272]) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـــ الطبري ـــ م٩ج١٧ص٨٢، تفسير القرآن العظيم ـــ ابن كثير ـــ ج٥ص٣٩٤

([273]) الإسراء: ٤، ٥

([274]) الإسراء: ٨

([275]) انظر: تفسير القرآن العظيم ـــ ابن كثير ـــ ج٥ص٤٩

([276]) النحل: ٤٥

([277]) الأعراف: ٩٦

([278]) الفجر: ١٠- ١٣

المطلب الثالث: آثار الفساد الكونية

و فيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: القحط و الجفاف

المسألة الثانية: الكوارث و الدمار

المسألة الثالثة: اختلال النظام الكوني

المسألة الأولى ــ القحط و الجفاف

إن لمعاصي الإنسان وفساده آثاراً على الكون من حوله، فإذا ما أحسن الإنسان وأصلح في الأرض، فإن السماء تُنْزِلُ من بركاتها، والأرضَ تُخْرِجُ من خيراتها، ويعيش النـــاس فـــي رغد من العيش وسعة، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَـــوْا لَفَتَحْنَـــا عَلَـــيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[279].

وعندما يعمل الناس بمعصية الله تعالى ويفسدون في الأرض، فـــإن الـــسماء تمـــسك خيراتها، والأرض تحبس بركاتها، فتفسد البلاد ويسوء حال الإنسان والنبات والـــدواب، قـــال تعـــالى﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْـــضَ الَّـــذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[280]، وقد بين المفسرون أن المقصود بالفساد في الآية: الجدب الذي يسود في البر: وهي المدن والمزارع البعيدة عن شواطئ البحار، والبحر: وهي المـــدن التـــي على سواحل البحار وضفاف الأنهار، وذلك بسبب معصية الناس لربهم، فمعـــصية الله تعـــالى

([279]) الأعراف: ٩٦

([280]) الروم: ٤١

يترتب عليها حبس المطر وانقطاع الرحمة[281]، وانحباس الماء آفة لو استمرت لهلك الزرع وجف الضرع وانتهت الحياة، لأن الماء عنصر الحياة، قال تعالى:﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾[282].

وقد جاء في السنة المطهرة ما يؤكد أن فساد الناس سبب للقحط وقلة الغيث، إذ أخرج الحاكم في المستدرك من حديث بريدة الأسلمي مرفوعاً **[...ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر]**[283]، ومنع الزكاة صورة من صور الفساد المتمثل في الخروج عن أمر الله.

المسألة الثانية ــ الكوارث و الدمار

الكوارث جمع كارثة، وهي: الشدائد الشاقة التي تَغُم[284]، والدمار: الهلاك والدخول بغير إذن لفعل ما يُكْرَه[285].

والباحث يقصد بالكوارث والدمار: الأحوال الطبيعية من زلازل وغيرها التي تحدث على الأرض فتدمر القرى وتلحق بالناس القتل والتشريد.

والأصل أن الأرض مذللة ممهدة مستقرة يسهل العيش عليها بأمن وسلام، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ**

([281]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٦ص٣٣٦، انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١٤ص٣٨

([282]) الأنبياء: ٣٠

([283]) المستدرك على الصحيحين ــ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ــ ج٢ص١٣٦ــ حديث رقم(٢٥٧٦)، وقد صححه الامام الذهبي في التعليق وقال: صحيح على شرط مسلم.

([284]) انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٢ص١٨٠

([285])انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٤ص٢٩١

النُّشُورُ﴾[286]، وقال ﴿**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**﴾[287]، ولكن عند فساد الناس والمبالغة في العصيان، تخرج الأرض عن هذه الخاصية فتحدث الكوارث والويلات.

والمتدبر في كتاب الله عز وجل يقف على كثير من الآيات الكريمة التي يبين الله تعالى فيها مهالك الأمم السابقة التي أفسدت في الأرض فأضحت معالم قراهم آية على مدار الزمان، ليتعظ الناس ويعلموا أن عاقبة الفساد كوارث ودمار، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ لُوطًا لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[288]،

وهذه صور من الكوارث والدمار الذي عوقبت به أمم أفسدت في الأرض وهي كما يلي:ـ

١ـ الخسف، لما نصح موسى عليه السلام قارون وحضه على فعل الخيرات وترك الفساد في الأرض فقال له: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[289]، فلما أبى إلا الفساد أُخِذَ بعقوبة الخسف، قال تعالى:﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾[290]، فهذه الأرض المذللة الممهدة المفروشة ذات الجبال الرواسي تَخْسِفُ بالمفسدين عقوبة من الله.

([286]) الملك: ١٥
([287]) الذاريات: ٤٨
([288]) الصافات: ١٣٣ ــ ١٣٨
([289]) القصص: ٧٧
([290]) القصص: ٨١

٢ــ الطوفان، والماء عنصر الحياة وهو غيث السماء، ورحمة الله لأهل الأرض، قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[291]، ولكن هذا الماء يتحول إلى نقمة من الله على القوم المفسدين، كما فعل بفرعون وملئه قال تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الطُّوفَانَ...**﴾[292].

٣ــ عذاب الظلة، والسحابةُ في يوم الحر تأتي رحمة للناس يستظلون بظلها، فترطب أبدانهم وتروح عن نفوسهم، ولكنها على المفسدين نيران تحيلهم جثثاً لا حراك لهم، ومدين: القوم الذين أفسدوا في الأرض وقطعوا الطريق وصدوا عن سبيله، أرسل الله إليهم سحابة في يوم حر شديد، فلما هرع القوم ليستظلوا بظلها، قلبها الله عليهم نيراناً[293] فأهلكتهم وجعلتهم أجساداً هامدة، قال تعالى: ﴿**فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[294].

ولعل هذه الأحداث الكونية كالزلازل التي تدك الأرض والطوفان البحري "تسونامي" الذي يدمر مدن بأكملها[295]، فتزهق من جرائه مئات الآلاف من البشر لهو دليل علي سنة الله التي لا تتغير في الظالمين، فهل يتعظ الناس فيصلحوا علاقتهم بربهم عز وجل؟!

المسألة الثالثة ــ اختلال نظام الكون

إن الله عز وجل قد خلق الكون وجعل له نظاماً وقانوناً يضبط عناصره وأجزاءه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[296]، وقال: ﴿**... صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ**

([291]) الشورى: ٢٨

([292]) الأعراف: ١٣٣

([293]) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ــ الواحدي ــ ج٢ص٧٩٦

([294]) الشعراء: ١٨٩

([295]) تسونامي: كلمة يابانية تعني أمواج الموانئ العاتية، وقد ضرب بلاد جنوب شرق آسيا بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٦م واحداً منها فدمر مدن بأكملها وقتل مايزيد على مائتين ألف نسمة. انظر: مجلة المهندس الفلسطيني ــ العدد ٥٠ حزيران ٢٠٠٥م ص٥٦.

([296]) القمر: ٤٩

شَيْءٍ...﴾[297]، والكون كل الكون يخضع لله تعالى ولا يحيد عن أمره ويسجد لـــه ويعظـــم أمره، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي الـــسَّمَاوَاتِ وَمَـــنْ فِـــي الْـــأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَـــقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**﴾[298]، فكل مـــا فـــي الوجود يسجد ويعظم أمر الله، ولا يخالف أمره أو يخرج عن هذا النظام إلا المفـــسدون مـــن عُصاة الإنس والجن، والمفسدون عندما يخرجون عن أمر الله ويعصون رسله إنمـــا يفعلـــون اتباعاً للهوى، وقد ذم الله من اتبع هواه، وجعل اتباع الهوى سبباً لفـــساد الـــسماوات والأرض واختلال النظام الكوني، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْـــوَاءَهُمْ لَفَـــسَدَتْ الـــسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ...**﴾[299]، وقد ذكر الإمام الرازي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة وجوهاً منها: "إن أهواءهم في عبادة الأوثان وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وهما أســـاس المفسدة، والحق هو الإسلام، فلو اتبع الإسلام قولهم لعلم الله حصول المفاسد عند بقـــاء هـــذا العالم، وذلك يقتضي تخريب العالم وإفناءه، ... إن آراءهم كانت متناقضة فلـــو اتبـــع الحـــق أهواءهم لوقع التناقض ولاختل نظام العالم"[300].

وقد جاء في السنة الصحيحة أن الساعة لا تقوم إلا على شـــرار النـــاس، فقـــد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود: عن النبي صلى الله عليـــه وســـلم قـــال: **[لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس]**[301]، وهل شرار الناس إلا المفـــسدون؟! فـــإذا عـــم

([297]) النمل: ٨٨
([298]) الحج: ١٨
([299]) المؤمنون: ٧١
([300]) مفاتح الغيب ــ فخر الدين الرازي ــ ج٢٣ص١١٢
([301]) صحيح مسلم ــ كتاب الفتن وأشراط الـــساعة ــ بـــاب قـــرب الـــساعة ــ ج٤ص٢٢٦٨ـــــ حـــديث رقم(٢٩٤٩)

الفساد وسَادَ أوساط العباد، ولم يعد للمصلحين وجود، فإن ذلك نذير خطر يؤذن بفناء الكـــون، واضطراب نظامه، وقيام الساعة، فأي خطر يمكن أن تواجهه البشرية أعظم من ذلك.

وخلاصة القول: إن ما يحل بالناس من كوارث ودمار في كافة نـــواحي الحيـــاة هـــو نتيجة لفساد الناس وعصيانهم لأمر ربهم قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِـــنْ مُـــصِيبَةٍ فَبِمَـــا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾[302]، فقد فسدت أسباب دنياهم ومحقت، ليذيقهم الله بعض الذي عملوا في الحياة قبل الممات[303].

الفصل الثاني

أنواع الفساد كما يصورها القرآن الكريم

و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فساد النية والقصد

المبحث الثاني: فساد العقيدة

المبحث الثالث: فساد في السلوك والأخلاق

([302]) الشورى: ٣٠

([303]) انظر الكشاف ــ الزمخشري ــ ج٣ص٢٢٤

المبحث الأول: فساد النية والقصد

وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف النية والقصد لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: صور من فساد النية وأقوال العلماء فيها

المطلب الأول: تعريف النية والقصد لغة واصطلاحاً

١- **النية في اللغة**: من نوى الشيء ينويه فهي نية، والنية لغتان: نِيّة بتشديد الياء عند كونها بالسر، وأصلها نوية أدغمت الواو في الياء ووزنها فعلة، واللغة الثانية: نِيْة خففت بحذف الواو ووزنها فلة بحذف العين، وقال جماعة المشددة من نوى والمخففة من ونى، يقال ونى إذا أبطا وتاخر ولما كانت النية تحتاج في تصحيحها إلى إبطاء وتأخر اشتقت من وَنِىَ، وقيل مأخوذة من النوى: البعد كأن الناوي يطلب بعزمه ما لم يصل إليه، ومجمل كلام أهل اللغة أنها من نوى الشيء إذا قصده وتوجه إليه، أي قصده واعتقده[304]، وقيل نوى الشيء: أي قصده، والنِيَّةُ: الوجهُ الذي يُذْهَبُ فيه[305].

والقَصْد: يراد به استقامة الطريق، ويقال: قصدت قصده أي: نحوت نحوه[306]، والنية والإرادة والقصد عبارات ذات معنىً واحد، تفيد حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران: علم وعمل، والعلم له الصدارة لأنه أصله وشرطه، والعمل يتبعه لأنه ثمرة له وفرع، فكل عمل من حركة

([304]) انظر تاج العروس ج١٠ص٣٧٩

([305]) القاموس المحيط ــ الفيروز أبادي ــ ج٢ص٣٢٧

([306]) مفردات ألفاظ القران – الأصبهاني ــ ص٦٧٢

وسكون اختياري لا يتم إلا بثلاثة أمور: علم وإرادة وقدرة، فالإنسان لا يريد مالا يعلمه، فلابد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من إرادة[307]

٢ - النية في الاصطلاح:

من خلال التعريف اللغوي للنية والقصد نجد أن لهما معنىً مشترك، وقد عرفها الإمام ابن القيم فقال: "**النية هي: القصد والعزم على فعل الشيء ومحلها القلب، ولا تعلق لها باللسان**"[308]، وقد عرفها الإمام أبو حامد الغزالي بأنها "**انبعاث القلب إلى ما يراه موافقا للغرض إما في الحال أو في المآل**"[309] وقد عرفها الدكتور عدنان النحوي بأنها "**القصد والعزيمة والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى وحده بالعمل**"[310]، ويرى الباحث أن تعريف الإمامين ابن القيم والغزالي أقرب إلى التعريف الشامل، إذ إن النية في تعريفهما تعني مطلق النية، الصالحة والفاسدة على حد سواء، حيث جعلاها الباعث القلبي للعمل بصورة عامة، بينما تعريف الدكتور النحوي قصرها على النية الصالحة والتي يكون هدف العامل فيها طلب وجه الله تعالى، وحيث إن موضوع البحث متعلق بـ (الفساد والمفسدون)، فإن التعريف الذي أرتضيه في هذا البحث هو "**الباعث القلبي لسلوك المكلفين**" وهذا التعريف ينسحب على كل الأعمال سواءً أكان هذا العمل قلبياً كالحب أو البغض أم فعلياً أم قولياً أو سكوناً، أمضى فيه إرادته أم لا، فإن كان الباعث من وراء العمل خيراً يحبه الله، كانت النية صالحة مقبولة، وإن كان الباعث فاسداً لا يحبه الله كانت النية فاسدة ممقوتة.

([307]) انظر: احياء علوم الدين ــ أبو حامد الغزالي ــ ج٤ص٣٨٤

([308]) إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان ــ ابن قيم الجوزية ــ ج٣ص١٣٦

([309]) إحياء علوم الدين ــ أبو حامد الغزالي ــ ج٤ص٣٨٥

([310]) النية في الإسلام وبعدها الإنساني ــ عدنان النحوي- ص١٩

المطلب الثاني: صور من فساد النية وأقوال العلماء فيها

النية ركن هام في كل عمل يُبْتغَى به وجه الله تعالى، فهي تحدد الدافع والمقصد للعمل، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٣١١]، وقال أيضاً: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...**﴾[312] فصلاح النية شرط لقبول العمل وفسادها من أهم مبطلاته، ومن هنا فقد اهتم القرآن الكريم بشأن النية وعظم شأنها، وكذا السنة النبوية المطهرة والعلماء منذ أقدم العصور.

أما القرآن فقد تناول الحديث عن النية بصيغ متعددة، ومدح النية الصالحة ورفع من شأن أصحابها، وبين ما يترتب عليها من عزة وكرامة في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿**...فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً**﴾[313]، وذم النية الفاسدة ولمز أصحابها علي سبيل الترهيب، فقال: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي**

([311]) الأنعام: ١٦٢

([312]) البينة: ٥

([313]) الفتح: ١٨

الصُّدُورُ﴾[314]، وبين ما يترتب على أصاحبها من الخسران في الدنيا والآخـــرة، وفـــضحهم وكَشَفَ عن خفايا نفوسهم، وبين خطر النية الفاسدة على حياة الفرد في الدنيا والآخرة، ليتجنبَ الموحدون التشبه بهم أو التلبس بأفعالهم، فالنية الفاســـدة كفيلـــة بإبطـــال العمـــل ورده، قـــال تعالى:﴿**...إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[315].

صور من فساد النية

وقد تناول السياق القرآني فساد النية في مجالات متعددة من حياة الإنسان، ويمكن بيان ذلك فيما يلي

١- في ناحية الإيمان والاعتقاد، قال تعـــالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُـــسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[316]، فالأصل في العمل أن يقـــصد بـــه صاحبه الأجر والثواب من الله تعالى، وهذه هي مقاصد الصالحين، ولكن المفسدين المستكبرين رفضوا الحقيقة التي أيقنتها قلوبهم، لما علموا أن الإقـــرار بهـــا يـــسلبهم زعـــامتهم الباطلـــة وسلطانهم الجائر، فلم يكن سبب هذا الكفر إنكاراً للحقيقة، بل كان من ورائه مقصد خبيـــث، إذ إنهم أرادوا بقاء زعامتهم وتسلطهم على رقاب المستضعفين من بني إسرائيل في ذلك الزمان، وهذا مقصد فاسد لا يحبه الله بل يبغضه، وقد جاء في تفسير هـــذه الآيـــة أن نفـــوس هـــؤلاء المفسدين قد أيقنت صدق موسى عليه السلام وما جاء به من الآيات من ربه، وما كان جحدوهم بها

([314]) غافر: ١٩

([315]) المائدة: ٢٧

([316]) النمل: ١٤

إلا نتيجة حصول الكفر عناداً[317]، وهذا هو فساد النية والمقصد الذي دفع إلى جحد الحقيقة رغم اليقين بها.

٢- في ناحية التصور والمعايير، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾[318]، إن المتدبر في هذه الآية يستخلص أن مقاصد المنافقين فاسدة، لأنهم لما رأوا أن أعمالهم متوافقة مع ما في قلوبهم، دافعوا عنها لاعتقادهم بأن ما هم عليه من الفساد هو عين الصلاح، "والذين يفسدون أشنع الفساد، ويقولون: إنهم مصلحون، كثيرون جدا في كل زمان، يقولونها لأن الموازين مختلة في أيديهم، ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم، والذين لا يخلصون سريرتهم لله، يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم، لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يثوب إلى قاعدة ربانية، ومن ثم يجيء التعقيب الحاسم والتقرير الصادق: ﴿**أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ**﴾[319] "[320]

٣- في ناحية الجهاد والأخذ بالأسباب، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾[321]، تتناول الآية الحديث عن فئة من المنافقين الذين تخلفوا عن المشاركة في غزوة تبوك مع رسول الله ﷺ، فقد تذرعوا بأعذار واهية تنم عَمَّا في قلوبهم من جبن وخور، والله عز وجل يظهر خفايا قلوبهم، فهم لم يكلفوا أنفسهم عناء الاستعداد، وإنهم لوا أرادوا المشاركة على وجه الحقيقة

([317]) انظر: تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن ــ عبد الرحمن الثعالبي ــ ج٢ص٤٩٤

([318]) البقرة: ١١

([319])البقرة: ١٢

([320]) انظر: في ظلال القران ــ سيد قطب ــ ج١ص٤٤

([321]) التوبة: ٤٦

لأعدوا للأمر عدته، فتركهم الاستعداد والتأهب للخروج عن عمد وقصد فيه دليل علـــى إرادة التخلف[322]، وهذا دليل على فساد نواياهم، فحبهم الدنيا وشدة تعلقهم بها دفع بهم لترك الجهـــاد مع قدرتهم عليه.

٤- في ناحية إنفاق المال، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّـــاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاءَ قَرِينا**﴾[323].

٥ – في ناحية الشعائر والعبادات، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُـــوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَـــذْكُرُونَ اللَّـــهَ إِلَّـــا قَلِيلًا**﴾[324]، وهل هناك أفسد نية ممن يطلب بصلاته وُدَّ الخلق.

٦ــ في ناحية معاملة الأيتام ورعايتهم، قال تعالى: ﴿**...وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ...**﴾[325]، أي يعلم من قصده صالح أو نيته الإفساد عند مخالطته لمال الأيتام الذين في كفالته[326]، وقـــد أجازت لهم التصرف في أموالهم إذا صح القصد[327].

([322]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ محمد بن احمد القرطبي ــ ج٨ص١٤٢

([323]) النساء: ٣٨

([324]) النساء: ١٤٢

([325]) البقرة: ٢٢٠

([326]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج١ ص٥٥٧، انظر: المقتطـــف مـــن عيـــون التفاســـير ــ المنصوري ــ ج٢ص ٢٣٥

([327]) انظر: التفسير المنير ــ وهبة الزحيلي ــ م١ح٢ص٢٨٦

أما السنة فقد جاءت الأحاديث الشريفة تبين فضل النية الصادقة وأثرها الطيب، وتحذر من خطر النية الفاسدة وتبين أثرها الخبيث وهلاك أصحابها، وأكتفي بإيراد حديثين لبيان ذلك وهما كما يلي:

١- ففي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال ﷺ **[إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه]**[328]، "أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته، قال الشافعى[329] وآخرون: هو ثلث الإسلام، وقال الشافعى: يدخل في سبعين باباً من أبواب الفقه، وقال آخرون: هو ربع الإسلام، وقال عبد الرحمن بن مهدى[330]: وغيره ينبغى لمن صنف كتابا أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيها للطالب على تصحيح النية"[331]، والتقدير في قوله الأعمال بالنيات أي: صالحة أو فاسدة، مقبولة أو مردودة، مثاب عليها أو غير مثاب، كل ذلك مرتهن بالنيات، فيكون صلاحها وفسادها بحسب صلاح النية وفسادها[332].

٢- حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **[إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول، قال:**

([328]) صحيح مسلم ــ كتاب الإمارة ــ باب السفر ــ ج٣ص١٥١٥ــ حديث (١٩٠٧)

([329]) هو العلامة الفقيه الفذ محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور، توفي سنة ٢٠٤هـ. انظر: كتاب الثقات ــ ابن حبان ــ ج٩ص٣١

([330]) عبد الرحمن بن مهدي أبو سعيد، ثقة كثير الحديث من فقهاء التابعين بالبصرة، توفي سنة ثمان وتسعين ومائة، انظر: الطبقات الكبرى ــ ابن سعد ــ ج٧ص٢٩٧

([331]) شرح النووي على مسلم ــ ج١٣ص٤٦

([332]) جامع العلوم والحكم ــ ابن رجب الحنبلي ــ ص١٨

لأنه أراد قتل صاحبه][333]، فهو قد قُتِلَ ولم يَقْتلْ، لكنه مات على نية فاسدة، هي الحرص على قتل أخيه، فكانت هذه النية الفاسدة كافية لترديه في النار.

ولعلماء المسلمين أقوال جميلة في فساد النية وصلاحها نورد منها ما يلي:

١- عن عمر أنه كتب لابنه عبد الله قال: "لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له، يعني لا أجر لمن لم يحتسب ثواب عمله عند الله عز وجل"[334]

٢- قال عبد الله بن المبارك[335]: "رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية"[336]

٣- وقال داود الطائي[337]: "البر همته التقوى، فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا، لردته نيته يوما إلى نية صالحة، وكذلك الجاهل بعكس ذلك"[338]، أي والجاهل يتخبط بنيته الفاسدة.

٤- وعن سفيان الثوري[339] قال: "ما عالجت شيئا أشد على من نيتي لأنها تنقلب"[340]

([333]) صحيح مسلم ــ الإمام مسلم ــ كتاب الفتن وأشراط الساعة ــ باب إذا تواجه المسلمان ــ ج٤ص٢٢١٣ــ حديث(٢٨٨٨)

([334]) كنز العمال ــ على الهندي ــ ج١٦ص١٨٣

([335]) هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي تابعي ثقة، العالم المجاهد الزاهد الشهير، اجتمعت فيه خصال الخير، توفي سنة ١٨١هـ. انظر: تهذيب التهذيب ــ أحمد بن حجر العسقلاني ــ ج٥ص٣٣٧.

([336])جامع العلوم والحكم ــ ابن رجب الحنبلي ــ ص٢١

([337]) هو داود بن نصير الطائي، تابعي فاضل ثقة، من الطبقة الرابعة من أصحاب الأعمش مات سنة ١٦٠، انظر: تهذيب التهذيب ــ أحمد بن حجر العسقلاني ــ ج٣ص١٧٦.

([338])جامع العلوم والحكم ــ ابن رجب الحنبلي ــ ص٢١

([339]) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، العالم الزاهد الثقة من أئمة وأعلام السنة، توفي بالبصرة سنة٦١هـ. انظر: تهذيب التهذيب ــ أحمد بن حجر العسقلاني ــ ج٤ص٩٩

([340])نفس المصدر

٥- وعن يوسف بن أسباط[341] قال: "تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد"[342]، وفي ذلك إشارة إلى خطورة فساد النية والقصد.

٦- قال ابن الجوزي[343]: "من أحب تصفية الأحوال، فليجتهد تصفية الأعمال"[344]

المبحث الثاني: فساد العقيدة

و فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: فساد الاعتقاد في الإلهيات

([341]) يوسف بن أسباط بن واصل، كوفي ثقة، شيخه شفيان الثوري، توفي سنة١٩٥، انظر: تهذيب التهذيب ــ ابن حجر ــ ج١١ص٣٥٨

([342]) جامع العلوم والحكم ــ ابن رجب الحنبلي ــ ص٢١

([343])الإمام أبو الفرج ابن الجوزي هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله البكري من ولد الإمام أبى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، مفسر وواعظ شهير، توفي عام ٥٩٧. انظر: طبقات المفسرين ــ السيوطي ــ ص٥٠

([344]) صيد الخاطر ــ عبد الرحمن بن الجوزي ــ ص١٢

المطلب الثاني: فساد الاعتقاد في النبوات

المطلب الثالث: فساد الاعتقاد في الغيبيات

المطلب الأول: فساد الاعتقاد في الإلهيات

يقصد الباحث بفساد الاعتقاد في الإلهيات: الاعتقاد بخلاف ما جاء في كتاب الله تعالى والسنة النبوية الصحيحة، فيما يتعلق بذات الله عز وجل.

تناول القرآن الكريم الحديث عن الكفار والمنافقين في مناسبات عديدة، واصفاً فساد اعتقادهم في ذات الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات الكريمة، وفند مزاعمهم ورد أباطيلهم، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

أولاً: فساد الاعتقاد في مجال الربوبية

الرَّبُّ يُطْلَق في اللغة على المالكِ والسَّيِّدِ والمُدَبِّر والمُرَبِّي والقَيِّمِ والمنعم، ورَبُّ كلِّ شيءٍ مالكُه، وكُلُّ مَنْ مَلَك شيئاً فهو رَبُّه، ولا يُطلَق دون إُضافةٍ إلاّ على اللّه عزّ وجلّ، وإذا أُطْلِق على غيرِه أُضِيفَ، والرُّبوبِيَّة ما نسب إلى الرَّبِّ، ووزنها على غير قياس[345].

([345]) انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١ص٣٩٩

ورغم الجاهلية التي كان يعيشها العرب قبل الإسلام إلا أنهم كانوا يقرون لله بالربوبية، قال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...**﴾[346]، وأثبتَ القرآن الكريم أن النمرود بن كنعان وفرعون قد ادعى كلٌ منها الربوبية لنفسه، فأما النمرود فقد ادعى لنفسه القدرة على الإماتة والإحياء، فقال الله على لسانه: ﴿**...قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ...**﴾[347]، والموت والحياة من مقتضيات الربوبية التي يختص بها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ...**﴾[348]،وأما فرعون فقد ادعى الربوبية، وتصرف في شأن الخلق دون مراعاة لحقوقهم منطلقاً من دعواه الباطلة بالربوبية، قال الله تعالى بشأنه: ﴿**فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾[349]، وقد وصفه تعالى فقال: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[350]، ففي الآية الكريمة وصف لألوان فساد فرعون الذي مارسه على رقاب المستضعفين ظناً منه أنه ربٌ لا يُسأل عما يفعل، وفي ذلك اعتداء على سلطان الله في الأرض، فهل هناك أفسد عقيدة ممن منح نفسه هذه المكانة؟!.

ثانياً: فساد الاعتقاد في مجال الألوهية

([346]) الزخرف: ٨٧

([347]) البقرة: ٢٥٨

([348]) الملك: ١، ٢

([349]) النازعات: ٢٣، ٢٤

([350]) القصص: ٤

الإله هو المعبود بحق أو بغير حق قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً**﴾[351]، فكل معبود فهو إله، والأُلُوهِيَّةُ بمعنى العبادة، والمعبود بحق هو الله وحده، قال تعالى: ﴿**...إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ...**﴾[352]، وقد قرأ ابن عباس قوله تعالى: ﴿**...وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ...**﴾[353]، ﴿**...ويَذَرَك وإلاهَتَك...**﴾ بكسر الهمزة أي وترك عبادتك[354].

ويقصد الباحث بفساد الاعتقاد في مجال الألوهية: أن يعتقد المرء وجود مَن يستحق العبادة مع الله.

وقد كان معظم فساد الأمم السابقة وشركها في هذا الجانب، إذ اتخذت كل أمة إلهاً لها عبدته دون الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّا**﴾[355]، والله عز وجل نهى عن ذلك وأمر بإفراد ذاته بالعبودية فقال: ﴿**وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾[356]، وقد بين سبحانه فساد هذا المعتقد وما يترتب عليه من هلاك السموات والأرض نتيجة فساد من فيهن، قال تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[357].

([351]) مريم: ٨١
([352]) النساء: ١٧١
([353]) الأعراف: ١٢٧
([354]) انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١٣ص٤٦٧
([355]) مريم: ٨١
([356]) النحل: ٥١
([357]) الأنبياء: ٢١، ٢٢

وقد ذم الله هذا المعتقد وأهله في كتابه الكريم، قال تعالى آمراً نبيه ﷺ أن يقول لقومه: ﴿...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[358]، فالوحي كما تبين الآية جاء بالبراءة والتحذير من اتخاذ الآلهة مع الله، لما يترتب على ذلك من فسادٍ في العقيدة، يتبعه فسادٌ في سائر نواحي الحياة، ولعل ذلك يتضح بالشواهد القرآنية التالية:ـ

١ـ فساد عقيدة من دعا أو استعان بغير الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاء شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمْ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ * وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[359]، فالآية الأخيرة جاءت تعقيباً على الآيات التي قبلها، حيث يتناول السياق القرآني صنفاً من المشركين جعلوا لله أنداداً، فضاعف الله لهم العذاب، لصدهم عن سبيله، ولفساد عقيدتهم، فقد أشركوا بالله لما استغاثوا بغيره فقالوا: ﴿...هَؤُلَاء شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ...﴾.

٢ـ فساد عقيدة فرعون، قال تعالى في حقه: ﴿... حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ * ءَالْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ

([358]) الأنعام: ١٩

([359]) النحل: ٨٨

قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ﴾[360]، لقد جاء إقرار فرعون بوحدانية الله تعالى في الوقت الذي لا تنفع فيه التوبة، وكان قد ادعى لنفسه الألوهية، لأجل ذلك وصمه الله بالمفسد، وهذا دليل على أن اعتقاد تعدد الآلهة نوع من الفساد، فتعدد الآلهة أمر اعتقادي، والسلوك والأخلاق تبع للاعتقاد، وقد تلبس فرعون بفساد اعتقاده في الألوهية، وتبع ذلك سائر أنواع الفساد.

٣ - فساد عقيدة مدين، قال تعالى: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا....**﴾[361]، فنهاهم عن الشرك بالله أولاً، ثم أمرهم بإصلاح معاملاتهم مع الخلق، ووصف ما كانوا عليه من شرك وتطفيف بالفساد، فالشرك بالله واعتقاد تعدد الآلهة فساد، له الصدارة في الوعظ لدى الأنبياء.

ثالثاً: فساد الاعتقاد في أسماء الله وصفاته

قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**[362]، فالله سبحانه وتعالى سمى نفسه بأسماء فقال: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾**[363]، وسمى صفاته بأسماء فقال: ﴿**...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**[364]، وهذه الأسماء إذا أطلقت، والصفات إذا أضيفت إليه، كانت مختصة به لا يشركه فيها أحد[365]، وأهل السنة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له

([360]) يونس: ٩٠، ٩١

([361]) الأعراف: ٨٥

([362]) الأعراف: ١٨٠

([363]) البقرة: ٢٥٥

([364]) الشورى: ١١

([365]) انظر: الرسالة التدمرية ــ ابن تيمية ــ ص١٤

نبيه ﷺ من الأسماء والصفات، دون تشبيه ولا تعطيل، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه نبيه ﷺ من الأسماء والصفات، وأما مَن حاد عن هذه القاعدة فقد ألحد في أسماء الله وصفاته وفسدت عقيدته في هذا الجانب[366].

وقد بين القرآن فساد من حادَ عن الصواب في أسماء الله وصفاته حيث قال تعالى: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**[367]، إن فساد عقيدة يهود في ذات الله سبحانه وتعالى واضح من خلال الآية الكريمة، وقد قص القرآن الكريم كثيراً من الأخبار التي تبين فساد عقيدتهم في هذا الجانب، فهم الذين قالوا: **﴿...إن الله فقير ونحن أغنياء...﴾**[368] عندما سئلوا النفقة! وهم يقولون في هذا الموقف: **﴿...يد الله مغلولة...﴾**، يريدون أن يبرروا ما هم عليه من البخل، فالله في اعتقادهم الفاسد لا يعطي الخلق إلا القليل، فرد عليهم هذا التصور الفاسد السقيم، ووصف ذاته سبحانه بالوصف الكريم الذي يليق بجلاله وهو يفيض على عباده من فضله بلا حساب فقال: **﴿..بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء...﴾**، وعطاياه سبحانه وتعالى ظاهرة للعيان يلمسها كل الخلق، لا تنقطع ولا تنفد، وهي شاهدة ليده المبسوطة بالتفضل والنعمة على خلقه[369]، ففسادهم كما تصوره الآية بدأ بفساد عقيدتهم وتصورهم لصفات الله تعالى وتبع ذلك أنواع كثيرة من الفساد كالحقد والحسد للأمم من بعدهم والتباغض

([366]) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ــ ابن أبي المعز الحنفي ــ ص٢٩

([367])المائدة: ٦٤

([368]) آل عمران: ١٨١

([369]) في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــج٢ص٩٢٩

وإشعال الحروب بين الناس ونشر الفساد في الأرض، لذلك عقب الله على ادعائهم الباطل وأفعالهم المنحرفة القبيحة بقوله: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾.

وتدخل كل الآيات الكريمة التي تحمل هذا المعنى الباطل من افتراء على الله، ووصفه بما لا يليق، كشاهد على فساد الاعتقاد في أسماء الله والصفات لدى من اعتقدها أو قال بها، ومثال ذلك في القرآن كثير نورد منها ما يلي:

١ ــ فساد عقيدة من نسب لله الولد، قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[370]، فهل هناك أفسد تصوراً وعقيدة ممن جعل الخالق كالمخلوق، فنسب لله ما نفاه سبحانه عن نفسه، قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[371].

٢ ــ فساد عقيدة من جعل لله البنات، قال تعالى: ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ**﴾[372]، وقد كان هذا قول المشركين من العرب، حيث أن الآيات التالية[373] تبين أن من ادعى ذلك كان يأد البنات وهذه من صفات الجاهلية العربية.

وفساد عقيدتهم في الآية يأتي من طريقين:

الأولى: من حيث أنهم نسبوا لله تعالى الولد، والله تعالى يقول: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ...**﴾[374].

([370]) التوبة: ٣٠

([371]) الآخلاص: ١-٤

([372]) النحل: ٥٧

([373]) ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾، النحل: ٥٨، ٥٩

الثانية: أنهم ينسبون لله تعالى ما يستقبحونه لأنفسهم، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ**﴾[375]، فما أقبحه من قول وما أفسدها من عقيدة أن يدعي العبد لربه ما يستقبحه لنفسه.

٣ ــ ومن الفساد في الصفات أيضاً رفع الصوت في الدعاء، قال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْمُحْسِنِينَ**﴾[376]، قال ﷺ: **[سيكون قوم يعتدون في الدعاء]**[377]، وقال ابن جريج: "إن من الدعاء اعتداء يُكره، رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء، ويؤمر بالتضرع والاستكانة"[378]، والاعتداء في الدعاء على وجوه: منها الصياح، وأن يدعو طالبا معصية وغير ذلك[379] ، ومن الملاحظ أن الآيات تحث على الدعاء والكف عن الاعتداء، ثم تدعو لترك الفساد في الأرض وفي ختام الآية تُذكِّرُ بأدب الدعاء وقرب رحمة الله من المحسنين، ولعل في ذلك إشارة إلى أن الاعتداء في الدعاء وعدم مراعاة آدابه صورة من صور فساد التعامل مع الله خاصة إذا اعتقد الداعي أن الله لا يسمعه ولا يستجيب له إلا بهذه الوسيلة.

([374]) المؤمنون: ٩١

([375]) النحل: ٦٢

([376]) الأعراف: ٥٥، ٥٦

([377]) سنن ابن ماجة ــ كتاب الدعاء ــ باب الاعتداء في الدعاء ــ ج٢ص١٢٧١ــ حديث رقم(٣٨٦٤)، قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته ــ ناصر الدين الألباني ــ ج١ص٦٨٤ــ حديث رقم(٣٦٧١)

([378]) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ الطبري ــ م٥ج٨ص١٤٧

([379]) الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٧ص١٩٩

المطلب الثاني: فساد الاعتقاد في النبوات

النبوة من نبأ يُنبئ فهو نَبِيءُ، ونبي ونبيءُ لغتان يقصد بهما المُخْبِر عن اللّه عز وجل والمصدر نبوة، وقيل الهمز في النَّبِيءِ لغة رديئة لقلة استعمالها، وقيل للنبي ﷺ: يا نَبِيءَ اللّه، فقال للقائل: لا تَنْبِر[380] باسْمي فإنما أَنا نَبِيُّ اللّه، وفي رواية فقال: لستُ بِنَبِيءِ اللّـهِ ولكنِّـي نبيُّ اللّه وذلك أَنه عليه السلام أَنكر الهمز في اسمه فرَدَّه على قائله، وقيل: النبوة ومنها االنَّبيُّ مشتق من النَّبَاوةِ وهي الشيءُ المُرْتَفِع[381].

و"النبي مَنْ أوحي إليه بِمَلَكٍ أو أُلْهِمَ في قلبه أو نُبِّهَ بالرؤيا"[382]،

والأنبياء بشر مثلنا أوحى الله تعالى إليهم، قال تعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...**﴾[383]، وهم صفوة خلق الله، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[384]، أرسلهم الله لهداية الناس، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿**...قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[385] ويقصد بالنور هنا: النبي محمد ﷺ[386]، وهو متمم سلسلة النبوة المباركة، وقد جعل الله الإيمان بهم من أركان الإيمان الكامل الصحيح، قال

([380]) النبر بالكلام الهمز به، لا تنبر أي لا تهمز. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٥ص١٨٨

([381]) لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١ص١٦٢

([382]) التعريفات ــ علي بن محمد الجرجاني ــ ص٢٩٤

([383]) الكهف: ١١٠

([384]) الحج: ٧٥

([385]) المائدة: ١٥، ١٦

([386]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٦ص١١٥

تعالى: ﴿...وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...﴾[387] والبر هنا شمل عرى الإسلام والإيمان[388]، وأوصى بطاعتهم وتوقيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ...﴾[389]، وحذر من الكفر بهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[390]، أو إيذائهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[391]، أو الصد عن سبيلهم وجعل ذلك من النفاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾[392].

ويرى الباحث أن الإساءة إلى نبي من الأنبياء أو النيل من احدهم هو فساد في الاعتقاد في الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾[393]، فأنبياء الله تعالى يصدق بعضهم بعضاً وكل نبي يبشر بمن بعده ويمهد له، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ

([387]) البقرة: ١٧٧

([388]) انظر: تفسير لقرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج١ص٤٤٢

([389]) الفتح: ٨، ٩

([390]) النساء: ١٣٦

([391]) الأحزاب: ٥٧

([392]) النساء: ٦١

([393]) النساء: ١٥٠، ١٥١

لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[394].

وقد بين القرآن صوراً متعددة لفساد عقائد الأمم في رسل الله وتكذيبهم، نذكر ما يلي:

١ - فساد قوم نوح في النبوات، قال تعالى على لسانهم: **﴿...فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾**[395]، فهم يصفون نوحاً عليه السلام بأنه طالباً للزعامة والرفعة، ثم يتمادون في الأمر فيعلنون رفضهم لمبدأ النبوة بدعوى أنها ليست موروثاً من الآباء والأجداد.

٢ــ فساد اعتقاد فرعون وملئه بنبوة موسى عليه السلام، ويمكن بيان ذلك من موقفين:

أ- قال تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾**[396]، "ظلموا بها أي: كذبوا بها"[397]، فلما كفر فرعون وقومه بما جاء به موسى عليه السلام من الآيات البينات، وصفهم الله بالمفسدين، فتكذيبُ فرعونَ وقومِهِ بآيات موسى عليه السلام هو تكذيب لموسى عليه السلام، لأن ذلك فساد في العقيدة والتصور نحو نبي من أنبياء الله.

ب- قال تعالى: **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾**[398]، **﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ**

([394]) آل عمران: ٨١
([395]) المؤمنون: ٢٤
([396]) الأعراف: ١٠٣
([397]) فتح القدير ــ الشوكاني ــ ج٢ص٢٣١
([398]) غافر: ٢٦

مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾[399]، والأنبياء هم صفوة الله في خلقه، فمن اعتقد فيهم خلاف ذلك فقد فسد اعتقاده في أنبياء الله تعالى.

٣ــ فساد بني إسرائيل مع رسل الله تعالى، قال تعالى: ﴿**...أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾[400]، فماذا بقي للقوم من اعتقاد في أنبياء الله عز وجل بعد قتلهم أو تكذيبهم.

٤ - فساد اعتقاد قريش بنبوة محمد ﷺ، فالقوم تارة يستغربون أن يكون بشراً نبياً، يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا * انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**﴾[401]، وهذا الإنكار ناتج عن جهلهم وفساد اعتقادهم في النبوة.

وتارة ينكرون آيات الله تعالى ويكذبونها، قال تعالى: ﴿**قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾[402]، تبين الآية الكريمة أن قريشاً كانت تكذب النبي ﷺ في العلن، وهي مع ذلك تقر بصدقه وأمانته في السر،

([399]) الأعراف: ١٢٧

([400]) البقرة: ٨٧

([401]) الفرقان: ٧-٩

([402]) الأنعام: ٣٣

وما ذلك إلا جحوداً منها بالقرآن[403] الذي هو دليل النبوة وعنوانها، وقد جاء في سياق القرآن العديد من الآيات التي تبين فساد عقيدة القوم في فهمهم للنبوة.

وفساد الاعتقاد في الأنبياء والإساءة إليهم منهج قديم وليس بالأمر الجديد، فقد كان الناس ولايزالون حتى أيامنا هذه يسيئون أدبهم مع أنبياء الله تعالى، وما هذه الرسومات الكرتونية التي عرضتها مجلة دينماركية[404] إلا نموذج عن فساد الاعتقاد في أنبياء الله على مدى الزمان.

المطلب الثالث: فساد الاعتقاد في الغيبيات

الغَيْبُ هو كلُّ ما غاب، وهو عكس المشاهد، قال تعالى: ﴿**...عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ...**﴾[405]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِيْنَ يُؤمِنُونَ بالغَيْبِ...**﴾[406] أي يؤمنون بما غابَ عنهم مما أَخبرت به الأنبياء عليهم السلام من أَمرِ البَعْثِ والجنةِ والنار، وهو أيضاً ما غابَ عن العُيونِ وإِن كان مُحَصَّلاً في القلوب[407]، وقيل: ما لا يقع تحت الحواس، ولا تعلم حقيقته العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبإنكاره يقع على الإنسان اسم

([403]) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ــ علي بن أحمد الواحدي ــ ج١ص٣٥١

([404]) عرضت مجلة يولاندزبوستن الدنامركية بموافقة من المحرر الثقافي للجريدة فيلمنج روس، بعرض صور كرتونية ترمز للنبي ﷺ بصورة مجرم حرب وقد وضع على رأسه عمامة.انظر: جريدة الحياة الجديدة ــ فلسطين ــ العدد٣٦٩١ــ ٢٠٠٦/١/٣١ــ ص٩

الدينامارك دولة تقع شمال غرب القارة الأوروبية . انظر: أطلس العالم: أطلس جغرافي مصورــ مكتبة الصغّارــ ص٣٠٣

([405]) التوبة: ١٠٥

([406]) البقرة: ٣

([407]) انظر لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١ص٦٥٤

الإلحاد[408]، والغيب لا يعلمه إلا الله وحده سبحانه وتعالى، ويُظْهِرُ على بعضه من يشاء من رسله، وذلك وفق مراده عز وجل، نذيراً أو بشرى للعباد وتصديقاً لنبوة من يشاء من رسله، قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً**﴾[409].

ويقصد الباحث بالغيبيات: كل ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام من أمور غيبية ماضية أو مستقبلية، دنيوية كانت أو أخروية.

وفساد الاعتقاد في الغيبيات هو تكذيبها أو تخيلها على غير ما أخبر الله تعالى عنها في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وقد وصف الله تعالى المكذبين بالغيب بالمفسدين، ويمكن بيان الآيات التي تتناول الحديث عن فساد الاعتقاد في الغيبيات على النحو التالي:

١ــ قال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ**﴾[410]، ففي الآيات الكريمة يبين الحق تبارك وتعالى أن مِنَ العربِ مَنْ يكذب بالقرآن ويدعي أنه من قول النبي ﷺ، ويقرر سياق الآيات أن تكذيبهم هذا يرجع سببه لعدم إحاطتهم بحقيقة ما في القرآن من علوم غيبية، لعدم وقوع أحداثها أمام أعينهم، ثم يعود السياق ليقرر مرة أخرى أن مِنَ العرب مَنْ يؤمن بأنه من

([408]) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ــ الأصفهاني ــ ص٦١٦

([409]) الجن: ٢٦

([410]) يونس: ٣٨-٤٠

عند الله، ولكنه مع ذلك يصر على التكذيب به عناداً واستكباراً[411]، ثم تقرر الآيات أن هؤلاء المكذبين ظاهراً والذين لا يؤمنون به هم مفسدون، وذلك لفساد اعتقادهم في الغيب الذي لم يحيطوا بعلمه، ومن هنا كانت فاصلة الآية تناسب المقام، فقال تعالى: ﴿**وربك أعلم بالمفسدين**﴾.

ويرى الباحث أن التكذيب قد وقع منهم استكباراً ثم لفساد اعتقادهم واستخفافهم لحقيقة ما أعده الله للمكذبين من الوعيد، ولفساد تصورهم لما سيؤول إليه الحال من الأهوال العظمية التي أخبرهم بها القرآن الكريم، فهذا أبو جهل يقول لقريش لما نزل قوله تعالى: ﴿**عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ**﴾[412]: ثكلتكم أمهاتكم! هذا محمد يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر! وأنتم الدهم[413] والشجعان، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم؟[414].

أليس هذا هو عين الفساد في اعتقاد الكفار لِمَا جاءهم من وصفٍ لعذاب الآخرة ؟ واستخفافهم بكل ما هو غيبي لمجرد أنهم لم يحيطوا بعلم ما أخبروا به ؟.

٢ــ قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾[415]، في الآيات الكريمة يعظ لوط قومه ويأمرهم بترك المنكرات والعدول عن فعل الفاحشة، ولما أنذرهم بطش الله وعذابه كما أفادت الآيات، قال

([411]) انظر: فتح القدير ــ الشوكاني ــ ج٢ص٤٤٦

([412]) المدثر: ٣٠

([413]) الدهم جمع أدهم أي أسود، ويقصد بها هنا العدد الكثير من الناس. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١٢ص٢٠٩

([414]) الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١٩ص٧٢

([415]) العنكبوت: ٢٨-٣٠

القوم مستهزئين مستخفين: ﴿...ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ﴾، فلما أصروا على إنكارهم، واستخفوا بالوعيد، واستبعدوا وقوع عذاب الله عليهم، الْتَجَأَ لوطٌ إلى ربه طالباً النصرة على القوم المفسدين.

ويرى الباحث أن القوم فسدوا في أخلاقهم حين أصروا على الفاحشة، وفسد اعتقادهم لما استخفوا بعذاب الله الذي توعدهم به نبي الله لوط عليه السلام، فهم قد جمعوا بين فساد اعتقادهم بالغيب الذي أخبرهم به نبيهم، وبين فساد الأخلاق والسلوك، فحق عليهم الوصف الذي وصفهم به ﴿قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[416].

٣ــ قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي...﴾[417]، ففي الآية الكريمة يعظ أهل العلم من بني إسرائيل قارونَ بالإحسان وعمل الصالحات، طلباً لجزاء اليوم الآخر، واتقاءً لعذابه، ولكن قارون الذي فسد اعتقاده بالغيب، واستخف بعذاب الآخرة، استعلى بكبرياء وأنكر نعمة الله عليه، وادعى لنفسه العلم والخبرة، وما حمله على ذلك إلا فساد اعتقاده بعذاب الله، فلوا أحسن الظن والإيمان لأحسن العمل.

ومن خلال هذه النماذج ندرك أن كثيراً من الأمم التي وصفها الله بالفساد، يرجع سبب كفرهم وبعدهم عن دين الله إلى أسباب كثيرة، منها فساد اعتقادهم بالغيبيات.

([416]) العنكبوت: ٣٠

([417])القصص: ٧٧، ٧٨

المبحث الثالث: فساد في السلوك والأخلاق

و فيه مطلبان:

المطلب الأول: فساد في المعاملات.

المطلب الثاني: فساد في الشهوات والرغبات.

المطلب الأول: فساد في المعاملات.

الإنسان مخلوق اجتماعي بفطرته، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...**﴾[418] فهو يأنس بجنسه[419]، وتكاليف الحياة تلزم الإنسان أن يقيم علاقات وتعاملات مع أخيه الإنسان لتحقق الهدف السامي للحياة، قال تعالى: ﴿**...نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً ...**﴾[420]، وقد جاءت الشريعة الإسلامية الغراء لتنظم للناس علاقاتهم ومعاملاتهم بما يحفظ لهم حياة كريمة خالية من البغي والظلم والعدوان، قال تعالى: ﴿**...لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾[421]، وقال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى**

([418]) الأعراف: ١٨٩

([419]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٧ص٢٩٥

([420]) الزخرف: ٣٢

([421]) البقرة: ٢٧٩

أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾[422].

لذا فإن كل معاملة بين الناس مادية أو إنسانية تناقض هذه النُظُمَ التي وضعتها الشريعة الإسلامية وحضت عليها هي معاملة فاسدة، وقد دعت الشريعة أتباعها لاجتنابها والبعد عنها، ووصفت من يتلبسون بها بالمفسدين.

وهناك الكثير من المعاملات الفاسدة التي تناولتها الآيات الكريمة ودعت المؤمنين إلى هجرها والبعد عنها، ويمكن بيان طائفة منها خلال هذا البحث على النحو التالي:

١ــ قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾**[423]، وقوله: **﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾**[424] تعرض الآيتان الكريمتان خصلتين من السلوك الفاسد الذي يختص بها المفسدون، وهاتان الخصلتان هما:

أ ــ نقض عهد الله بعد ميثاقه، وعهود الله تعالى التي أخذها على عباده كثيرة، وقد أمر سبحانه وتعالى بالوفاء بها، وقد جمع سبحانه بين نقض العهد مع الله والفساد في الأرض في سياق واحد، مما يفيد أن نقض العهود نوع من أنواع الفساد في الأرض، فمن تجرأ على

([422]) النساء: ٥٨

([423]) البقرة: ٢٧

([424]) الرعد: ٢٥

عهود الله تبارك وتعالى فقد تجرأ على كل عهد، بل عهود العباد أهون عليه وهو إلى نقضها أسرع، وهذا يعطل الحياة والمعاش ويفقد الناس الثقة في تعاملاتهم[425].

ويرى الباحث أن نقض العهود بعد توثيقها يفقد الثقة بين الناس، فتتمزق ألفتهم، وتضطرب علاقاتهم، ويفسد هدف الحياة السامي القائم على الألفة والأنس والتعاون والمحبة بين الناس، وقد حذر النبي ﷺ من نقض العهود وجعلها من صفات المنافقين حيث قال: **[أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر]**[426].

ويرى الباحث أن احترام العهود والمواثيق بين الناس هي أساس للعلاقات الطيبة السليمة التي تبنى عليها حياة المجتمعات البشرية، والعهود ركيزة أساسية في أمن المجتمعات واستقرارها، فإن فسدت العهود وقع الفساد الشامل، ولم تَعُد هنالك فضيلة ولا ركيزة يحتكم إليها الناس، فتفسد كل الأواصر والروابط ويعيش الناس حالة من الفوضى والفساد العارم، قال ﷺ: **[ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى قال: صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة]**[427]،

ب ــ قطع ما أمر الله بوصله، وهو يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم، وترك موالاة المؤمنين، ورفض الخير، مما يؤدي لقطع صلة العبد بربه[428]، ومَنْ

([425]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج١ص٥٢

([426]) صحيح البخاري ــ كتاب الإيمان ــ باب علامة المنافق ــ ص٢٠ ــ ح(٣٤)

([427]) سنن الترمذي ــ كتاب صفة القيامة ــ باب٥٦ ــ ص٦٥٦ ــ ح(٢٥٠٩)، صححه الألباني

([428]) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ ج١ص٤٢

قَطَعَ مابينه وبين ربه هان عليه ما بينه وبين أهله وجنسه والناس أجمعين، مما يترتب عليه فساد المعاملات بين الناس وفساد الحياة البشرية برمتها.

٢ ــ قال تعالى: ﴿**وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[429]، وقد تناولت الآيات الكريمة جملة من السلوكيات التي يمقتها الله عز وجل، وتوعد فاعليها بالعذاب يوم القيامة في أكثر من موضع في كتابه العزيز، ثم ختم الآيات بوصف فاعليها بالمفسدين، ويمكن حصر هذه السلوكيات في النقاط التالية:

أ ــ **العدوان**، هو التطاول على الناس وظلمهم، وقد نهى الله عن ذلك فقال: ﴿**...وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[430]، فهل هناك أفسد من عمل يُفقِد صاحبه محبة الله عز وجل؟.

ب ــ **أكل السحت**، وهو أكل أموال الناس بغير حق، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...**﴾[431]، كالرشوة والربا والاحتيال على الناس في

([429]) المائدة: ٦٢، ٦٤

([430]) البقرة: ١٩٠

([431]) النساء: ٢٩

أخذ أموالهم بالخديعة وغيرها، وقد نهى الله عن ذلك فحرم الربا، وأعلن الحرب على آخـذيها حيث قال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[432]،

ج ــ **عدم التناهي عن المنكرات**، فلا يعظ أهلُ العلمِ السفهاءَ والوالغين في المعاصي، بل يسكتون عنهم ويأخذون الرشوة للسكوت على باطلهم ويكتمون الحق وهم يعلمون[433]، والله عز وجل لعن من رأى المنكر ولم ينه عنه فقال: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[434].

د ــ **العداوة والتباغض**، الأصل في العلاقة بين الناس أن تسود روح المحبة والرحمة بينهم، ولكن من وصفهم الله بالمفسدين في الأرض قد استُبدِلَت كل صفات الخير في نفوسهم إلى نقيضها، فأقاموا علاقاتهم على أساس من الفرقة والكراهية والتنافر، قال تعالى: ﴿**...تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى...**﴾[435].

هـ ــ **إشعال الحروب**، ثم هم بعد ذلك كله يشعلون الحروب لتعميق القطيعة بين الأمم والشعوب، ويفسدون الحياة على الناس عامة.

فأي فساد في المعاملات والسلوك أعظم من أن يتلبس المرء أو القوم بواحدة من هذه الأعمال؟ فكيف إذا تلبس بها جميعاً؟!

([432]) البقرة: ٢٧٨

([433]) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ــ علي الواحدي ــ ج١ص٣٢٧

([434]) المائدة: ٧٨، ٧٩

([435]) الحشر: ١٤

٣ــ قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[436]، في هذه الآية الكريمة يحث شعيبٌ عليه السلام قومه على ترك جملة من السلوكيات والمعاملات الفاسدة التي أقام عليها القوم حتى أصبحت علماً عليهم، كنقص الميزان عند البيع واستيفائه عند الشراء، وبخس الناس ما يملكون بالتزهيد فيها والمخادعة عند شرائها، وتخويف الناس بسلب أمتعتهم وأخذ المكس رضي الله عنه منهم على الطرقات عنوة، والصد عن سبيل الله سبحانه وتعالى.

ويرى الباحث أن هذه المعاملات الفاسدة تدمر العلاقة بين الناس، وتفسد عليهم صفو الحياة الكريمة التي نشدتها شريعة الإسلام، وأرست قواعدها بين الناس، ولكن المفسدين يقلبون المعايير ويستبدلون الخبيث بالطيب، مراعاة لنفوسهم المريضة التي تعيث في الأرض فساداً وهي تظن أنها تحسن صنعاً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾[439].

([436]) الأعراف: ٨٥، ٨٦

([437]) مال يقتطع من الباعة في الأسواق، وكان البعض يبالغ فيها ويوصلها إلى العشر، لذلك سميت بالمعشار. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٦ص٢٢٠

([438]) الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٧ص٢٢٢

([439]) البقرة: ١١، ١٢

٤ ــ قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[440]، فالسحرة يفسدون على الناس حياتهم بسحرهم الذي يأتون به، وهم يستخدمونه في التفريق والوقيعة بين الناس لتعكير صفو حياتهم، قال تعالى: ﴿**...فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ...**﴾[441]، فهذه هي طبيعة السحر، وهذا هو فعل السحرة الخبيث، فأي عمل أفسد من التفريق بين الزوجين وتمزيق ألفتهم ؟

٥ ــ قال تعالى: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾[442]، فإخوة يوسف عليه السلام متهمون بالسرقة، وهم يدافعون عن أنفسهم، وينفون عن ذواتهم السرقة، ويعبرون عنها بالفساد، ويؤكدون أنهم ما جاءوا ليجترحوا هذا الفساد الذي يخلخل الثقة والعلاقات في المجتمعات[443]، فالسرقة والاعتداء على أموال الناس فساد كما تصرح بذلك الآية الكريمة.

المطلب الثاني: فساد في الشهوات والرغبات.

خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه شهوات وجعل له رغبات، لا تقوم حياته ولا تستمر إلا بها، كالطعام والشراب والنكاح والأمن وكل ما يوصل إلى ذلك، وحاجة الإنسان إليها بالقدر الذي يحقق له استمرار الحياة الكريمة، وأودع الله تعالى فيها الشهوة حتى يمارسها برغبة وإقبال، وحددت الوسائل التي يصل بها الإنسان لتحقيق هذه الشهوات والرغبات، واعتبرت تجاوز هذه الوسائل شكلاً من أشكال الفساد، قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا**

([440]) يونس: ٨١

([441]) البقرة: ١٠٢

([442]) يوسف: ٧٣

([443]) في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٤ص٢٠١٩

تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[444]، وقد تناولت الآيات الكريمة العديد من الأعمال الفاسدة التي يمارسها بعض الناس جرياً وراء شهواتهم وإشباعاً لرغباتهم، نبين بعضاً منها فيما يلي:

١ ــ **الجشع في جمع المال من غير حقه**، ونضرب لذلك مثالين:

أ ــ قال تعالى: ﴿**...وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ...**﴾[445]، وتأتي هذه الآية في سياق الحديث عن رعاية الأيتام وإدارة أموالهم، فمن استرعاه الله يتيماً فصان ماله وزهد فيه وجعل مخافة الله بين عينيه، واتقى ظلمهم كان من المصلحين، ومن اشبع شهوة جمع المال على حساب اليتامى فأكل أموالهم، فهو من المفسدين[446] الذين توعدهم الله بالنار يوم القيامة قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا**﴾[447]، فهل هناك أفسد عملا ممن يشبع رغبته في جمع المال فيتطاول على مال اليتيم ؟ فالنفس الكريمة تميل إلى العطف والحنان والعطاء لمن فقد عطف الأبوة وحنانها، لكن المفسدين تجردوا من كل هذه المعاني، فاستحقوا هذا الوعيد من الله عز وجل.

ب ــ قال تعالى: ﴿**وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[448]، ففساد القوم تمثل في رغبتهم في جمع المال وحيازته بالتطفيف الذي حرمه الله، وجعله إمعاناً في الفساد في الأرض، وهم قد فعلوا ذلك نتيجة حرصهم على إشباع رغبتهم في حب المال ولو بطريق فاسد مقيت.

([444]) الأعراف: ٣١

([445]) البقرة: ٢٢٠

([446]) انظر: شرح الآية الفصل الثالث ص١٢٦

([447]) النساء: ١٠

([448]) الشعراء: ١٨٢، ١٨٣

٢ ــ **الشذوذ في الشهوة الجنسية**، قال تعالى: ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾[449] ومن خطاب لوط عليه السلام لقومه يظهر عظم الفساد الذي يمارسونه، فهم يطلبون شهوتهم بطريقة فاحشة شاذة لم يسبقهم بها أحد من العالمين: يأتون الرجال من دون النساء، وهي فاحشة قذرة تدل على انحراف الفطرة وفساد عميق في نفوسهم، فالنفس قد تفسد بتجاوز حد الاعتدال والطهارة مع المرأة، فتكون هذه الجريمة فاحشة، ولكنها لم تخرج عن حدود الفطرة في الرغبة الجنسية، فأما هذا الشذوذ الذي يمارسه القوم فهو انخلاع من فطرة الأحياء جميعا، وفساد في التركيب النفسي والتركيب العضوي على السواء، فقد جعل الله لذة المباشرة الجنسية بين الزوجين متناسقة مع الفطرة الصحيحة، وجهز كيان كل من الزوجين بالاستعداد والتلذذ بهذه المباشرة، نفسياً وعضوياً، فأما هذه المباشرة الشاذة فلا هدف لها ولا مدلول[450]، وهذا هو عين الفساد في تلبية الشهوات والرغبات، وقد أهلك الله من تلبسوا به في الدنيا، فَقَلَبَ عليهم قُراهم، وأمطرهم حجارة من سجيل، فهذه لوثة في الأخلاق والقيم، وفساد في الممارسة والسلوك لإشباع شهوتهم بعيداً عن فطرة الله.

٣ ــ **الغلو في شهوة المأكل والمسكن**، قال تعالى: ﴿**أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي * وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا**

([449]) العنكبوت: ٢٩، ٣٠

([450]) في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٥ص٢٧٣٣

يُصْلِحُونَ﴾[451]، تتناول الآيات الكريمة نصح صالح عليه السلام لقومه، حيث عدد لهم ما آلت إليه حالهم من الركون إلى الدنيا وزينتها من مطعم ومشرب ومسكن، وكيف طابت نفوسهم إلى حياة الرغد والترف، حتى صرفهم ذلك عن الاستجابة لدعوة الله عز وجل، كما حذر لوط عليه السلام عامة قومه من طاعة المسرفين الذين فسد حالهم في الدنيا.

وقد اشتهر قوم صالح ببناء البيوت الفارهة العظيمة الجميلة عن غير حاجة إليها، بل إن الرجل منهم ليبني البيت لمجرد الرغبة في امتلاكه بطراً، يظهر من خلاله قوته، ويشبع شهوة كامنة في نفسه[452] بل إن الرجل منهم ليزهق عمره في بناء البيت ولا يسكنه، فأي فساد هذا الذي يزهق المرء فيه حياته دون فائدة ترجى سوى إشباع شهوة أو رغبة لا تعود عليه بنفع ؟

ويرى الباحث أن أصل الفساد عند قوم صالح يرجع إلى الإسراف في تحقيق شهواتهم وحاجاتهم ــ والإسراف تجاوز الحد في كل عمل يعمله الإنسان ــ والطعام والشراب والمسكن سنة من سنن الحياة لا غنى عنها لكل إنسان، ولكن مبالغة المرء في طلبها وصرف جميع همته إليها هو صورة من صور فساد الإنسان في تحقيق شهواته ورغباته، وذلك لما يترتب عليه من خسران لدنياه وآخرته.

٤ــ **قهر الشعوب**، قال تعالى: ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾**[453]، فالمفسدون من الملوك إذا دخلوا بلداً عنوة

([451]) الشعراء: ١٤٦- ١٥٢

([452]) انظر تفسير القرأن العظيم ــ إسماعيل بن كثير ــ ج٦ص١٦٧

([453]) النمل: ٣٤

يقتلون أشراف أهلها، ويستذلونهم لضمان ملكهم ظلماً وعدواناً[454]،فأي فساد هذا الذي يدفعُ الإنسانَ لقتل أخيه الإنسان ظلماً وطغياناً لإشباع رغبته في التسلط والهيمنة على رقاب الآخرين.

ويرى الباحث أن ما تعانيه البشرية اليوم من حروب ظالمة، وسفك للدماء واستذلال وقهر للشعوب والهيمنة على مقدراتهم وخيرات بلادهم يأتي من هذا القبيل، حيث الحرب الظالمة التي تدور رحاها في بيت المقدس، وفي بلاد الأفغان، والعراق وغيرها من بلاد المسلمين، لا مبرر لها سوى رغبة المفسدين من حكام الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بالهيمنة على الشعوب، والاستئثار بخيرات بلادهم، وقهر أهلها واستذلالهم، على مرأى من العالم ومسمع، وهم يتذرعون بحجج واهية كالكشف عن أسلحة دمار شامل في العراق، وملاحقة من يطلقون عليهم بالإرهابيين[455] زوراً وبهتاناً في بلاد الأفغان، وبدعوى حقوق الإنسان هنا وهناك...، وقد أثبتت الأيام والأحداث كذبهم وافتراءهم، فهاهم يزرعون الموت في كل مكان في تلك البلاد، ويمارسون أبشع أساليب الموت ضد شعوبها، ولم يحققوا لأصحابها أمناً ولا سلاماً، مما يؤكد رغبتهم في الهيمنة والتسلط على شعوب العالم المستضعفين وسلبهم إرادتهم.

([454]) انظر: الفصل الأول ص٣٦

([455]) مصطلح تطلقه الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها على كل المنظمات المسلحة التي تعارض الهيمنة الأمريكية، بدعوى أن هذه المنظمات تعمل ضد الديمقراطيات والحريات. انظر: مجلة آفاق قانونية ــ مجلة تصدر عن الجمعية القانونية الفلسطينية للعلوم القانونية ــ العدد ديسمبر ٢٠٠١ ص١٥

الفصل الثالث

صفات المفسدين ونماذج مختارة

و فيه مبحثان :

المبحث الأول: صفات المفسدين

و فيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: صفات عدوانية

المطلب الثاني: صفات ذات طابع اجتماعي

المطلب الثالث: صفات عامة

المبحث الثاني: نماذج مختارة من المفسدين ومصائرهم

و فيه مطلبان :

المطلب الأول: أفراد اشتهروا بالفساد

المطلب الثاني: أمم اشتهرت بالفساد

المبحث الأول: صفات المفسدين

المطلب الأول: صفات عدوانية

و فيه خمس صفات :

الصفة الأولى: سفك الدماء

الصفة الثانية: الاعتداء على المال العام والخاص

الصفة الثالثة: التطفيف

الصفة الرابعة: ترويع الآمنين وقطع الطريق

الصفة الخامسة: أكل أموال اليتامى ومخالطتهم بنية سيئة

ويقصد الباحث بالصفات العدوانية للمفسدين تلك الصفات التي يتميز أصحابها بالعدوان على الآخرين، وظلمهم والنيل من خصوصياتهم أفراداً وجماعات، وقد أوقفتنا الآيات الكريمة على خمس صفات ذات مدلول عدواني وهي على النحو التالي:

الصفة الأولى: سفك الدماء

سفك الدماء مفسدة كبرى توقع العداوة والبغضاء بين الناس، فيستحيل معها بقاء الود والتراحم، فقد يرتكب الإنسان معصية أو تقصيراً في حق الله تعالى، فيتوب توبة نصوحاً فيقبل الله توبته، وقد يخطئ الإنسان في حق أخيه الإنسان فيعفو ويصفح، أما القتل فهو هدم لبنيان الله تعالى، وقطع لأواصر المحبة والمودة بين أفراد المجتمع، لذلك ما فرح الشيطان على ذنب يرتكبه الإنسان كفرحه عند وقوع القتل وسفك الدماء، فقد جاء في الحديث الشريف، أن النبي ﷺ قال: **[إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل اليوم مسلما ألبسته التاج، فيجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى عق والده، فقال: يوشك أن يبره، ويجيء أحدهم فيقول لم أزل به حتى طلق امرأته، فيقول: يوشك أن يتزوج ويجيء**

أحدهم فيقول: لم أزل به حتى أشرك، فيقول: أنت أنت ويجيء أحدهم فيقول: لم أزل به حتى قتل، فيقول: أنت أنت ويلبسه التاج][456].

وسفك الدماء والقتل سمة المفسدين، الذين يعيثون في الأرض فساداً، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**[457]، لما أخبر الله تعالى ملائكته أنه سيخلق خلقاً جديداً لعمارة الأرض، قالت الملائكة عليهم السلام: أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي وسفك الدماء.

ورغم أن القتل من عموم الفساد إلا إن الملائكة خصته بالذكر، وجاءت به بصيغة المضارع لبيان تكرار القتل وسفك الدماء من هذا المخلوق الجديد الذي سيُفْسِدُ نسله، وتكون أبرز صفات فسادهم سفك الدماء، وقد بين السياق القرآني في أكثر من موضعٍ أن القتل وسفك الدماء صفة ملازمة للمفسدين، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

١ ــ قال تعالى: **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[458]، لما وصف الله عز وجل فساد فرعون، جعل من أبرز صفات هذا الفساد القتل وسفك الدماء، فذَبْحُ الأطفال دون ذنب أو جريمة كانت أبرز صفات فرعون، التي أراد من خلالها تدعيم أركان سلطانه، فهل هناك أشنع من هذه الصفة التي امتاز بها المفسدون.

([456]) المستدرك على الصحيحين ــ الحاكم النيسبوري ــ ج٤ص٣٩٠ ــ ح(٨٠٢٧). صححه الذهبي في التعليق

([457]) البقرة: ٣٠

([458]) القصص: ٤

٢ ــ قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾[459]، فالمفسدون أول ما يفكرون به عند مواجه خصومهم القتل وسفك الدماء، ففي الآية الكريمة يهدد فرعون ويتوعد بقتل موسى عليه السلام، نتيجة فشله أمام آيات موسى عليه السلام وحججه.

٣ - قال تعالى: ﴿.. **كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[460]، فإشعال الحرب وما فيها من دمار وقتل وسفك للدماء من صفات وصنيع المفسدين.

ويرى الباحث أن القتل وسفك دماء الآمنين دون وجهة حق، هو سبيل المفسدين وأبرز صفاتهم، ولعل المتأمل في أوضاع البشرية اليوم ــ في القرن الحادي والعشرين ــ يلمس بوضوح هذا المنحدر السحيق الذي وصلت إليه البشرية، بعد كل ما أنجزته من تقدم علمي وتقني[461] في كافة المجالات، لم تستطع هذه الدول العظمى التي تصنع القرار الدولي أن توفر الأمن للبشرية، ويرجع سبب ذلك إلى أن الذين يقودون هذه الدول ثلة من المفسدين الذين لا هم لهم سوى صناعة الآلة العسكرية التي تدمر كل شيء، ليحفظوا بقاء سلطانهم وهيمنتهم على مقدرات الناس وثرواتهم، وقد حق عليهم قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ**

([459]) غافر: ٢٦

([460]) المائدة: ٦٤

([461]) هو مصطلح يشير إلى كل الطرق التي يستخدمها الناس في اختراعاتهم واكتشافاتهم لتلبية حاجاتهم واشباغ رغباتهم ويسميه بعضهم: التكنولوجيا. انظر: الموسوعة العربية العالمية ــ تعريب تيرا دل فوجو ــ ج٧ص٦٩

لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[462]، قيل أن التولي هنا من الولاية، أي أصبح والياً[463] .

فهل هناك أفسد حالا ممن زرع القتل والدمار في صفوف البشرية بدلاً من الأمن والأمان.

الصفة الثانية: الاعتداء على المال العام والخاص

قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾[464]، فالمال زينة محببة للنفس البشرية، والله تعالى خالق النفس ويعلم ما يدور في خلجاتها من مشاعر وأحاسيس، وما يصلحها ويفسدها، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[465]، وأذن لها أن تتمتع وتأخذ نصيبها من هذه الزينة بالقدر الذي يصلحها ــ حتى لا يصبح المتاع والزينة كل همها ــ وبوسيلة تصون لها كرامتها، حتى لا يقعَ منها اعتداء على حقوق الآخرين، وقد صانت الشريعة الإسلامية حُرْمَة المال العام وحضت المسلمين على صونه، وجعلته في مقام الدم والعرض، قال تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[466]، وقال ﷺ

([462]) البقرة: ٢٠٥

([463]) انظر: فتح القدير ــ الشوكاني ــ ج١ص٢٠٨

([464]) الكهف: ٤٦

([465]) ق: ١٦

([466]) البقرة: ١٨٨

[...كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه][467]، وجعلت من مات دفاعاً عن ماله شهيداً، قال ﷺ **[من قتل دون ماله فهو شهيد]**[468].

ومن خلال هذه المقدمة فإن الاعتداء على أموال الغير بالسطو أو بالوسائل التي حرمها الله، هو شكل من أشكال الفساد في الأرض، ووصف يمتاز به المفسدون، قال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾[469]، فالقوم يُقْسِمون على براءتهم من هذه المعصية العظيمة، ومن هذا الوصف الذميم، فالسرقة فساد ليس من سجيتهم، فهم لم يسرقوا، وما جاءوا ليجترحوا هذا الفساد الذي يزعزع الثقة والعلاقات في المجتمعات[470].

ويرى الباحث أن صواع الملك في أحسن ظروفه ما هو إلا شيء يسير من مال الدولة العام وإن كان من فضة[471]، فسرقته اعتداء، عَرَّفَهُ الأسباط عليهم السلام أنه فساد في الأرض، ما كان ينبغي لأحد أن يأخذه عنوة أو يستأثر به لنفسه دون سائر الناس.

وانطلاقاً من هذا التأصيل الذي وضعه الأسباط، فإن الاعتداء على المال العام، الذي خصص لخدمة الناس كافة لا يجوز لأحد أن يستأثر به لنفسه، أو أن يعتدي عليه، ولكن المفسدين في الأرض لا يبالون في ذلك، فالسرقة والاعتداء على مقدرات الناس وأموالهم شيء متأصل في نفوسهم.

([467]) صحيح مسلم ــ كتاب البر والصلة ــ باب تحريم الظلم ــ ج٤ص١٩٨٦ــ ح(٢٥٦٤)

([468]) صحيح مسلم ــ كتاب الإيمان ــ باب من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم ــج١ص١٢٤ ــ ح(٢٢٦)

([469]) يوسف: ٧٣

([470]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٤ص٢٠١٩

([471]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٤ص٤٠٩

ويرى الباحث أن ما تعانيه الشعوب في عالمنا العربي والإسلامي في هذا الزمان، من فقر وحرمان، لهو نتيجة طبيعة لقيام فئة من المفسدين التي أمسكت مقاليد الأمر في الأمة، فوضعت يدها على مقدراتها، ومخصصات شعوبها، فاستأثرت لنفسها بالنصيب الأكبر وقدمت الفتات لشعبها[472]، فبفعلهم هذا استفحل الفساد وانتشر.

الصفة الثالثة: التطفيف

والتطفيف في اللغة: "نَقْصٌ يَخُونُ به صاحبه في كيل أو وزن"[473].

وقد بين الله عز وجل معنى المطففين في كتابه العزيز فقال: ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾[474] أي: هم الذين يأخذون حقهم كاملاً عند الشراء دون نقص، وعند البيع يعطون الناس الحق الذي يثبت لهم بكيل أو وزن ناقص[475]، ولما كان التطفيف خلقاً ذميماً وفساداً في أموال الناس فقد حرمه الله عز وجل في مرحلة مبكرة من الدعوة الإسلامية، حيث كان الوعيد للمطففين في العهد المكي.

وقد اشتهرت بالتطفيف مدين: قوم شعيب عليه السلام، حتى غدا خلقاً من أخلاقهم وصفة من صفاتهم استوجبت أن يحذرهم نبي الله من عاقبتها الوخيمة، قال تعالى: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ**

([472]) (مقال بعنوان: إن الله لا يصلح عمل المفسدين ــ أحمد بحر). انظر: جريدة الرسالة ــ عدد ٢٩٨ــ تاريخ ٢٠٠٤/٥/١٣ ص١٤

([473]) لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٩ص٢٢١

([474]) المطففين: ٢، ٣

([475]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١٩ص٢٢٠

وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[476]، وقال في موضع آخر: ﴿**فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** ﴾[477]، وقوله ﴿**أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنْ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾**[478]، في هذه الآيات الكريمات يُخْلِصُ شعيب عليه السلام النصح لقومه، حيث يعظهم بجملة من النصائح، وفي مقدمتها توحيد الله عز وجل، ثم وفاء الكيل والميزان عند البيع والشراء، وترك بخس الناس حقوقهم[479]، وقد حذرهم ونهاهم عن هذا الفساد بصريح العبارة كما بينت الآيات أعلاه.

والتطفيف والسرقة كلاهما اعتداء على أموال الآخرين، أما السارق فيأخذ المال تستراً وخلسة[480]، والمطفف يحتال بخدعة منه وجشع ليحقق لنفسه كسباً في البيع والشراء بغير حق، وقد يزين الشيطان للمطفف أنه على الحق والصواب، ولعل ذلك يتضح من سؤال مدين لنبيهم عليه السلام ﴿**قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ...﴾**[481]، فالسرقة فساد لا يختلف في شأنها أحد من الناس، أما التطفيف فإن خطورته تكمن في أن من ورائه اعتقاد فاسد، يبرر فيه المطففون براءتهم وأحقيتهم في حرية

([476]) هود: ٨٤، ٨٥

([477]) الأعراف: ٨٥، ٨٦

([478]) الشعراء: ١٨١، ١٨٢

([479]) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ ج٢ص١٦٦

([480]) لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١٠ص١٥٥

([481]) هود: ٨٧

التصرف بأموالهم دون رقيب، مستخدمين بذلك قوتهم وسطوتهم في الكيل كما تقتضي مصالحهم، فتنشأ فيهم تلك الصفة الفاسدة.

الصفة الرابعة: ترويع الآمنين وقطع الطريق

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾[482]، يتناول سياق الآية الحديث عن ذلك المنافق الذي ضربه الله تعالى مثلا للمفسدين في الأرض[483]، فإذا انقلب من عند المؤمنين وخلا بنفسه، أظهر غدره وكفره واعتدى على الحُرُمَاتِ، وأزهق الأرواح وسلب[484] المال وأحرق الزرع، كل ذلك على سبيل إشاعة الفساد والدمار، لترويع الناس وبث الرعب والهلع في صفوفهم.

وهذه الصفة من الدمار والحرق والقتل للآمنين يمتاز بها المفسدون على مر العصور والقرون، ولعل ما يعانيه شعبنا الفلسطيني في بيت المقدس وأكنافه في هذا الزمان لهو أكبر شاهد على فساد المجرمين من اليهود، إذ أنهم يزرعون الموت والدمار في كل مكان فيهدمون البيوت، ويقتلعون الأشجار، ويقتلون الدواب، ويقذفون حمم مدافعهم في كل مكان من الأرض، ليحرموا الناس من سلامة العيش فيروعونهم ويفقدونهم نعمة الأمن، وقد بلغ هذا الترويع والدمار قمة الفساد، إنه فساد ترعاه دولة يهود على أرض فلسطين، التي تملك آلة عسكرية تعد من أرقى الآلات العسكرية في العالم، ضد شعب أعزل لا يملك إلا سلاح الصبر والإيمان.

([482]) البقرة: ٢٠٥

([483]) نزلت في الأخنس بن شريق، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعم أنه يريد الإسلام، وحلف أنه ما قدم إلا لذلك، ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر، وقيل نزلت في نفر من المنافقين. انظر: لباب النقول في أسباب النزول ــ السيوطي ــ ص٢٧

([484]) انظر: تفسير القاسمي ــ محمد جمال القاسمي ــ ج٤ص١٧٠

ولا يقف فساد المفسدين عند ترويع الآمنين في بيوتهم ومزارعهم، بل يمتد إلى قطع الطريق، وإفساد المصالح على العباد، فالله عز وجل خلق الخلق وجعل لهم مصالح متنوعة لا يمكن الوصول إليها إلا بالتنقل والأسفار بين البلاد، قال تعالى: ﴿...**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّه...**﴾[485]، وقد ذَكَّرَ الله تعالى عباده بهذه الرحلات التي كانوا يتنقلون فيها بين بلاد الشام واليمن، قال تعالى: ﴿ **لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ**﴾[486]، فهذه الأسفار والرحلات المتنوعة الأهداف يحتاج أهلها إلى الأمن والحماية حتى يأمن الناس على حياتهم وأموالهم، وقد اعتبر الله عز وجل أن الأمن في الأسفار من النعم العظيمة التي يمتن بها على الناس، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ**﴾[487]، ولكن المفسدين لا يروق لهم أن يَنْعَمَ الناسُ بالأمن، فيغيرون على الطرق ويقطعون السبيل، وقد حذر الله عز وجل الأمم والشعوب ــ على لسان أنبيائه ــ من الوقوع في هذه المفاسد، قال تعالى على لسان لوط عليه السلام: ﴿**ءَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾[488]، ففي سياق الآيات يحذر لوط عليه السلام قومه من خصال ثلاث: إحداهن قطع السبيل، ثم يطلب معونة اللهَ بالنصر على القوم المفسدين، فقطع

([485]) المزمل: ٢٠

([486]) قريش: ٢

([487]) سبأ: ١٨

([488])العنكبوت: ٢٩، ٣٠

الطريق وترويع الناس وسلبهم الأمن في الطرقات كما يراها نبي الله لوط عليه السلام صفة من صفات المفسدين.

وقد تناول السياق القرآني الحديث عن المفسدين وبين هدفهم من وراء ذلك، فتارة يقطعونها بهدف إخافة الناس والصد عن سبيل الله، وأخرى يقطعونها للسلب والنهب ونشر الرعب، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

١ ــ إخافة الناس والصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[489]، وهذه الآيات موجهة إلى مدين، إذ كانوا يجلسون في الطرقات يتلمسون القادمين إلى شعيب عليه السلام ويتوعدونهم ويهددونهم لصدهم عن الإيمان، كما كانت قريش تقعد للناس في مواسم الحج للصد عن رسولنا الكريم ﷺ، فالمفسدون على مدار الزمان تتشابه صفاتهم وأفعالهم.

٢ ــ قطع الطريق للسلب والنهب ونشر الرعب، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[490]، لقد جعل الله سبحانه وتعالى محاربة المسلمين محاربة لله ورسوله، وذلك تعظيما لأمر المسلمين، ومعنى يحاربون الله ورسوله أي: يحاربون أولياء الله ورسوله،

([489]) الأعراف: ٨٦

([490]) المائدة: ٣٣

والحرب قتل وسلب ومُعاركَة، والمراد هنا قطع الطريق وترويع أهلها[491] ، بالقتل وسرقة المال والبطش والتنكيل، فهذا الصنف من المفسدين جعلوا رزقهم إخافة الناس وترويعهم، ثم بعد ذلك سلبهم وقتلهم وهم يتلذذون بذلك، فأي نفسية هذه التي ينطوي عليها هؤلاء المفسدون، إنها النفس الشريرة المفسدة التي أصبح الفساد لها شعاراً.

الصفة الخامسة: أكل أموال اليتامى ومخالطتهم بنية سيئة

لقد حرم الله الاعتداء مطلقاً فقال تعالى: ﴿**...وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[492]، كما حرم سبحانه وتعالى الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً، فقال في الحديث القدسي: **[يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا]**[493]، وإن من أشد أنواع الظلم، أن يظلم الإنسان من استودعه الله رعايتهم من أيتام المسلمين.

والتكافل الاجتماعي أحدى القواعد التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي، والأمة المسلمة مكلفة برعاية مصالح الضعفاء فيها، وفي مقدمة من يتوجب رعايتهم اليتامى من أبناء الشهداء وغيرهم لفقدهم آبائهم وهم صغار ضعاف، فهم الأَوْلى برعاية الأمة وحماية مصالحهم ورعاية نفوسِهم وحمايةِ أموالهم[494].

وقد تناول السياق القرآني مسألة الأيتام وإدارة أموالهم في أكثر من موضع من كتاب الله تعالى يمكن بيانها على النحو التالي:

([491]) انظر: إرشاد العقل السليم ــ تفسير أبو السعود ــ ج٢ص٣٤

([492]) البقرة: ١٩٠

([493]) صحيح مسلم ــ كتاب البر والصلة ــ باب تحريم الظلم ــ ج٤ص١٩٩٤ ــ ح(٢٥٧٧)

([494]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج١ص٢٣٢

١ - قال تعالى: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...**﴾[495]، فأمر الله عز وجل مَنْ تولى اليتيم ألاّ يَقْرَبَ ماله إلا بالطريقة التي هي أحسن لليتيم، فيصونه له وينميه، حتى يسلمه له كاملاً نامياً عند اشتداد قوته الجسمية والعقلية، فيحمي ماله، ويحسن القيام عليه بنفسه، ونهى المسلمين عن مس مال اليتيم بشيء فيه غبن وظلم[496].

٢ــ قال تعالى: ﴿**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً * وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**﴾[497]، وقد وصفت السيدة عائشة رضي اللّه عنها حال الناس في الجاهلية: فكان كافل اليتيمة إن كانت جميلة، تزوجها من غير أن يقسط في صداقها، وإن كانت ذميمة رغب عن نكاحها وعضلها[498] أن تنكح غيره، لئلا يشاركه في مالها، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وإلاّ فلهم أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، أي: كما أنه يرغب عن نكاحها إن كانت قليلة المال، والجمال، فلا يحل له أن يتزوجها إن كانت ذات مال وجمال إلا بالإقساط إليها[499].

([495]) الأنعام: ١٥٢

([496]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٣ص١٢٣٢

([497]) النساء: ٢، ٣

([498]) منعها من الزواج ظلماً. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١١ص٤٥١

([499]) انظر: أضواء البيان ــ محمد الأمين الشنقيطي ــ ج١ص٢٦٧

٣ ــ قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾[500]، وفي الآية تحذير ووعيد بنار تشتعل في البطون، ومصير مخز في السعير، لكل من انتهك حرمة مال يتيم بسلبه أو مخالطته بنية فاسدة يهدف من ورائها أكل هذا المال.

٤ــ قال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ**﴾[501]، وقد جاء سياق الآية الكريمة ليتولى الإجابة عن سؤال كان يؤرق الصحابة رضوان الله عليهم، يختص بحال اليتامى وكيفية التعامل معهم وإدارة أموالهم بشفافية وتجرد، حيث كان ولي اليتيم يتحرج عند مخالطته في طعامه وشرابه، ويتحرج حين اعتزاله فلا يشاركه في طعام ولا شراب، فشكوا ذلك للنبي ﷺ فنزلت الآية الكريمة[٥٠٢] لترفع الحرج عن المسلمين في مخالطتهم عند صفاء النية، وخلوصها من الفساد.

ويرى الباحث أن المفسدين رغم كل هذا التهديد والوعيد لِمَنْ غبن يتيماً، أو خالطه في ماله بنية سيئة، فإنهم لا يتورعون عن ذلك ولا يمنعهم دين ولا خلق عن الظلم والفساد والعدوان، فالاحتيال والالتفاف على أموال الأيتام صفة متأصلة في نفوسهم مهما بلغ التهديد والوعيد.

وما أكثر المفسدين في هذا الزمان الذين يعتدون على أموال شعوب بأكملها، فهم كالأيتام بل أشد، فشعوب بأكملها تسحق كرامتها، وتزال حكوماتها، ويتقلد المفسدون زمام

([500]) النساء: ١٠

([501]) البقرة: ٢٢٠

([502]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٣ص٦٢،

أمرها، ثم يستولون على ثرواتها وتحرم تلك الشعوب المستضعفة من مالها، وتترك الشعوب لتعاني الفقر والجوع والحرمان، ثم بعد ذلك كله يتظاهر المفسدون بالشفقة على تلك الشعوب فيقيمون مراكز إغاثة لتنفق على المستضعفين فتات ما سلب من أموالهم ومقدراتهم، ولعل شعبنا في فلسطين، وشعوب أخرى في العراق والسودان وبلاد إفريقيا تجسد معاناتهم الصورة الحقيقية لهذا الفساد الذي يقوده ويشرف عليه قادة ما يسمى بالعالم الحر، الذي تتزعمه الولايات المتحد الأمريكية وبريطانيا في العلن، وتشرف عليه في الحقيقة الصهيونية العالمية وحلفاؤها من الصليبيين في جنح الظلام[٥٠٣].

المطلب الثاني: صفات ذات طابع اجتماعي

و فيه أربع صفات :

الصفة الأولى: قطع الأرحام

الصفة الثانية: الحقد والحسد

الصفة الثالثة: نقض العهود والمواثيق

الصفة الرابعة: الغدر والخديعة

([503]) يراجع كتاب الغارة على العالم الإسلامي، الأفعى الصهيونية

الصفة الأولى: قطع الأرحام

الأرحام هم كل من قابل الأجانب، ويدخل فيهم الأصول والفروع والحواشي من قبل الأب أو من قبل الأم[504]، وقد أمر الله تعالى بوصلها والحفاظ على ودها وجعل وصلها من الحقوق التي أمر الله بها، قال تعالى: ﴿**...وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ...**﴾[505]، والتقوى بمدلولها الشرعي لا يراد بها إلا تقوى الله، لكن أريد هنا التقوى المتعلقة بحقوق العباد ومن جملتهم أولو الأرحام[506]، وحقها أن توصل فلا تقطع.

ولما كان الصالحون يصلون أرحامهم قربة لله تعالى، وطلباً في الرتب العالية عند الله عز وجل، وزيادة في الرزق وبركة في العمر، تحقيقاً لقوله ﷺ: **[من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه]**[507]، فإن المفسدين لا يكترثون لشيء من ذلك، بل يخالفون أمر الله عز وجل، ويعدلون عما أوصى به المصطفى ﷺ، منطلقين بذلك من صفاتهم الفاسدة، ويرغبون من خلالها إفساد حياة المجتمعات من حولهم، فيقطعون كل الأواصر الطيبة التي تَحفظُ المجتمعات من شر المنازعات، وتقوي العلاقات بين الناس أفراداً وجماعات.

([504]) انظر: روح المعاني ــ الألوسي ــ ج٢٦ص٧٠
([505]) النساء: ١
([506]) انظر: روح المعاني ــ الألوسي ــ م٢ح٤ص١٨٤
([507]) صحيح مسلم ــ كتاب البر والصلة ــ باب تحريم التحاسد والتباغض ــج٤ص١٩٨٢ــ ح(٢٥٥٧)

وما ذكر الله قطعية الرحم، أو قطع ما أمر الله بوصله في كتابه العزيز إلا وقرن ذلك بالفساد، قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ**﴾[508]، وقال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[509]، وقال سبحانه: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[510]، وقد سبق أن تناولنا أقوال علماء التفسير في هذه الآيات الكريمة[511].

والذي يعنينا في هذا المطلب هو بيان أن قطع الأرحام صفة قبيحة من صفات المفسدين، ويمكن أن نستعرض بعض الآيات التي حث الله عز وجل فيها على صلة الرحم ومظاهر الإحسان إليها، لبيان عظم الإثم الذي يقع فيه من يقطعون أرحامهم، وأنه لا يقدم على هذا الفعل إلا المفسدون.

١ــ حق الإحسان، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى..**﴾[512]، وقال، ﴿**...وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى...**﴾[513]، وسياق الآيات يبين الأمر بالإحسان لذوي القربى، وقد جعل الله تعالى الإحسان إليهم عهداً وميثاقاً أخذه علينا وعلى الأمم السابقة، وهو عهد ماضٍ إلى يوم القيامة

٢ــ حق الإنفاق، قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ...**﴾[514]، وقال: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ...**﴾[515]، وسياق الآيات يحث على الإنفاق على ذوي القربى ومواساتهم، وقد عدها الله من أعمال البر.

([508]) البقرة: ٢٧

([509]) الرعد:٢٥

([510]) محمد: ٢٢

([511]) انظر: الفصل الأول ص٣١

([512]) البقرة: ٨٣

([513]) النساء: ٣٦

([514]) البقرة: ١٧٧

([515])البقرة: ٢١٥

٣ــ الوصية من الميراث، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[516]، وقد نسخ حكم الوصية للوالدين بآيات المواريث في سورة النساء، وبقيت للمحجوبين من ذوي القربى[517]، وقال:﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[518] في الآية إقرار عام بحق أولي الأرحام في الميراث وتقدمهم على غيرهم من عموم المسلمين[519]، كما أن فيها حثاً على الوصية لهم إن وجد من يحجبهم عن الميراث، وبينت أن ذلك من فعل المتقين.

ومن خلال هذا العرض الذي يظهر عناية القرآن الكريم بذوي القربى والأرحام.

يرى الباحث أن هذه الحقوق والواجبات لها علاقة وطيدة في صلاح المجتمع وتماسك بنيانه، لذا، فإنه لا يقطع رحمه إلا من فسدت سجاياه، وانطوى على نفس شريرة لا تحب الخير ولا تعرف للود طريقاً، ومن أفسد ما بينه وبين قرابته لا يرتجى منه خير، فيا لها من مفسدة أن يتصف الرجل بقطيعة رحمه!

الصفة الثانية: نقض العهود والمواثيق

للعهود والمواثيق شأن عظيم في الإسلام، لما لها من أهمية في ضبط العلاقات بين أفراد المجتمع وتأمين الحياة الكريمة لكل أفراده، وقد بين الله عز وجل لعباده أهمية الوفاء بالعهود والمواثيق في أكثر من موضع من كتابه العزيز، فمرة يأمر بالوفاء بها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ....﴾[520]، وأخرى يبين أن الوفاء بالعهود من تقوى الله تعالى، قال تعالى: ﴿...فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

([516]) البقرة: ١٨٠

([517]) انظر: صفوة التفاسير ــ الصابوني ــ ج١ص١١٩

([518]) الأنفال: ٧٥

([519]) انظر: المواريث في الشريعة الإسلامية ــ الصابوني ــ ص١٦

([520]) المائدة: ١

الْمُتَّقِينَ﴾[521]، وقال سبحانه: ﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾[522].

وقد عاب سبحانه وتعالى نقض العهود، فتارة جعله صفة من صفات الكفار والمنافقين، قال تعالى: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[523]، وأخرى صفة للفاسقين الذين يعيثون في الأرض فساداً، قال تعالى: ﴿**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ**﴾[524]، وقال: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[525]، وقد سبق تفسير هذه الآيات في الفصل الثاني من هذا البحث[526].

والجديد في هذا الموطن هو بيان أن صفة نقض العهود والمواثيق صفة أصيلة للمفسدين، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط التالية:

([521]) التوبة: ٤

([522]) التوبة: ٧

([523]) البقرة: ١٠٠

([524]) البقرة: ٢٦، ٢٧

([525]) الرعد: ٢٥

([526]) انظر: ص ١٠٤

١ــ في الآيات السابقة ذكر الله عز وجل الذين ينقضون العهود والمواثيق، في سياق الحديث عن المفسدين في الأرض، وفي هذا بيان أن نقض العهود من صفات المفسدين.

٢ــ قال تعالى: ﴿ **أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[527]، تبين الآية الكريمة قبح صفات بني إسرائيل التي اشتهروا بها، وكان من أبرزها أنهم لا يثبتون على عهد، فيتعاهدون اليوم وينقضون في الغد، وهذا هو دأبهم على مدى الأزمان، وقد جاءت الآية في معرض الحديث عن نهي بني إسرائيل عن الفساد في الأرض، والتي بدأت في مرحلة متقدمة من السورة، حيث قال تعالى: ﴿**...وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[٥٢٩]، ثم بدأ الحديث عن فضح فسادهم.

الصفة الثالثة: البغض والحسد

البغض في اللغة المقت ونقيضه الحب[530]، والحسد تمني أن تتحول النعمة من المحسود إلى الحاسد[531]، والبغضاء والحسد تنقسم إلى قسمين:

١ــ بغض وحسد محمودان، جاء مدحهما في الكتاب والسنة، فمن البغض الذي مدحه الله، بغض أعداء الله، بسبب عداوتهم لله ورسوله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ**

([527])البقرة: ١٠٠

([528]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج١ص٢١٦

([529]) البقرة: ٦٠

([530]) انظر لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٧ص١٢١

([531]) انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٣ص١٤٨

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ...﴾[532]، ومن الحسد الذي مدحته السنة قوله ﷺ **[لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به أناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار]**[533]، وليس هذا البغض أو الحسد الذي نحن بصدده.

٢ــ بغض وحسد مذمومان نهى الله عباده المؤمنين عن التخلق بها، لما يترتب عليهما من مخاطر، تفسد على المرء صفاء روحه ونفسه، ولا يتصف بهما إلا من كان مفسداً، قال تعالى: **﴿...وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾**[534]، فسياق الآية الكريمة يتحدث عن اليهود، فهي تصور لنا حالة العداء والبغضاء التي تلبسوا بها، حتى أصبحوا لا يعرفون للود طريقاً، وأصبح البغض والعداء هو السمة الغالبة على طبيعة العلاقة بينهم، قال تعالى: **﴿...تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى....﴾**[535]، ويترتب على تفشي صفة البغضاء والحسد في المجتمع أصنافٌ من الفساد أهمها إشعال الحروب وإراقة الدماء، وما يتبعها من تمزيق لوحدة الأمة والتئام صفها، قال تعالى: **﴿...وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ**

([532]) الممتحنة: ٤

([533]) صحيح مسلم ــ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب فضل من يقوم بالقرآن ــ ج١ص٥٥٨ــ ح(٨١٥)

([534]) المائدة: ٦٤

([535]) الحشر: ١٤

وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ...﴾ ، فالحرب والقتال بين أبناء الأمة الواحدة مفسدة كبرى، تفقد الأمة وحدتها، وتُذهب قوتها، وتُمزق بنيانها، فليس عجيباً ولا غريباً أن يتصف المفسدون بهذه الصفات التي تدمر الأمم والشعوب وتحيل حياتها إلى جحيم، فهذا هو دأب المفسدين، لذلك كانت فاصلة الآية تتناسب مع السياق، قال تعالى: ﴿**...وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾.

ويرى الباحث أن الحاقدين والمبغضين للمؤمنين، يدفعهم ما في قلوبهم من البغض لممارسة الفساد والتخريب والقتل للأنفس والحرق للزرع والترويع للآمنين، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾، فهذا المنافق الذي تناولته الآية الكريمة، ما فعل فعله إلا بسبب حقده وبغضه وحسده المترتب على فساد متأصل في نفسه.

والملوك حين دخولهم القرى عنوة وحرباً يفسدونها بقتل أحرارها وزعمائها، لضمان سلطانهم ودوام ملكهم، وما يدفعهم لفعل ذلك إلا حب الانتقام، والبغض والحسد الذي ملأ قلوبهم، قال تعالى على لسان ملكة سبأ: ﴿**...إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾.

([536]) المائدة: ٦٤

([537]) البقرة: ٢٠٥

([538]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ م٢ج٣ص١٧

([539]) انظر: المبصر لنور القرآن ــ نائلة هاشم صبري ــ ك١ج٢ص١٥٨

([540]) النمل: ٣٤

ولعل ما تعانيه الأمة الإسلامية في هذه الأيام، من تسلط أفسد الأمم وأخسها، بالاستيلاء على أرضها، وقتل رجالها، وهتك أعراضها، وسلب خيراتها، والتشكيك في عقيدتها، ما هو إلا نتيجة للبغض والحسد الذي ملأ قلوبهم وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...**﴾[541]، وقوله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ...**﴾[542].

الصفة الرابعة: الغدر والخديعة

يتودد المفسدون للناس بلين الكلام، ويسحرونهم ببلاغتهم وانطلاق ألسنتهم، حتى إن كثيراً من بسطاء الناس ليعجبون بأحاديثهم ويظنون بهم خيراً، وهم في حقيقة أمرهم يحملون أنياب الثعابين، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[543]، يخبرنا الله عز وجل في الآيات عن حال الأخنس بن شريق[544] وكل مَنْ على شاكلته ممن احترفوا الغدر والخداع بأساليبهم البراقة، حتى إذا ما سنحت لهم الفرصة المناسبة كشفوا عن حقيقة نفوسهم الغادرة وقلبوا للناس ظهر الغدر، فقتلوا النفوس وأحرقوا الأخضر واليابس، وعاثوا فساداً وإفساداً، مفصحين بذلك عن حقيقة نفوسهم الفاسدة الغادرة.

([541]) النساء: ٨٩

([542]) البقرة: ١٠٩

([543]) البقرة: ٢٠٤ــ٢٠٦

([544]) انظر: ص١٢٣

ويرى الباحث أن أصحاب هذه الصفة من المفسدين كثيرون في هذا الزمـــان، ممـــن يحترفون تصنع الكلام وزخرفه، تعجب من حديثهم حتى تظن أنهم قمة في الوفاء والأخـــلاق والنزاهة والحب والتفاني في خدمة مجتمعاتهم، فيحتقر الصالحون أنفسهم، حتى إذا ما تمكنـــوا من رقاب الناس وتقدموا الصفوف، كشفوا عن أنيابهم واستأثروا بمقدرات من حملـــوهم علـــى أكتافهم وهتفوا لهم، وعاثوا في الأرض فساداً، وضربوا نوعاً من الرق على شعوبهم.

فهذه هي صفات المفسدين، وعلى هذه الطريقة يقيمون علاقـــاتهم مـــع الآخـــرين، لا يراعون رحماً ولا مودةً ولا صداقةً ولا عهداً ولا ذمة، إنه الفساد الذي يحجب صاحبه عن كل معاني الخير.

المطلب الثالث: صفات عامة

و فيه أربع صفات:

الصفة الأولى: الاعتداد بالرأي

الصفة الثانية: التعالى وغمط الحق

الصفة الثالثة: انحراف الأهواء

الصفة الرابعة: الصد عن سبيل الله

الصفة الأولى: الاعتداد بالرأي

ومن صفات المفسدين أنهم يعتدّون بآرائهم، ويزكون أنفسهم، ويغلقون أعينهم ويصمون آذانهم عن الحقائق الدامغة حال مخالفتها لما يذهبون إليه، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾[545]، فالآية الكريمة تصف المفسدين عند نهيهم عن الإفساد في الأرض، بأنهم يتبجحون بأعمالهم السيئة، ويصرون على صوابها، ويكون ردهم بكل إصرار: ﴿...**إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾، وهم بذلك يجمعون بين

([545]) البقرة:١١

العمل بالفساد، واعتقاد أنه عين الصلاح ــ وذلك من قبيل قلبهم للحقائق ــ وهذا أعظم جناية ممن يعمل المعصية، مع اعتقاد فسادها، فهذا أقرب للسلامة وأرجى للتوبة والإنابة[546].

وإذا أخلص الدعاة النصح للمفسدين وذكروهم بالله، رأيت المفسدين يذهب بهم الغيظ والسفه كل مذهب، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْأِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[547]، فإذا ذُكِّر هذا الفاسد الآثم بالله، امتنع وأبى وأخذته الحمية البغيضة والاعتداد بالنفس المريضة الأثمة للاستعلاء والإصرار على فساده، فأي نفس هذه التي تصر على المنكرات، ولا تستجيب لداعي الخير والرشاد، إنها النفس الفاسدة التي اغترت بذاتها وظنت أنها دوماً على الصواب.

ومثال آخر لفرعون الذي بلغ فساده كل مبلغ، فأصبح علماً للفساد والطغيان، قد اعتد بنفسه حتى غدا لا يرى الحق إلا في رأيه، قال تعالى على لسانه وهو يقول لقومه: ﴿**...قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[548]، فهل بعد هذا القول من استخفاف بالآخرين، إنه الاعتداد بالنفس، الذي يسفه فيه المفسدون غيرهم، فلا يقيمون لهم وزناً ولا يبقون لهم وجوداً.

ويرى الباحث أن اعتداد المفسدين واعتقادهم بباطلهم رغم ضعفه، إنما هو نتيجة طبيعة للفساد الذي يتصفون به، والاغترار بالنفس المنحرفة التي استمرأت الفساد، فموقف المفسدين من الدعاة المصلحين تكشف لنا حقيقة هذه النفوس المريضة التي استحوذ عليها

([546]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ عبد الرحمن السعدي ــ ج١ص٢٢

([547]) البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦

([548]) غافر: ٢٩

الفساد، فأصبحت لا ترى الحق إلا في سلوكها المنحرف، وقمة الفساد أن يغمض المرء عينيه عن الحقيقة، ويصم أذنيه عن الهدى، فلا يعرفان لقلبه طريق.

الصفة الثانية: التعالي وغمط الحق

ومن صفات المفسدين أنهم يتعالون ويستكبرون عن سماع الحق، ويرفضون الانقياد إليه، قال تعالى: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ**﴾[549]، أي إن رفضوا الإجابة لِمَا تدعوهم إليه، مع علمهم اليقين بصدقه ــ وهذا قمة الفساد ــ فالله تعالى لا يخفى عليه أمرهم، ولا تنطلي عليه صفات نفوسهم التي جبلت على الكبر والتعالي على الحق.

ويأتي سياق الآية تعقيباً على آية المباهلة[550]، إذ رفض القوم من وفد نجران دعوة النبي ﷺ إلى الابتهال إلى الله تعالى وأن يجعل لعنة الله على المكذبين، خشية أن يعودوا إلى ديارهم فيعاجلهم الله بالعقوبة فلا يبقى أهل ولا ولد[551]، فقد رضوا بدينهم مع اعتقادهم القلبي ببطلانه، ورفضوا الحق مع اعتقادهم بصحته، وما هذا الرفض للحق وعدم الانقياد إليه إلا بسبب الكبر والفساد الذي ملأ قلوبهم، لذا كان التعقيب على آية المباهلة بالتأكيد على صدق ما جاء في القرآن من وصف للمسيح ابن مريم عليه السلام بأنه عبدٌ لله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ**﴾[552].

([549]) آل عمران: ٦٣

([550]) ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ . آل عمران:٦١.

([551]) تفسير الخازن المسمى لب التأويل في معاني التنزيل ــ علاء الدين علي بن محمد ــ ج١ص٣٦٠

([552]) المائدة: ٦٢، ٦٣

ولعل هذا المشهد يتكرر مع سيدنا نوح عليه السلام، لما دعا قومه للهداية والإيمان، فلم يجد القوم ما يبررون به امتناعهم عن دعوته غير التعالي والاستكبار، فكلما دعاهم لمغفرة الله ورضوانه﴿**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**﴾[553]، فالقوم يضعون أصابعهم في آذانهم إمعاناً في الإصرار على عدم رغبتهم في الاستماع لنوح عليه السلام، بل يبالغون في ذلك حين يضعون الثياب على وجوههم في حركة تفصح عن الاستكبار والاستعلاء بالباطل، وتكشف عن مدى الفساد الذي هيمن على النفوس، حتى لم يعد في وسعها سماع الحق.

ويرى الباحث أن المفسدين في كل زمان يرفضون الانقياد للحق رغم كل الحجج البينة والأدلة الساطعة الدالة عليه، ويصرون على التمسك بباطلهم، فالمشركون من قريش لما طلبوا من النبي ﷺ أن يأتيهم بآية حتى يؤمنوا، فشق الله القمر تحقيقاً لطلبه ﷺ، فامتنع القوم عن الإيمان وقالوا هذا سحر سحركم به[554] ، أليس هذا تعالياً وغمطاً للحق، دافعه الفساد؟ فساد العقيدة وحب الانتصار للنفس بغير الحق؟

الصفة الثالثة: انحراف الأهواء

هوى المرء ما يحب، والله عز وجل قد حبب الإيمان لعباده المؤمنين، وأمرهم بالصالحات وفعل الخيرات، قال تعالى: ﴿**...وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ...**﴾[555]، وكره لهم الكفر والعمل بمعصيته، فقال: ﴿**...وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ**

([553]) نوح: ٧

([554]) انظر: القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٧ص٤٧٩

([555]) الحجرات: ٧

وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ...﴾[556]، والمفسدون قد انحرفت أهواؤهم عن معاني الخير والصفات القويمة، وضلت أخلاقهم عن الفطرة السليمة، ومالوا بأخلاقهم، وأَلِفُوا الفجور حتى غدا صفة لهم، ومعلماً من معالمهم، وقد حذر الله تعالى الْخَلْقَ وهددهم بفساد حياتهم، وفساد السموات والأرض إن ساروا على نهج المفسدين واتبعوا أهواءهم، قال تعالى: ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾**[557]، وقد بين المفسرون في معاني الآية وظلالها، أن الحق الذي جاء به القرآن موافقاً للفطرة، لو وافق هوى المفسدين والمشركين وما يشتهونه من الشرك والمعاصي، لفسدت السموات والأرض، وذلك بإقامة القيامة، وإهلاك الناس من فرط غضب الله عليهم[558].

ويرى الباحث أن سياق الآية يوحي بأن أهواء المفسدين وما تحبه أنفسهم، لا يمكن بحال أن يلتقي مع الحق الذي جاء به المرسلون، وذلك لانحراف هذا الهوى وبعده عن الفطرة السليمة، ومنهج الله، ومكارم الأخلاق، وليس أدل على ذلك من حال قوم لوط الذين اشتهروا بالفساد، حيث وصفهم لوط عليه السلام بصفات تبين انحراف أهوائهم، قال تعالى: ﴿**وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا**

([556]) الحجرات ٧

([557]) المؤمنون: ٧١

([558])انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ ج٢ص١١١

بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾[559]، فالآيات تخبر عن انحراف قوم لوط في إشباع حاجاتهم، وانحراف أهوائهم عن الفطرة الصحيحة، وميلهم عن طريق الرشاد في قضاء غريزتهم البشرية، وفي موضع آخر من كتاب الله تعالى يفصحون بكل سفور عن مدى انحرافهم، حيث دعاهم لوط عليه السلام للكف عن هذا الهوى المنحرف، والعودة إلى الفطرة الأصيلة، قال تعالى على لسانه: ﴿**...قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ * قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ**﴾[560]، فأي هوىً هذا وأي انحراف هذا، إنها النفس الفاسدة التي استمرأت المعصية وأشربت الهوى المنحرف عن دين الله، فصدر عنها ما يفسد على المجتمع صفو الحياة، فاستحقوا غضب الله وشدة بطشه.

الصفة الرابعة: الصد عن سبيل الله

من صفات المفسدين أنهم يصدون عن سبيل الله تعالى، ويضعون العقبات أمام الدعاة ليثنوهم عن طريقهم في دعوة الناس، وقد بين سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز، حيث قال: ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ**﴾[561]، وقال سبحانه: ﴿ **وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ**

([559]) العنكوت: ٢٨ ــ ٣٠

([560]) هود: ٧٨، ٧٩

([561]) النحل: ٨٨

عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[562]، فالآية الأولى تبين أن من صفات المفسدين وجملة أعمالهم صد الناس عن دعوة الله ودينه، لذلك استحقوا مضاعفة العذاب بسبب هذا الفساد، وفي الآية الثانية نهيٌ لمدين عن فعل بعض الأعمال التي يبغضها الله عز وجل، ووصفَ فاعليها بالمغالين في الفساد، ومن جملة هذه المفاسد: الصد عن سبيل الله، فالمفسدون ساءت سجاياهم، وفسدت صفاتهم، وهم لا يحبون الخير للناس، ومن هذا المنطلق يقفون أمام الدعاة، فتارة يتصدون للناس في الطرقات يتوعدونهم ويرهبونهم، ليحولوا دون وصولهم إلى الأنبياء، وهذه هي حالة مدين كما تبين الآية السابقة، وتارة يقتلون الأنبياء والمصلحين ومن آمن معهم، كما هي الحالة في بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿**...وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...**﴾[563]،وكما فعل فرعون والملأُ من قومه حين قالوا: ﴿**...اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ...**﴾[564]، وتارة يحيكون المؤامرات ويضعون العراقيل ويسفهون المؤمنين كما هي الحالة في قريش مع النبي ﷺ والذين آمنوا معه.

وتعدد وسائل المفسدين في الصد عن سبيل الله، لثَنْيِ الدعاة عن دعوتهم وفت عضدهم، وحرف الناس عن الإيمان، ليكونوا في الكفر سواء، قال تعالى: ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...**﴾[565].

فالصد عن سبيل الله صفة لصيقة بالمفسدين، وهم لا يزالون يصدون عن سبيل الله في هذا الزمان، بل لعل أساليبهم تنوعت، ووسائلهم تعددت، وأصبح للمفسدين دول ترعى

([562]) الأعراف: ٨٦

([563]) آل عمران: ١٨١

([564]) غافر: ٢٥

([565]) النساء: ٨٩

مصالحهم، وتتبنى برامجهم وسياساتهم، ومجالس تشرع لهم القوانين الفاسدة، وما يحدث اليوم في بلاد أوروبا من تشريع القوانين التي تسمح بارتباط الرجل عاطفياً بمثله(الشذوذ الجنسي)، وكذلك المرأة بمثلها، وأكثر من ذلك أن برامج الأمم المتحدة ترعى هذه الوجهة!![566].

وما يجري اليوم من تآمر عالمي علي شعبنا الفلسطيني، دليل آخر على أن المفسدين لازالوا على ذات الطريق في الصد عن سبيل الله، فالنظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية وتنادي من خلاله بإعطاء الشعوب حقها في اختيار الحكومات التي تقودها وترعى مصالحها، فلما اختار الشعب في بلاد بيت المقدس ــ فلسطين ــ فئة مؤمنة، رافعة لراية التوحيد والإسلام، بدأت الولايات المتحدة وكل حلفائها بالتنكر ومعاقبة الشعب، لتثنيه عن طريق المؤمنين، وصده عن سبيل الله تعالى، فمنعوا المال وضيقوا على الناس أقواتهم[567].

ولا يقتصر صد المفسدين عن سبيل الله على ذلك، فهم يسخرون كلَّ إمكانياتهم لحبك المؤامرات ضد الدعاة والمؤمنين، فالحصار الاقتصادي، والسجون، والقتل، والحروب النفسية، والشائعات الإعلامية، والبرامج الفاسدة عبر الفضائيات، والمواقع الفاسدة عبر شبكات الاتصالات المتنوعة، ونوادي القمار التي بدأت تغزوا بلاد المسلمين، والمجلات الإباحية، والمخيمات الصيفية التي تجمع بين الجنسين في المنتجعات البحرية التي هيأت فيها كل وسائل الإغراء والإغواء وترعاها جهات فاسدة، ومنظمات تحمل الحقد على دين الله، كل ذلك وغيره وسائل ابتدعها المفسدون لحرف الناس عن دين الله تعالى[568].

([566]) وثيقة بكين لعام ١٩٩٥. انظر: مجلة الأزهر ــ السنة ٧٨ج٦ــ يونيو/١٩٩٥

([567]) (واشنطن تحظر كل التعاملات التجارية مع الحكومة الفلسطينية). انظر جريدة القدس العدد (١٣١٦٦) ٢٠٠٦/٤/١٤ ــ ص١.

([568]) انظر: جريدة الرسالة ــ فلسطين ــ العدد ٢٩٦ــ ٢٠٠٤/٦/١١ــ ص١٢ مقال بعنوان (إسقاط الشباب في حمأة الرذيلة وتحويل المرأة إلى سلعة رخيصة).

ورغم ذلك كله فإن الله ناصر دينه، وسيبطل كل جهودهم، بتسخير المخلصين من الدعاة العاملين، ومباركة جهدهم، قال تعالى: ﴿...وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[569].

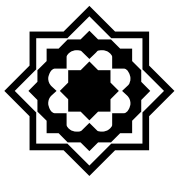

المبحث الثاني: نماذج مختارة من المفسدين ومصائرهم

و فيه مطلبان :

([569]) يوسف: ٢١

المطلب الأول: أفراد اشتهروا بالفساد

المطلب الثاني: أمم اشتهرت بالفساد

المطلب الأول: أفراد اشتهروا بالفساد

وفيه ثلاثة نماذج :

النموذج الأول: النمرود بن كنعان

النموذج الثاني: فرعون

النموذج الثالث: قارون

النموذج الأول: النمرود بن كنعان

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[570].

النمرود هو ابن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ملك بابل المشهور، قيل إنه حاز المُلكَ ألف سنة، وقيل أربعمائة، وكان في غاية الظلم والإفساد، وذكر بعض المؤرخين أنه مِنْ بَنِي راسب الذين بُعِثَ إليهم نوحٌ عليه السلام، وأنه كان إذ ذاك قد ملك الدنيا، وقيل أنه ملك مشارق

([570]) البقرة: ٢٥٨

الأرض ومغاربها أربعة من الناس: مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين، والكافران: نمرود بن كنعان وبختنصر[571].

ويعد النمرود قدوة لفرعون في الكفر والفساد من ثلاثة جوانب:

الأول: ادعاء الألوهية والربوبية، حيث ادعى قدرته على الإحياء والإماتة، قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ...﴾**[572]، وقال تعالى على لسان فرعون: **﴿...يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...﴾**[573]

الثاني: قتل الأطفال دون جرم أو ذنب، حيث قيل أنه طلع في زمانه نجم أخفى نور الشمس والقمر، فهاله ذلك فجمع الكهنة فأخبروه بميلاد طفل يكون زوال ملكه على يديه، فأمر بمنع الرجال عن النساء، وقتل كل من ولد من الأطفال في ذلك الحين، وقد فعل فرعون ببني إسرائيل، مثل هذا[574].

الثالث: بناء صرح عظيم لبلوغ السماء والبحث عن إله إبراهيم عليه السلام، حيث ذكر ابن عباس في تفسير قوله تعالى: **﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾**[575]، أن النمرود بن كنعان بنى صرحاً في قرية قرب الكوفة وجعل طوله خمسة الآف ذراع وخمسين ذراعا وعرضه ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وعشرين ذراعا وصعد فيه، فلما علم أنه لا سبيل له إلى السماء اتخذه حصنا وجمع فيه أهله وولده وجعله

([571])انظر: البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ ج١ص١٧٣

([572]) البقرة: ٢٥٨

([573]) القصص: ٣٨

([574]) انظر: البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ ج١ص١٧٣.

([575]) ابراهيم: ٤٦

حصناً لهم، فأتى الله بنيانه من القواعد فتداعى الصرح عليهم فهلكوا جميعاً"[576]، وقد قال الله تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى...**﴾[577] .

ويُعدُ النمرود رمزاً في الفساد، لكل من صده طول بقائه في السلطان عن سبيل الله، ويمكن بيان أبرز أنواع الفساد التي وقع بها النمرود كما يلي:

١ــ القتل وسفك الدماء

إن سفك الدماء وقتل النفس البشرية تجبراً وطغياناً من أخص صفات المفسدين، فلما أخبر الكهنة النمرود تفسيرهم لأمر النجم العظيم، تمادى ــ قتله الله ــ في القتل وسفك الدماء، فكم قتل من أطفال قومه البريئين دون ذنب أو معصية[578]، لمجرد رغبته في تدعيم أركان ملكة، وقتله لنفس بريئة بما أراد أن يثبت لإبراهيم قدرته على الإماتة[579]، فأي فساد هذا الذي يمعن فيه الحاكم في قتل الناس والأطفال دون ذنب أو معصية، إنها النفس البشرية حين تتنكر للفطرة وتتخلع عن القيم الأصيلة التي فطرها الله عليها من الرحمة وحب الخير، وهذا هو سبيل المفسدين.

٢ــ الكفر وادعاء الربوبية

وقد ادعى النمرود الربوبية لذاته، ونفى أن يكون للناس ربٌ سواه، فلما جاءه إبراهيم بالتوحيد أنكر عليه وطلب الدليل، حيث ذكر المفسرون أن النمرود قد ملك خزائن الأرض،

([576]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٩ص٣٢٤

([577]) القصص: ٣٨

([578])انظر: البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ ج١ص١٧٣

([579]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٣ص٢٧١

وكان لا يطعم أحداً حتى يقر له بالربوبية، فإن أقر أطعمه، وإن أَبَى حرمه، فلما قال إبـــراهيم ﴿...رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ...﴾[580]، تمادى النمرود في جداله فادعى لنفسه القدرة على الإحياء والإماتة، فقال: ﴿...أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ...﴾[٣]، وهذا قمة ما يمكن أن يصل إليه فساد مفسد حين يدعي لنفسه القدرة على الإحياء والإماتة، وهي أخص صفات الله سبحانه وتعالى.

٣ــ الكبر والعناد

لما حاجَّ النمرود إبراهيم عليه السلام في وجود الله عز وجل، وادعـــى لنفـــسه مـــا لـــرب العالمين فقال: ﴿...أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ...﴾ [٣]، كان يعلم أن إبـــراهيم أراد بالإحيـــاء وجـــود الشيء بعد عدمه، والإماتة عدم الشيء بعد وجوده، وهذا ما يُسْتَدَلُ به علـــى وجـــود الخـــالق المختار، ولكنه ــ قتله الله ــ لجأ إلى أسلوب المراوغة والمجادلة، بقصد الكبر والـــصد عـــن الحق، فقام بقتل نفس والعفو عن أخرى، وادعى بذلك قدرته على الإحياء والإماتة، وما دفعـــه لفعل ذلك إلا الحرص على السلطان والملك، فحمله الكبر على مقابلة النعمة بالجحود والتنكـــر والبطر[581]، وهذا هو دأب المفسدين على مر العصور.

مصير النمرود

لقد اقتضت سنة الله تعالى أن يملي للظالم، حتى إذا جاوز الحد وحان القصاص أخـــذه فلم يفلته، قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[582]، ولما كان النمرود قد عتى عتـــواً كبيراً، وادعى الربوبية وقتل وسفك الدماء وطغى وبغى بغير حق، سلط الله عليه من العـــذاب

([580]) البقرة: ٢٥٨

([581]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج١ص٦٨٣

([582]) الأعراف: ١٨٣

ما فيه عبرة لغيره من الطغاة والمفسدين، ليكون ذلك زاجراً ورادعاً لهم لعلهم ينتهون، وعذب الله النمرود في الدنيا بصنفين من العذاب وهما كما يلي:

أولاً: إهلاك جيشه بجند من البعوض: لما كان فساد النمرود يتمثل بإهانة الناس وسومهم أصناف العذاب، فيقتل ويظلم، ويحرق، أراد الله عز وجل أن يجعله عبرة لكل متجبر، فأذاقه ذل الحياة قبل الممات، فقد ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ...**﴾[583]، أن الله عز وجل أرسل إليه ملكا يذكره بالله فأبى، ثم دعاه الثانية فأبى، ثم الثالثة فأبى، وقال النمرود لذلك الملك: اجمعْ جموعك وأجمعُ جموعي، فجمع النمرود جيشه وجنده وقت طلوع الشمس، فأرسل الله عليهم سرباً من البعوض، حتى حَجَبَ عنهم عين الشمس، فأكل البعوض لحوم الجند ودماءهم حتى غدو عظاماً، ثم دخلت بعوضة في أنف النمرود فمكثت في خيشومه أربعمائة سنة، فكان يَضْرِبُ رأسه بالمطارق، وكان أرحم الناس به من بالغ في ضرب رأسه حتى أهلكه الله، وقد استمر هذا الحال أربعمائة عام، وقد كان جباراً ظالماً مثل ذلك[584].

ثانياً: دمار بنيانه من القواعد: ذكر بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ**﴾[585]، أن هذه الآية مَثَلٌ ضَرَبَه الله في النمرود، إذ شيد لنفسه صرحاً رفعه في السماء ليترصد خبرها، ويقاتل أهلها، فلما دخله هو وحاشيته،

([583]) البقرة: ٢٥٨

([584]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج١ ص٦٨٤، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ الطبري ــ م٣ص١٨

([585]) النحل: ٢٦

أرسل الله عليهم ريحاً، فأتت برأسه في البحر، وانهار البنيان عليهم، فهلكوا جميعاً[586]، وصدق الله العظيم القائل: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[587].

وهكذا يكون هلاك المفسدين من جنس عملهم، فجيش من بعوض، يسحق جيش النمرود، فيُذَلُ بسببه ويُضْرَبُ على رأسه بالأيدي والمطارق، ثم بنيان عظيم أراد أن يثبت من خلالها أركان ملكه، ويشرف منه على حرب أهل السماء، فينهار من قواعده ويكون سبباً في موته وفناء حاشيته، وصدق الله تعالى القائل: ﴿**...إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[588].

فهل يعتبر المتجبرون والمتسلطون على رقاب الشعوب من بطش الله وتنكيله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ**﴾[589]

النموذج الثاني: فرعون.

فرعون لقب لملوك مصر في فترة ما قبل موسى عليه السلام، ويقال كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام: الوليد بن مصعب بن الريان، وقيل مصعب بن الريان، فكان من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوح[590]،وقيل أصله فارسي من اصطخر[591].

([586]) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ــ الطبري ــ م٩ج١٤ص٦٧، الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١٠ص٨٩، أنوار التنزيل وأسرار التنزيل ــ البيضاوي ــ ج١ص٥٥٣

([587]) هود: ١٠٢

([588]) يونس: ٨١

([589]) البروج: ١٢

([590]) انظر: تاريخ الأمم والملوك ــ للطبري ــ ج١ص١٧٥

([591])اصطخر بلدة في بلاد فارس لها مكانة تاريخية، وتعتبر من أقدم المدن.انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج١ص٢١٩، انظر: معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ ج١ص٢١١

ويُعدُ فرعون رمزاً لكل من أفسده السلطان والجاه، حتى غدا مثلاً يضرب لكل ذي سلطان جائر عاث في الأرض فساداً، وذُكِرَ لفظ فرعون في القرآن سبعاً وستين مرة في إحدى وستين آية كلها قد اقترنت بالفساد بكافة ألوانه، والإسراف فيه، ويمكن إجمال نواحي الفساد التي اشتهر فيها فرعون على النحو التالي:

١ــ القتل وسفك الدماء

قال تعالى: **(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)**[592]، فكان فرعون يرسل القابلات[593] يتفقدن نساء بني إسرائيل، فمن رأينها قد حملت أحصوها، فإذا كان وقت ولادتها لا يَقْبَلها إلا نساء القبط، فإن ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن، وإن ولدت غلاما دخل الذباحون بأيديهم الشفار[594] الحادة فقتلوه ومضوا، قتلهم الله تعالى[595].

فجريمة هي قتل النفس العاصية التي اقترفت منكراً لا يستحق القتل، فكيف بقتل نفس بريئة؟ جريمتها أن تنتسب لقوم لا تملك بشأن هذا النسب حق الاختيار أو الاعتراض، أليس هذا هو قمة الظلم والفساد؟

٢ - قهر الرعية وتعذيبها

لقد استأمن الله تعالى الحكام وذوي السلطان لرعاية مصالح الناس وخدمتهم، لكن الطاغية فرعون سام رعيته سوء العذاب، قال تعالى مبيناً جانباً من نعمته على بني إسرائيل: **﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ**

([592])القصص: ٤

([593])المرأة إذا قَبِلت الولد أي تلقَّته عند الولادة. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ح١١ص٥٣٤

([594]) الشِّفار جمع شَفْرة وهي: السِّكِّين. انظر كتاب العين ــ الفراهيدي ــ ج٦ص٢٥٤

([595]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٦ص٢٣٥

نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[596]، فكان الفراعنة يعذبون بني إسرائيل، ويفرضون عليهم أشق الأعمال وأخسها، من الخدمة في المزارع وتشييد المباني الفارهة وغيرها، ويبقى الفراعنة أسياداً يتمتعون على حساب بني إسرائيل وآلامهم، ومع ذلك يقتلون أبناءهم ويبقون النساء للخدمة دون رحمة[597]، وكل ذلك كان بأمر من فرعون.

٣ ــ الاستعلاء بغير حق

قال تعالى مخبراً عن فرعون: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[598]، وقد أجملت الآية الكريمة علو فرعون أولاً، ثم بينت ما كان مجملاً، فقد تمثل علوه بالتفريق بين الرعية، واستذلال طائفة من الرعية لحساب طائفة أخرى، فأفسد ما بينهم وأغرى بينهم العداوة ليتفرد بسلطانه عليهم، ويحقق لنفسه ما يطمح إليه من السيادة على الجميع﴿رمضان رمضان﴾، وقد أعطى نفسه من الهالة والتعظيم ما لا ينبغي إلا لله.

٤ - التكذيب بآيات الله

كان فرعون لعنه الله مسرفاً مغالياً في تكذيبه لآيات الله، فقد ابتلى الله تعالى فرعون وقومه بابتلاءات عديدة واضحة جلية[600]، تكفي الواحدة منها أن يخضع القلب من هولها

([596]) البقرة: ٤٩

([597]) انظر: جامع البيان في تفسير أي القرآن ــ الطبري ــ ج١ص٢١٤

([598]) القصص: ٤

([599]) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم ــ محمد بن محمدالعمادي أبو السعود ــ ج٤ص٢٢٣

([600]) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمْ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى

خشوعاً وشكراً لله، لكن فرعون وملأه تمادوا في تكذيبهم وكفرهم بآيات الله فأهلكهم الله وجعلهم للناس عبرة.

٥ - قطع أيدي الخصوم وأرجلهم

قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿**قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**﴾[601] ، إن التعذيب والتشويه والتنكيل وسيلة الباطل المفضلة في مواجهة الحق، فأهل الباطل لا يملكون في مواجهة الحق حجة ولا برهاناً، لا يملكون إلا البطش والتنكيل[602]، وهذا هو فعل المفسدين من الطواغيت في كل زمان ومكان.

٦ - نقض العهود

وقد تجسد فساد فرعون أيضاً بنقض العهود والمواثيق، فقد برع وقومه في نقض كل عهد لهم مع موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمْ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ**﴾[603]، لما أخذ الله

ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾الأعراف: ١٣٠-١٣٥

([601]) طه: ٧٠

([602]) انظر: في ظلال القرآن الكريم ــ سيد قطب ــ ج٣ص١٣٥١

([603]) الأعراف: ١٣٤، ١٣٥

فرعونَ وقومَه بأصناف العذاب، كانوا يعاهدون موسى عليه السلام لئن رفع ربك عنا العذاب لنتبعك ونطلق بني إسرائيل، فإذا كشف الله عنهم العذاب، غدروا ونكثوا.

٧ - الكبر

والكبر من صفات المفسدين التي برع فيها فرعون وقومه، حتى غدوا أعلاماً للكبر والفساد، قال تعالى: ﴿**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ**﴾ تعالى، كما رفض الإيمان بالله واليوم الآخر، مع استقرار حقيقته في نفسه تكبراً واستعلاءً، قال تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[605]، فما صده عن الإيمان إلا الكبر، فقد كان موسى عليه السلام وقومه خدماً لدى فرعون وقومه، قال تعالى حكاية عن فرعون وملئه: ﴿**فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ**﴾[606]، وهذه غاية الكبر والتجبر.

٨ ــ ادعاء الألوهية والربوبية

وقد علمنا أن من أسباب الفساد اعتقاد تعدد الآلهة، وقد عمل فرعون على ترسيخ هذا المعتقد في قومه حتى قال له قومه: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ...**﴾ رضي الله عنهم، وقد بين المفسرون رحمهم الله أن الآلهة التي ترك موسى وقومه عبادتها هي آلهة قوم فرعون التي كانوا يعبدونها من دون الله، وقد

([604])القصص: ٣٩

([605]) النمل ١٤

([606]) المؤمنون: ٤٧

([607]) الأعراف: ١٢٧

([608]) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن ــ الطبري ــ م٦ج٩ص١٧، انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٧ص٢٣١

نَصَّبَ فرعون من نفسه إلهاً يُعْبَد من دون الله، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...**﴾﴿ص﴾، ولم يكتف بهذا القدر من الكفر والغلو، بل ادعى لنفسه الربوبية، قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿**فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى**﴾[610].

٩ - اتهام المرسلين بالفساد

لقد قذف فرعون موسى عليه السلام بالفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾[611]، وقد أراد فرعون بهذا الادعاء صد الناس عن دعوة موسى عليه السلام، ومن هنا كان هذا الاتهام أسلوباً من أساليب فرعون للصد عن سبيل الله عز وجل.

١٠ - الاعتداد بالرأي وتسفيه الآخرين

والاعتداد بالنفس من أفعال المفسدين، وقد كان فرعون متميزاً في هذا الجانب، إذ بلغ فيه الأمر أن يسفه الناس أجمعين، ولا يرى الصواب إلا في رأيه، قال تعالى: ﴿**.... قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾﴿غافر﴾

مصير فرعون

لقد تمثل عقاب فرعون في الدنيا بأمرين:

الأول: الغيظ، رغم كل الأساليب الظالمة التي مارسها فرعون على بني إسرائيل، المتمثلة في قتل الذكران من مواليدهم، واستذلال رجالهم ونسائهم، فقد ترعرع موسى عليه السلام

([609]) القصص: ٣٨
([610]) النازعات: ٢٣، ٢٤
([611]) غافر: ٢٦
([612]) غافر: ٢٩

في حجر فرعون، حتى غدا فتىً جلداً، وقد كانت نهاية فرعون وعرشه على يدي موسى عليه السلام، ليكون ذلك أشد نكاية وحسرة له، قال تعالى واصفاً الغيظ الذي مَلأَ قلب فرعون وهو يطارد موسى عليه السلام: ﴿**إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ**﴾[613].

الثاني: سوء الخاتمة، لقد تطاول فرعون وظن أنه مالك الأرض والبشر والماء، قال تعالى واصفاً غروره: ﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾[614]، فكان عقابه أن أُغرِقَ وجنده في البحر، يوم أن طارد موسى وقومه، وبلعته المياه في معينها، ثم ألقته إلى الشاطئ ذليلاً مهيناً يركل بالنعال، ليكون لمن خلفه آية، قال تعالى: ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**﴾[615].

النموذج الثالث: قارون

قيل إن قارون هو ابن عم موسى عليه السلام، فهو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى عليه السلام بن عمران بن قاهث، وقيل هو عم موسى عليه السلام، فهو قارون بن يصهر، وموسى بن عمران بن يصهر، وقد رجح الطبري رحمه الله الرأي الأول[616]، وعلى أية حال فهو من بني إسرائيل كما صرح بذلك القرآن، وكان ممن خرج مع موسى عليه السلام وعَبَرَ البحر.

ويُعْدُ قارون مثلاً لمن أفسده المال والعلم، وصدته الدنيا بزينتها وعلومها عن طريق الصالحين، حيث آتاه الله مالاً وعلماً، ولكنه قابل هذه النعم بالبغي والتنكر، والاعتداد بالنفس،

([613]) الشعراء: ٥٤، ٥٥

([614]) الزخرف: ٥١

([615]) يونس: ٩٢

([616]) انظر: جامع البيان عن تفسير أي القرآن ــ الطبري ــ م١٠ج٢٠ص٦٧

والبخل والمبالغة في العصيان، قال تعالى واصفاً حاله: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾[617].

ومن خلال هذه الآيات الكريمة يمكن أن نقف على جوانب الفساد في حياة قارون، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

١ــ الكبر والبغي

([617]) القصص: ٧٦- ٨٢

قال تعالى: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾[618] قيل: إن بغي قارون على قومه كما جاء في الآيات إنما قصد به أنه تجاوز الحد في الكبر والبذخ على قومه[619]، ولعل سياق الآيات من سورة القصص يؤكد ذلك، إذ كان يخرج على قومه في زينة عظيمة وتجمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحاشيته، فلما رآه البسطاء ممن لهم شوق إلى الحياة الدنيا، ويميلون إلى زخارفها وزينتها، تمنوا أن يكون لهم مثل الذي أوتي قارون[620]، وقيل أنه كان يخرج بالثياب المصبوغة بألوان زاهية، على بغال بيض عليها الثياب الحمر، مع الخدم والجواري[621]، وكل ذلك على سبيل الخيلاء والتكبر.

٢ــ الاعتداد بالنفس والإصرار على الباطل

لما نصح الصالحون قارون باتخاذ ما آتاه الله من المال والخزائن والكنوز قربة عند الله تعالى، وإنفاقها في سبيل الله تعالى، مع أخذ حاجته منها على سبيل الاعتدال، أنكر أن تكون هذه نعمة من نعم الله تعالى عليه، وتمادى في الإنكار وادعى لنفسه العلم الخبرة والمعرفة بفنون التجارة وجمع المال، فاعتد بنفسه ونسي المنعم سبحانه وتعالى، وهذه من صفات المفسدين، فهم يَعْتَدُّونَ بأنفسهم، ويعظمون من شأنها، فدفعه هذا الخلق الفاسد للصد عن سبيل الله والبخل بإنفاق المال كما أمر الله تعالى[622]

([618]) العنكبوت: ٣٩

([619]) انظر: الكشاف ــ للزمخشري ج٣ص١٩٠

([620]) انظر: تفسر القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٦ص٢٩٦

([621]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١٣ص٢٨٠

([622]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٥ص٢٧١٢

وهذا المشهد يتكرر كثيراً في الناس، فكثير منهم يعتقدون أن علمهم وخبرتهم هي التي حققت لهم المال والمكانة والزعامة بين الناس، ومن ثم فهم غير محاسبين عما ينفقون أو يبخلون أو يتصرفون، فهي أموالهم وهم في شأنها أحرار!

ولا شك أن الإسلام لا ينكر الملكية الشخصية في المال، ولكن جعل فيه نصيباً للسائل والمحروم، وحبب للنفس البشرية ورغبها في عمل الخير والبعد عن التعالي والبطر.

٣ــ الصد عن سبيل الله

والصد عن سبيل الله لا يكون دائماً بالوقوف في وجه الدعاة ومحاربتهم وفتنة المؤمنين، فقد يكون الصد بالمجاهرة بالمنكرات، وإشاعة الرذيلة بين أبناء الأمة، وفي ذلك يكون المرء داعياً للمعصية كما قال الله في حق فرعون وقومه: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ**﴾[623]، وهذا ما كان من أمر قارون، فصد عن السبيل حين مارس الفساد في الأرض بالبغي والظلم على قومه، وصد عن سبيل الله لما أمسك عن إنفاق المال في سبيل الله، وصد حين خرج بالزينة متبختراً مستكبراً على الناس، وصد حين ملأ صدور الناس بالحرج والحسد والحسرة، وصد حين أنفق المال في غير وجهه.

٤ــ اتهام نبي الله موسى عليه السلام بالسحر والكذب

وقد قذف الطاغية قارون موسى عليه السلام بالكذب والسحر كعادة غيره من المفسدين والطغاة، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾[624]، ولم ينته قارون عند هذا الحد من الفساد بل تمادى في

([623]) القصص: ٤١

([624]) غافر: ٢٣، ٢٤

فساده وظلمه وبغيه، فعزم أن يقذف موسى عليه السلام في عرضه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه **[لما أتى موسى قومه، أمرهم بالزكاة، فجمعهم قارون فقال لهم: جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها فتحملوا أن تعطوه أموالكم؟ فقالوا: لا نحتمل أن نعطيه أموالنا، فما ترى؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغي بني إسرائيل فنرسلها إليه فترميه بأنه أرادها على نفسها، فدعا موسى عليهم...]**[625]. وقد ذكر المفسرون[626] هذا الحديث بطوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾[627]

مصير قارون

قال تعالى: ﴿ **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾[628]، وقد تمثل فساد قارون بالكبر والخيلاء والتعالي على الناس، ومنع الزكاة، وزرع الفساد والأحقاد بين الناس، فلما تجاوز الحد وأراد أن ينال من موسى عليه السلام ويقذفه، خسف الله به الأرض، التي كان يتنقل عليها فرحاً مختالاً فخوراً، وطمس على ماله وداره فهو يتجلجل وماله وبيته في الأرض إلى يوم القيامة، قال ﷺ: [

([625]) المستدرك على الصحيحين ــ الحاكم النيسابوي ــ ج٢ص٤٤٣ــ ح(٣٥٣٦)

([626]) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن ــ الطبري ــ م١٠ج٢٠ص٧٤، انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٦ص٢٧٠

([627]) القصص: ٨١

([628]) القصص: ٨١

بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته[629] **وبراده إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة**][630]، وهكذا فإن الله أعد للمفسدين عذاباً من جنس عملهم ليكون عبرة لأولى الأبصار.

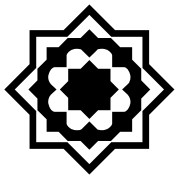

المطلب الثاني: أمم اشتهرت بالفساد

([629]) الجمة ما نزل على الكتفين من الشعر، وهو دليل على العُجْبِ والكبر. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ج٥ص٢٨٧.

([630]) صحيح مسلم ــ كتاب اللباس ــ باب تحريم الخيلاء ــ ج٣ص١٦٥٣ــ ح(٢٠٨٨)

و فيه ثلاثة نماذج :

النموذج الأول: يأجوج ومأجوج

النموذج الثاني: قوم لوط

النموذج الثالث: بنو إسرائيل

النموذج الأول: يأجوج ومأجوج

قال تعالى: ﴿...إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ...﴾[631]، اختُلِفَ في أصل يأجوج ومأجوج، والأرجح أنهم قبائل بشرية من ذرية آدم عليه السلام، حيث جاء في الحديث القدسي أن النبي ﷺ قال: يقول الله عز وجل: **[يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، قال: فاشتد**

([631]) الكهف: ٩٤

ذلك عليهم، قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل ؟ فقال أبشروا فإن من يـــأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل....][632]، ويرى ابن كثير والقرطبي والطبـــري وغيـــرهم[633] ممن خاضوا في أصل يأجوج ومأجوج أنهم من نسل يافث بن نوح عليه السلام، وأنهم والترك مـــن نسب واحد، وقيل إن الترك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج، خرجت من القبيلـــة، فجـــاء ذو القرنين فبنى السد فبقوا خارجين عنه[634].

وقد أجمل القرآن الكريم فساد يأجوج ومـــأجوج بقولـــه تعـــالى: ﴿**...إِنَّ يَـــأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ...**﴾ دون تفصيل، ولم يرد في القرآن ذكر لفسادهم في غيـــر هذا الموضع، وقد بين المفسرون جانباً من هذا الفساد الذي جعل ذلـــك الملـــك الـــصالح ــ ذا القرنين ــ يضرب سداً يحول دون وصول فسادهم إلى مَنْ جاورهم من سائر القبائل، وقد كان إفسادهم يتمثل بالإغارة على القبائل المجاورة فيقتلون ويخربون ويأكلون كل أخضر ويحملون كل يابس، وقيل أنهم كانوا يأكلون غيرهم من البشر[635]، وقيل أن أمر فسادهم وصل بهـــم أن يأكلوا جيف أمواتهم، وقيل إن إفسادهم تمثل في الظلم والغشم[636] والقتل وسائر وجوه الإفساد المعلومة من البشر[637].

([632]) صحيح مسلم ــ كتاب الإيمان ــ باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار ــ ج١ص٢٠١ ــ ح(٣٧٩)

([633]) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن ــ الطبري ــ م٨ج١٦ص١٤، انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ ج١١ص٥٣. انظر: نفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٥ص٢٠٣

([634]) انظر:روح المعاني ــ الألوسي ــ م٦ج١٦ص٣٨

([635]) انظر: الكشاف ــ الزمخشري ــ ج٢ص٤٩٨

([636]) الغشم: بمعنى الجمع بين الظلم والغضب. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١٢ص٤٣٧، كتـــاب العين ــ الفراهيدي ــ ج٤ص٣٦٢.

([637]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١١ص٥٣

ومن خلال هذا العرض لأقوال المفسرين، تظهر صورة هؤلاء القوم من حيث فسادهم وعتوهم في الأرض، فالغارة على الناس، وإتلاف المزارع، وقتل النفس البشرية بغير ذنب، وسرقة المتاع، والظلم وغير ذلك مما ذكر كله فساد يستحق فاعله التأديب والعقاب، فكيف إذا أضيف له الوحشية والقسوة والغلظة بأن يأكل الإنسانُ لحمَ أخيه الإنسان؟! أو أن يأكل أخاه بعد أن يموت فيصبح جيفة، إن هذا الصنف من الفساد يفوق كل تصور.

وقيل إن المقصود بقوله تعالى: ﴿**...مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ...**﴾[638] أنهم سيفسدون في الأرض لا أنهم كانوا مفسدين في ذلك الزمان[639]، وقد بينت السنة النبوية المطهرة ما يؤكد أنهم سيفسدون في آخر الزمان، وأنهم سيخرجون من وراء سدهم حيث روي عن زينب بنت جحش أنها قالت: خرج رسول ﷺ يوما فزعا محمرا وجهه يقول **[لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخبث]**[640]، فالنبي ﷺ يشفق على أمته من خطر القوم وفسادهم لعلمه بما سيكون عليه حالهم وما سيحدثون من دمار وفساد حال خروجهم في آخر الزمان.

مصير يأجوج ومأجوج

ولما اقتضت سنة الله أن يأخذ الظالمين بعذابٍ من جنس عملهم، وكان أشهر فساد القوم هو الإغارة على جيرانهم من القبائل الأخرى وإفساد حياتهم ظلماً وعدواناً، عاجلهم الله

([638]) الكهف: ٩٤

([639]) انظر: جامع البيان تفسير القرآن ــ الطبري ــ م٨ج١٥ص١٩

([640]) صحيح مسلم ــ كتاب الفتن ــ باب اقتران الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج ــ ج٤ص٢٢٠٧ــ ح(٢٢٨٠).

بأن سلط عليهم ملكاً عادلاً فضرب عليهم سداً عظيماً فحبسوا خلفه، وضيق عليهم حياتهم، وكف أذاهم عن الخلق، ولما يفتح سدهم في آخر الزمان ويفسدوا مرة أخري سيأخذهم الله بالنغف[641]، في رقابهم فيموتون كنفس واحدة كما أخبر بذلك النبي ﷺ، حيث قال: **[...ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة،...]**[642]، وهكذا فإن الله يهلك المفسدين في الدنيا بالاستئصال، أو يعاجلهم بعقوبة تحد من فسادهم رأفة بعباده الصالحين.

النموذج الثاني: قوم لوط

"لوط هو ابن هاران بن آزر، وهو ابن أخٍ لإبراهيم الخليل عليهما السلام، وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله إلى أهل سدوم[643] وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عز وجل"[644].

وقوم لوط عليه السلام كانوا يرتكبون من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها ولم يسبقهم إليها أحد من البشر، إذ كانوا يأتون الرجال شهوة دون النساء، وهذا شيء لم يكن

([641])النغف: دود ينسلخ عن الخنافس ونحوها. انظر كتاب العين ــ الفراهيدي ــ ج٤ص٤٢٤

([642]) صحيح مسلم ــ كتاب الفتن وأشراط الساعة ــ باب صفة الدجال ــ ج٤ص٢٢٥٠ ــ ح(٢٩٣٧٩)

([643]) قرية سدوم من قرى قوم لوط عليه السلام شرق فلسطين، غربي البحر الميت. انظر: معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ ج٣ص٢٠٠

([644]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٣ص٤٨٨.

بنو آدم يألفونه من قبل، قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ**﴾[645].

وقد تمثل فساد قوم لوط في ثلاثة أشياء يمكن بيانها على النحو التالي:

١ــ إتيان الرجال شهوة من دون النساء

قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾[646]، في الآية الكريمة يبين الله عز وجل فساد القوم وفعلتهم المشينة الفاضحة، وما أصاب فطرتهم من انحراف وشذوذ عجيبين، إذ يتركون النساء رغبة في الرجال، فقد أجاب القوم نبيهم عليه السلام برغبتهم في الفاحشة عن قصد وعناد، كما أخبر الحق تبارك وتعالى عنهم: ﴿**قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ**﴾[647]، فهم يسعون للفاحشة مخالفين الفطرة التي تهتدي إليها النفوس بطبيعتها، راغبين عن الاستقامة بكل عزم وإرادة، غير مكترثين بما يترتب على فاحشتهم من فناء للنسل، وشقاء نفسي، فالراحة النفسية تكون في تلبية نداء الحكمة الربانية التي غرسها في النفوس[648].

وظاهرة قوم لوط تشير إلى أن المرض النفسي أشد عدوى من المرض الجسدي، وأنه يمكن أن يتفشى مرض نفسي كهذا نتيجة لاختلال المقاييس في بيئة من البيئات، رغم مصادمته للفطرة التي يحكمها الناموس الذي يحكم الحياة، الناموس الذي يقتضي أن تجد النفس

([645]) الأعراف: ٨٠

([646]) الأعراف: ٨٠، ٨١

([647]) هود: ٧٩

([648])انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٤ص١٩١٣

لذتها فيما يلبي حاجة الحياة لا فيما يناقضها ويعدمها، والشذوذ الجنسي يناقض الحياة ويعدمها، لأنه يذهب ببذور الحياة في تربة خبيثة لم تهيأ لإنمائها، ومن أجل هذا تنفر الفطرة السليمة نفورا فطريا - لا نفوراً أخلاقيا فحسب - من عمل قوم لوط[649].

قال الوليد بن عبد الملك[650] معلقاً على قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً...**﴾[651]: لولا أن الله عز وجل قص علينا خبر قوم لوط ما ظننت أن ذكرا يعلو ذكرا[652].

٢ــ قطع الطريق

قال تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾[653]، ففي الآيات الكريمة يبين لوط عليه السلام أن قومه أقاموا على ثلاثة أعمال فاحشة، يترتب عليها الفساد في الأرض، ذكر منها قطع الطريق، فقد كان القوم يتعرضون للسابلة[654] بالقتل، وأخذ المال، أو بمساومتهم على الفاحشة حتى انقطعت

([649]) نفس المصدر السابق

([650]) هو خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، تولى الإمارة عام ٨٦هـ وكانت خلافته عشر سنوات، توفي عام ٩٦هـ. انظر: البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ م٥ج٩ص٧٠

([651]) الأعراف: ٨١

([652]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٣ ص٤٨٨

([653]) العنكبوت: ٢٨-٣٠

([654])والسابِلَة: أبناء السَّبيل المختلفون على الطُّرُقات في حوائجهم. لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١١ص٣١٩

الطرق وضاقت على الناس، وقيل تقطعون السبيل بمعنى قطع النسل بالإعراض عن النساء اللاتي هن الحرث، وإتيان الرجال وهم ليسوا بحرث[655].

٣ــ المجاهرة بالفواحش

قال تعالى: ﴿..وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنكَرَ...﴾[1] أي تفعلون الفواحش في مجالسكم الغاصة[656] بأهلها، كالجماع والضراط وحل الإزار وغيرها من القبائح دون مبالاة بأحد، وقيل كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل قصعة فيها الحصى للخذف[657]، فإذا مر بهم عابر قذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به، أي لفعل الفاحشة[658]، وهذا يدل على مدى تفشي الفاحشة في القوم، حتى جهروا بها، دون رادع من خوف أو حياء، بل كانوا يرسلون العيون لتأتيهم بأخبار كل من يرد على لوط عليه السلام، حتى إذا ما علموا بقدوم الملائكة الأكرمين، جاءوا مهرولين تسيل نفوسهم من هول جمال الضيوف[659]، يطلبون الفاحشة بكل خسة، دون حياءٍ أو مراعاة لحق الضيافة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾[660].

مصير قوم لوط

([655]) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ ج٢ص٢٠٨

([656]) يسمى مكان اجتماع القوم نادياً إذا كان ممتلئاً بأهله. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١٥ص٣١٣

([657])الخَذْفُ بالخاء فإنه الرمي بالحَصى الصّغار بأَطراف الأَصابع. انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٩ص٣٩

([658]) انظر الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١٠ص١٣٥

([659]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــج٩ص٦٦

([660]) هود: ٧٨

لقد تمثلت جريمة قوم لوط التي عجلت بهلاكهم في الخروج عن سنن الكون، وتغيير فطرة الله تعالى في سنة التزاوج، وفي ذلك قلب للمعايير الصحيحة، وانتكاس عن الفطرة السليمة، فأخذهم الله تعالى بعذاب من جنس فعلهم، فقلب قراهم على رؤوسهم، وجعل عاليها سافلها، وأما الحصى التي كانوا يخذفون بها ابن السبيل، فيقطعون الطريق على الناس، ويؤذونهم بفعلتهم المنكرة، قد أُمطروها حجارة من سجيل، وعَجَّلهم بالعذاب، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ**﴾[661].

وهكذا طويت صفحة القوم، وبقيت قراهم عبرة لكل ذي بصيرة، وردعاً لكل فاجر متفحش على مر الزمان.

النموذج الثالث: بنو إسرائيل

بنو إسرائيل هم أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، ويدعى يعقوب إسرائيل بمعنى عبد الله وصفوته.

ويعد السواد الأعظم من بني إسرائيل مثلاً سيئاً لأهل الكتاب، إذ أكرمهم الله بالنبوة والكتاب فقابلوا هذه النعمة العظيمة بالانحراف والفساد، حتى غدا الفساد والإفساد مقترناً بقصصهم في القرآن الكريم، فلا تكاد سورة تتناول تكذيب المرسلين، والكفر بأنعم الله تعالى، وإفساد الأمم في الأرض، إلا وتَذكُرُ قصة من قصصهم كشاهد على ذلك، ولما وصف الله تعالى في كتابه العزيز علو بني إسرائيل وتمكينهم في الأرض قرنه بالفساد، قال تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا**

([661])هود: ٨٢-٨٣

كَبِيرًا﴾[662]، فالحديث عن فسادهم وإفسادهم يطول، ولا مبالغة إن قيل: إن الحديث عن فساد بني إسرائيل يحتاج إلى بحث مستقل، لكثرة صوره وتعدد جوانبه، ولكن نكتفي بأن نذكر بعضاً من صور هذا الفساد بما يتفق مع خطة البحث في اختيار نماذج من فساد الأمم وفق أنواع الفساد، وصفات المفسدين التي تناولها البحث، ويمكن حصر ذلك فيما يلي:

أولاً: فساد العقيدة عند بني إسرائيل

١ــ في الإلهيات

أ ــ إنكار صفات الله تعالى، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[663]، وقائل هذه المقولة الشنيعة هم قوم من يهود[664] غرهم إنعام الله عليهم، والله سبحانه وتعالى هو الغني، المتفضل على خلقه، فما من نعمة في الوجود إلا بفضل منه عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...**﴾[665]، وبنو إسرائيل بمقولتهم هذه ينفون صفة الغني لله تعالى، وإنكار صفات الله تعالى صفة للمفسدين.

ب ــ نَسْبُ الولد لله، قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ**

([662]) الإسراء:٤

([663]) آل عمران: ١٨١

([664]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٤ص٢٨٦

([665]) النحل: ٥٣

أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(ﷻ)، فهم بقولهم هذا يشابهون قول الكفار والوثنيين، إذ ينسبون الولد لله تعالى، والله مبرأ من ذلك، وهذا دليل على فساد في عقيدتهم.

٢ــ في النبوات

أ، ب ــ تكذيب الأنبياء وقتلهم، قال تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿**...أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾(ﷻ)، في الآية الكريمة بيان لصفة متأصلة عند اليهود، ألا وهي عداؤهم للمصلحين من الناس، وعلى رأس هؤلاء المصلحين الرسل الكرام، فقد كذبوا موسى عليه السلام فقالوا: ﴿**...لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...**﴾(ﷻ)، وكذبوا عيسى عليه السلام، وعملوا جاهدين على صلبه وقتله، فسلمه الله تعالى منهم فرفعه إليه، قال تعالى: ﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...**﴾[669]، وكذبوا محمداً ﷺ وحرص يهود بني النظير على قتله لولا أن سلمه الله تعالى منهم[670]، وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام(ﷻ).

٣ــ في الملائكة الكرام

([666]) التوبة: ٣٠

([667]) البقرة: ٨٧

([668]) البقرة: ٥٥

([669]) النساء: ١٥٧

([670]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٨ص٢٩، السيرة النبوية ــ ابن هشام ــ م١ج٢ص١٥٨

([671])انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٢ص٢٦

وقد تمثل فسادهم في الاعتقاد بالملائكة ببغضهم جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾(ﷺ)، أجمع أهل التفسير جميعا، على أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم(ﷺ)، فهل هناك أفسد عقيدة ممن يدعي الإيمان، ثم يعلن عداوته للملائكة الكرام؟، فكيف إذا كانت العداوة لأمين وحي السماء؟

ثانياً فساد السلوك والأخلاق عند بني إسرائيل

فكما ساء خلق اليهود وأدبهم مع الله تعالى ورسله الكرام، كذلك ساء خلقهم وسلوكهم مع خلق الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[674] وقد بينت الآيات جوانب متعددة من فساد بني إسرائيل السلوكي والأخلاقي، ويمكن بيان هذه الجوانب كما يلي

١ــ المسارعة في العدوان، فالآيات تبين صورة القوم وهم يتسابقون في العدوان ويسعون إليه بهمة ونشاط، ولعل هذه الصفة يتوارثها بنو إسرائيل جيلاً بعد جيل.

([672]) البقرة: ٩٧

([673]) انظر: جامع البيان لأحكام القرآن ــ الطبري ــ ج١ص٣٧٠

([674])المائدة: ٦٢-٦٤

فأول أسلوب لجأ إليه إخوة يوسف في معالجة حب أبيهم ــ الزائد في نظرهم ــ ليوسف عليه السلام هو القتل أو النفي أو الإبعاد، وهذا قمة الظلم والعدوان على طفل بريء لا ذنب له، إلا أن أباه شديد العطف عليه لحداثة سِنِّهِ قياساً بإخوانه، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾، فالحل عندهم كما أخبر سبحانه وتعالى عنهم: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾[676]، فإذا كان هذا هو شأنهم مع أخيهم وابن أبيهم، فلا نَسْتَغْرَبُ شدة بطشهم وعدوانهم وظلمهم لغيرهم من سائر الأمم والشعوب، وهم الذين يطلقونه شعاراً صريحاً حين يقولون: ﴿**...لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ...**﴾[677]، إنه الإعلان السافر عن استعدادهم النفسي، لاستباحة كل الحواجز الأخلاقية والدينية، التي تحول دون الظلم أو العدوان.

ولعل حال شعبنا العربي المسلم في فلسطين مع بني إسرائيل يجسد هذه الحالة في عدوانهم المستمر، الذي لا يُعْرَفُ له مثيل على مدى قرون كثيرة من الزمان، إلا ما يحكى عن أساطير الغابرين، فلا يسلم من ظلمهم وعدوانهم طفل ولا امرأة، ولا شجر ولا حجر، فقد تجاوز ظلمهم كل القيم الأخلاقية والحضارية، وفاق كل تصور، وهذا هو قمة ما يمكن أن يصل إليه فساد المفسدين.

٢ - **أكلهم السحت**، والسحت هو أكل المال بغير حق، من رشوة ورباً وسلب ونهب، وغير ذلك من الأساليب التي حرمها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَأَخْذِهِمْ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا**

([675]) يوسف: ٨

([676]) يوسف: ٩

([677]) آل عمران: ٧٥

عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(سورة النساء)، فقد أكلوا الربا عن قصد وإصرار، وأكلوا أموال الناس بكل أشكال الباطل وصوره، ومن الصور الشهيرة عنهم، قبول حكامهم الرشوة، وأخذ المال على كتب كتبوها بأيدهم ونسبوها لله تعالى(سورة النساء)، وأنكروا الأمانة، قال تعالى: ﴿**...وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ...**﴾(سورة آل عمران)، وكل هذا من أساليبهم المنكرة في أكل أموال الناس بغير حق.

٣ــ الحسد: فقد دفع الحسد بني إسرائيل الأوائل إلى التفكير في قتل أخيهم يوسف عليه السلام والتخلص منه، وقد خلص أمرهم إلى إلقائه في غيابة الجب، ودفعهم الحسد إلى التنكر لنبي آخر الزمان محمد ﷺ ومحاربته، لأنه من غير جنسهم، فقد جاء في كتاب " **السيرة النبوية** " لابن هشام، "أن صفية بنت حيي بن أخطب قالت: كنت أَحَبَّ ولد أَبِي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم أَلْقَهُمَا قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أَبِي حيي بن أخطب وعَمِي أبو ياسر بن أخطب مغلسين[681]، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب:

([678]) النساء: ١٦١

([679]) انظر: جامع البيان لأحكام القرآن ــ الطبري ــ م٤ج٦ص١٧

([680]) آل عمران: ٥٧

([681]) أي مبكرين في عتمة الصبح. انظر لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج٦ص١٥٦

أهو هو ؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته ؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه ؟ قال: عداوته والله ما بقيت!"[682].

٤ - **التباغض والعدواة فيما بينهم**: البغض والعداوة من صفات اليهود التي صاحبتهم على مدى الزمان، فلا تجتمع قلوبهم، وكلما أوشك رأيهم أن يجتمع على أمر شتتهم الله وأبطله لسوء فعلهم﴿ﷻ﴾، فتدب العداوة وتنشأ الفرقة، قال تعالى: ﴿**...تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ**﴾﴿ﷻ﴾.

٥ - **إشعال الحروب بين الأمم والشعوب**: رغم أن اليهود من أجبن الأمم وأحرصهم على حياة، إلا أنهم برعوا في إشعال الحروب بين الأمم والشعوب، من خلال إذكاء الفتن بينهم، وإمداد هؤلاء وهؤلاء لينهك بعضهم بعضاً، وتبقى لهم الغلبة والسيادة على الجميع، ولكن الله عز وجل تكفل برد كيدهم، وإبطال مكرهم، وقد كانوا يشاركون في بعض هذه الحروب لتزداد حدتها وضراوتها، كما كان يحدث في الحرب الطاحنة بين الأوس والخزرج في المدينة قبل هجرة النبي ﷺ فقد كان بنو قريظة والنضير حلفاء الأوس، وبنو قينقاع حلفاء الخزرج﴿ﷻ﴾، فرد الله كيد اليهود وأطفأ نارهم، بأن هدى الأوس والخزرج للإسلام فوحدهم الله وأعزهم بالإسلام، فأصبحوا يداً على من سواهم من الكفار والمشركين.

٦ - **سفك الدماء**

([682]) السيرة النبوية ــ ابن هشام ــ م١ج٢ص١٢١

([683]) انظر: جامع البيان لأحكام القرآن ــ الطبري ــ م٤ج٦ص١٩٤

([684]) الحشر: ١٤

([685]) انظر: الرحيق المختوم ــ صفي الدين المبارك فوري ــ ص٢٠٢، انظر: جامع البيان لأحكام القرآن ــ الطبري ــ ج١ص٣١٢

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَتَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...** ﴾[686] وقد سفك اليهود دماء بعضهم، وأسر بعضهم بعضاً، وأخرجوا أنفسهم من ديارهم دون حق، وضربوا الجزية على أنفسهم، فعلوا ذلك وهم يحملون التوراة في أيديهم ويعلمون حرمة ما يفعلون[687].

فإذا كان هذا فعلهم بأنفسهم رغم عهد الله عليهم، فلا عجب أن نرى ما يفعله اليهود بالشعب الفلسطيني المجاهد في هذا الزمان، من قتل وسفك لدماء الأطفال والشيوخ والنساء ــ غدراً وبدم بارد ــ دون أدني مبرر أو ذنب، فالقتل وسفك الدماء روح خبيثة تسري في دمائهم.

٧ ــ نقض العهود والمواثيق.

قال تعالى: ﴿**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُون**﴾[688]، وهذه صورة أخري من صور فساد اليهود، إنهم لا يعرفون عهداً ولا ميثاقاً، فقد أخذ الله عليهم المواثيق فنقضوها، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَتَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ**

([686]) البقرة: ٨٥،٨٦

([687])انظر: جامع البيان لأحكام القرآن ــ الطبري ــ ج١ص٣١٤

([688]) البقرة: ١٠٠

وَالْعُدْوَانِ... ﴿﴾، وقد أخذ نبينا ﷺ منهم عهود الأمان والدفاع المشترك عن المدينة المنورة[690]، فنقضوا كل ذلك، فأخرج طائفة[691] منهم وقتل طائفة[692].

ويهود اليوم هم يهود الأمس، لا يحترمون عهداً ولا ميثاقاً، ولا يلتزمون بقانون سماوي ولا وضعي، يقرون بالعهود الدولية حين يوقع عليها ساستهم، ولا يتقيدون بها، فحقوق الشعوب الواقعة تحت الاحتلال، وحقها في الدفاع عن نفسها، وحقوق الأسرى وضرورة معاملتهم معاملة أسرى الحروب، وغيرها من الحقوق المدنية، كلها عهود ومواثيق أقرتها حقوق الإنسان في اتفاقية جنيف الرابعة[693]، ثم يدوسها اليهود بآلتهم العسكرية، دون رقيب ولا حسيب، إنه الفساد الذي فاق كل الحدود.

٩ ــ نشر الفساد في الأرض

قال تعالى: ﴿**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا**﴾﴿﴾، فسياق الآية الكريمة يبين أن بني إسرائيل كلما ازدادوا علواً ورفعة وتمكيناً في الأرض، اتخذوا هذا العلو مطية للفساد والإفساد﴿﴾، وهم يخالفون بفعلهم هذا صفات عباد الله الصالحين، الذين قال الله في شأنهم: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي**

([689]) البقرة: ٨٥،٨٦

([690]) انظر: السيرة النبوية ــ ابن هشام ــ م١ج٢ص١٠٨

([691]) بني النضير. انظر: السيرة النبوية ــ ابن هشام ابن ــ م٢ج ١ص١١٠

([692]) بني قريظة. انظر السيرة النبوية ــ ابن هشام ــ م٢ج١ص١٤٣

([693]) انظر: إسرائيل واتفاقية جنيف الرابعة ــ عبدالله أبو عيد ــ مجلة صامد الاقتصادي ــ عدد ٨٧ص ١٢٤

([694]) الإسراء:٤

([695])انظر: في ظلال القران ــ سيد قطب ــ ج٤ص٢٢١٣

الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(696).

مصير بني إسرائيل

إن بني إسرائيل أمة ذات كتاب ورسالة، وقد مَنَّ الله عليها برسل كرام على مدى الزمان، بدءاً بموسى عليه السلام وختاماً بعيسى عليه السلام، وقد خصهم الله بنعم عديدة لا حصر لها، مادية ومعنوية، وفضلهم على كل أمم زمانهم، وقد ذكرهم بهذه النعم العظيمة في أكثر من آية في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ**﴾، ﴿**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...**﴾، ﴿**وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ...**﴾، ورفع مكانتهم فجعل منهم الملوك والعلماء ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ**﴾، فلما قابل بنو إسرائيل هذه النعم بالفساد في الأرض والعلو والطغيان، سلط الله تعالى عليهم عذاباً من جنس فسادهم، فلما قابلوا نعمة الطعام بالبطر، قابل بطرهم بتحريم كثير من الطيبات التي أحلها لهم، قال تعالى: ﴿**فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ**

---

(696) الحج: ٤١

(697) البقرة: ٤٩، ٥٠

(698) البقرة: ٥٧

(699) البقرة: ٥٩

(700) المائدة: ٢٠

...﴾﴿عزوجل﴾، ولما علوا على الناس وظلموا وأفسدوا، ضرب عليهم الذلة والهوان، قال تعالى: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ...**﴾﴿عزوجل﴾، ولما أفسدوا حرمة السبت، تكفل الله بأن يرسل عليهم من خلقه من يفسد عليهم معاشهم إلى يوم القيامة فلا تقوم لهم قائمة، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...**﴾﴿ربنا عزوجل﴾.

ولعل سائلاً يسأل: ما بال بني إسرائيل في هذا الزمان يتحكمون في رقاب الأمم والشعوب، وقد أوتوا من القوة والمال والقدرة على إدارة الصراع لصالحهم، ما لم تُؤْتَ أمة من الأمم؟

ويرى الباحث أن هذا العلو الذي يعيشه بنو إسرائيل في هذا الزمان، قد يكون من باب استدراج هؤلاء القوم المفسدين، وقد يكون حلقة في سلسلة علوهم وفسادهم في الأرض تتدرج تحت قوله تعالى: ﴿**... وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً**﴾﴿ربنا عزوجل﴾، أي وعدتم للفساد عدنا للتدمير وتسليط الأمم عليكم، ويؤكد هذا المعنى قوله ﷺ :[**إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾**[705]]﴿عزوجل﴾، فسوف يسلط الله عليهم من يقتلهم ويسبيهم ويسومهم سوء العذاب، فقد تجاوز فسادهم في الأرض كل الحدود، وسنة الله في الظالمين والمفسدين لن تتغير ولن تتبدل، قال تعالى: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ**

([701]) النساء: ١٦٠

([702]) آل عمران: ١١٢

([703]) الأعراف: ١٦٧

([704]) الإسراء: ٨

([705]) هود: ١٠٢

([706]) صحيح مسلم ــ باب البر والصلة ــ كتاب تحريم الظلم ــ ج٤ص١٩٩٧ ــ ح(٢٥٨٣).

لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[707]، نسأل الله عز وجل أن يجعل أجلهم قريباً، وأن تقر عيوننا بهلاكهم، إنه سميع مجيب.

الفصل الرابع

منهج القرآن الكريم في إصلاح الفساد.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: إصلاح الفساد بالتربية و التوجيه

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: إصلاح الفرد و الجماعة

المطلب الثاني: إصلاح الدولة و إقامة العدل

المبحث الثاني: إصلاح الفساد بالعقوبة الرادعة

و فيه مطلبان:

المطلب الأول: عقوبة المفسدين في الدنيا

المطلب الثاني: عقوبة المفسدين في الآخرة

([707]) غافر:٤٣

المبحث الأول: إصلاح الفساد بالتربية و التوجيه

المطلب الأول: إصلاح الفرد و الجماعة

و فيه تسع مسائل :

المسألة الأولى: الدعوة للإيمان بالله

المسألة الثانية: مراقبة الله و كثرة الذكر

المسألة الثالثة: رجاء اليوم الآخر

المسألة الرابعة: الإحسان و فعل الخيرات

المسألة الخامسة: تطهير النفس و تزكيتها

المسألة السادسة: فتح أبواب التوبة

المسألة السابعة: التعارف و التعاون على الخير

المسألة الثامنة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المسألة التاسعة: إخلاص الولاء لله، والبراءة من المشركين

قال تعالى: ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[708].

إن أمنَ وسلامةَ وصلاحَ المجتمع البشري، أفراداً وجماعات، هي إحدى مقاصد القرآن الكريم، وهدف من أهداف الرسل والأنبياء والمصلحين، لذلك عني القرآن الكريم بمعالجة ظاهرة الفساد، وَوَضَعَ لها علاجاً شافياً، يحاصرها ويمنع انتشارها، بل تعدى ذلك فأرسى القيم والمفاهيم الإيمانية التي تعمل على اقتلاع جذور الفساد، وسن الشرائع والقوانين التي تردع المفسدين، حتى يسلم المجتمع بأفراده وجماعاته من شرورهم.

والقرآن الكريم حين عالج ظاهرة الفساد، بدأ بالتعامل مع النفس البشرية أولاً، باعتبارها العنصر الرئيس الذي يسهم في استفحال هذه الظاهرة الخطيرة أو التخلص منها والقضاء عليها، قال تعالى: ﴿...وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[709]، فالنفس البشرية هي الأساس في صلاح الحياة أو فسادها، لذا وضع القرآن الكريم المبادئ التي لو عمل الناس بها وجعلوها واقعاً في سلوكهم، لاستقامت لهم الحياة، وصلحت الأحوال وعم الأمن والأمان وسادت روح المحبة والإخاء بين أفراد وجماعات المجتمع البشري.

ومن هذا المنطلق نضع هذه المفاهيم التي أرساها القرآن الكريم للقضاء على ظاهرة الفساد، ويمكن إيجاز ذلك في النقاط التالية:

([708]) هود: ١١٦

([709]) التغابن: ١٦

المسألة الأولى: الدعوة للإيمان بالله

إن الإيمان بالله تعالى بمفهومه الصحيح، الذي يشمل القلب واللسان والجوارح، هو الضمان الوحيد لأمن وسلامة المجتمع أفراداً وجماعات، قال تعالى: ﴿**...وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً**﴾[710]، لذا فإن أول أمر حض عليه الأنبياء حين دعوا أقوامهم، هو الإيمان بالله تعالى، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[711]، فبدأ عليه السلام بدعوة قومه للإيمان بالله أولاً وتَرْكِ ما يعبدون من دونه، ثم أمرهم بعد ذلك بالإقلاع عن الفساد بكل صوره وأشكاله.

فالإيمان به سبحانه وتعالى والرجوع إليه، يقود إلى معنىً واحد، وطريق واحد، إنه العودة بالحياة كلها إلى الله، ومنهجه الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم، ويتمثل في تحكيم هذا الكتاب وحده في الحياة، والتحاكم إليه في كل شؤوننا، وإلا فهو الفساد في الأرض، والشقاوة للناس، والارتكاس في المستنقع الآسن، والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله[712]، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

([710])النساء: ١٣٦

([711]) الأعراف: ٨٥

([712]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج١ص١٥

أَعْمَى﴾[713]، فالفساد في أي ناحية من نواحي الحياة، هو خروج من منهج الله عز وجل وانسلاخ عن الإيمان، يقول ﷺ: **[لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن]**[714]، فالوقوع في الفساد بأي صورة من صوره هو خروج عن الإيمان بالله ومنافٍ له، ومن هنا كان الإيمان بالله تعالى وما يترتب عليه من معانٍ عظيمة، هو زاوية الأساس في علاج الفساد ومحاربته والتصدي له.

ولو نظرنا إلى الفساد من الناحية الأخرى، لوجدنا أن المفسدين لا رصيد لهم من الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[715]، فالمفسدون هم الذين لا يؤمنون، وما يقع فسادٌ في الأرض إلا سببه اختلال الإيمان بالله، والبعد عن العبودية لله وحده، وكل ما يترتب على هذا الفساد من شر في حياة الناس في كل اتجاه سببه مَنْ ينصَّبون أنفسهم أرباباً تُعْبَدُ من دون الله، فَتُفْسِدُ كل شيء لتستبقي ربوبيتها المزيفة، تفسد أخلاق الناس وأرواحهم وأفكارهم وتصوراتهم، ثم تفسد مصالحهم وأموالهم، في سبيل بقاء سلطانها المصطنع، وتاريخ الجاهلية في القديم والحديث فائض بهذا الفساد الذي ينشئه المفسدون[716]

فالإيمان بالله تعالى هو حبل النجاة الذي ينقذ الأمة من الفساد والضياع، والدعوة إليه وحمل الناس عليه من أفضل الوسائل للقضاء على الفساد.

المسألة الثانية: مراقبة الله و كثرة الذكر

([713]) طه: ١٢٤

([714]) صحيح مسلم ــ كتاب الإيمان ــ باب نقص الإيمان ــ ج١ص٧٦ــ ح(٥٧)

([715]) يونس: ٤٠

([716]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٣ص١٧٩٨

والقرآن الكريم يقود الناس إلى ربهم، ليحيي فيهم رقابته سبحانه والافتقار إليه، فيذكرونه ولا ينسونه، ويدعونه في إنابةٍ وخشوعٍ فلا يكفرونه، ويلتزمون بربوبيته لهم فلا يتخذون ن دونه الأنداد، ويُلْزِمون قلوبهم وجوارحهم حدوده فلا يعتدون على سلطانه، ولا يفسدون في الأرض بترك شريعته إلى هواهم، بعد أن أصلحها بمنهجه، قال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِين * وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[717]، إنه التوجيه في أنسب حالة نفسية صالحة إلى استحضار رقابة الله تعالى في كل ناحية من نواحي الحياة، وفي كل شأن من شؤونها، وجَعْلِ تقواه في مقدمة الأمور كلها، تتبعها حالة من الشعور بالافتقار إليه فتنعكس على القلب والجوارح فيلهج القلب إلى الدعاء والإنابة إليه في تضرع وتذلل، وخفية لا صياحاً وتصدية، فالتضرع الخفي أنسب وأليق بجلال الله وبقرب الصلة بين العبد ومولاه.

وبعد هذه الحالة من استحضار جلال الله عز وجل في قلب العبد، بالذكر والدعاء الخفي، وفي ظل هذا المشهد من التضرع في الدعاء، مع انكسار القلب على باب الله تعالى، يأتي النهى عن الاعتداء على سلطان الله، والنهى عن الفساد في الأرض بكل أشكاله وصوره، بعد أن أصلحها الله بالشريعة، فالنفس التي تتضرع وتخشع من جلال القريب المجيب، لا يمكن لها أن تعتدي وتفسد في الأرض، ومن هنا يظهر لنا بجلاء ووضوح كيف يعالج المنهج القرآني ظاهرة الفساد في الأرض وهو يتتبع خلجات القلوب وانفعالات النفوس، ليوجهها في اللحظة المناسبة، فتترك ما يُغْضِبُ الله الخبير وتنتهي عن الفساد في الأرض[718].

([717]) الأعراف: ٥٥، ٥٦

([718]) انظر في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج ٣ص١٢٩٨

المسألة الثالثة: رجاء اليوم الآخر

قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[719]، وقال سبحانه: ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾[720]، إن عقيدة الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من مواقف عصيبة، وأهوال مذهله، وعذاب وجحيم، وما فيه من نعيم مقيم، وجنات وعيون، وأنهار وحور عين، إن الإيمان بكل ذلك له آثار طيبة تدفع المؤمنين إلى الفرار من غضب الله إلى رضاه، ومن عقابه إلى ثوابه ومن سخطه إلى رحمته، ولذلك كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام تقوم من أول أيامها على الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، ثم تدعو بعد ذلك إلى تطهير النفس وتنقيتها من كل أنواع الفساد.

ففي الآية الأولى، لما رأى أهل العلم من بني إسرائيل ما عليه حال قارون من الخيلاء والكبر والفساد في الأرض، ذكَّروه باليوم الآخر، وأمروه بلطف وحنان، ليوظف هذه الثروة والمال لنيل رضى الله وطلب الأجر وثواب اليوم الآخر، وأن يكف عن فساده الذي سيرديه في المهالك يوم القيامة.

وفي الآية الثانية نرى شعيباً عليه السلام يذكر قومه بالله و يحثهم على رجاء اليوم الآخر وما فيه من النعيم المقيم بدعوة موجزة، لكنها تحمل في ثناياها المعاني العظيمة التي تهز

([719]) القصص: ٧٧

([720]) العنكبوت: ٣٦

أركان النفس من أعماقها، وهي تتخيل عرصات يوم القيامة وأهوال جهنم، فتستقيم النفس الطيبة التي عُمِرَتْ بالإيمان وتعظيم أمر الله تعالى، فتعود إلى صوابها، وتعدل عن الفساد، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ...**﴾[721]، وهكذا فإن من رجا لقاء الله تعالى وعظَّم أمر اليوم الآخر يلين قلبه، وتستقيم قناته، ويصبح عبداً صالحاً ربانياً، مجتنباً لكل أشكال الفساد وألوانه، بل محارباً للفساد ساعياً للقضاء عليه.

والمرء الذي يعيش في الأرض سلبياً، وهو يدعي لنفسه الإيمان ثم نراه يرضى الفساد في الأرض ويرضى للشر والظلم والطغيان والتخلف والجهالة أن تغمر حياة الناس، وتضرب جذورها بين الناس الدنيا، فهو بصمته ورضاه يكون ممن يسهمون في الفساد، لأن تصوره للإسلام قد فسد وانحرف، ولأن يقينه في الآخرة قد تزعزع وضعف، فلا يَسْتَيْقِنُ أحد من لقاء الله في الآخرة، وهو يعي حقيقة هذا الدين، ثم يعيش في هذه الحياة سلبيا راضيا بالشر والفساد والطغيان[722] .

المسألة الرابعة: الإحسان و فعل الخيرات

قال تعالى: ﴿**...وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لاعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[723]، في هذه الآية الكريمة يوجه الله عز وجل عباده المؤمنين إلى الإحسان إلى الأيتام ورعاية أموالهم بكل نزاهة وإخلاص، وحض على مخالطتهم بهدف إصلاح أموالهم،

([721]) الأنعام: ٣٦

([722]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٢ص١٠٧٠

([723]) البقرة: ٢٢٠

وبَيَّن أن ذلك خير من مجانبتهم[724]، واستمال قلوب عباده المؤمنين مذكراً إياهم بعرى الأُخُوَّةِ بينهم، ثم توعد المفسدين الذين يخالطون الأيتام بنية سيئة بأنه عليم بأحوالهم،

ولعل في ذلك إشارة إلى أن الإحسان وفعل الخير أدعى للتخلص من الفساد، فإن من صدر عنه الإحسان وفعل الخير أجدر أن يدع الفساد، لذلك وجَّهَ الله عز وجل المؤمنين إلى التحصن بالإحسان وفعل الخير لمقاومة نوازع النفس الفاسدة والتخلص من آفاتها.

المسألة الخامسة: تطهير النفس و تزكيتها

إن الله عز وجل خلق هذا الكون صالحاً، وأودع فيه كل عوامل الصلاح، ولكن تدخل الإنسان في شئونه يفسده، وإن النفس البشرية الأمارة بالسوء مصدر فساد في الأرض[725]، فمن أراد إصلاحاً للفساد ووضع حد لانتشاره، فلا بد من تطهير هذه النفس البشرية وتزكيتها.

فتطهير النفس البشرية وتزكيتها يمكن أن يضع حداً لفسادها، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[726]، فمن طهر نفسه وزكاها فقد صانها من آفة الفساد.

لذا لما علمت الملائكة ما سيحدث بنو آدم في الأرض من فساد وسفك للدماء، قدمت نفسها على أنها مبرئة من ذلك، بفضل الله أولاً، ثم بفعل التسبيح و التقديس، الذي يطهر النفس ويزكيها، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا**

([724]) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ ج١ص١١٦

([725]) انظر: تفسير الشعراوي ــ محمد متولي الشعراوي ــ ج١ص١٥٤

([726]) الشمس: ٧-١٠

لا تَعْلَمُونَ﴾[727]، فإن من كان التسبيح والتقديس وتنزيه الله عز وجل شأنه وأخص صفاته، فهو طاهر النفس لا يصدر عنه إلا الخير ولا يعرف للفساد سبيلاً، وانطلاقاً من ذلك فقد حض القرآن المؤمنين على تطهير نفوسهم وتزكيتها لصيانتها وحفظها من الفساد.

المسألة السادسة: فتح أبواب التوبة

إن الله عز وجل خلق هذا الإنسان ويعلم ما جبل عليه من ضعف، قال تعالى: ﴿**...وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً**﴾[728]، ويعلم ما يدور في خلجات نفسه، وما يحيط به من فتن وأهواء، ويعلم أن هناك شيطاناً يضل، ونفساً تهوى، والله سبحانه وتعالى بعباده رؤوف رحيم.

ومن تمام رحمة الله بعباده، أن فتح لهم أبواباً للتوبة والإنابة، ليطهروا ما ران على قلوبهم من الخطايا، وما اقترفت نفوسهم من الذنوب، وقد رغبهم الله عز وجل في التوبة وجعل التائبين من أكرم الخلق إليه فقال: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[729].وقد توعد من تمادى في ظلمه وأصر على المعصية والفساد فقال: ﴿**...وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[730]،

ولما كان الإقلاع والندم عن فعل المعصية شرطاً من شروط صحة التوبة[731]، كان ترك الفساد في الأرض وصلاح النفس شرطاً من شروط توبة المفسدين، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ**

([727]) البقرة: ٣٠

([728]) النساء: ٢٨

([729])التوبة: ١١٢

([730])الحجرات: ١١

([731]) انظر: رياض الصالحين ــ النووي ــ ص٩

يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[732]، فالمفسد الذي أعلنها حرباً على الله تعالى، وعاث في الأرض إفساداً، وقطع الطريق وصد عن سبيل الله، فإن كفارة فعله توبة خالصة نصوحاً، يغسل بها ما أَلَمَ به من أدران الفساد، ويَلْقَ الله عز وجل تائباً مرضياً، لذا فإن تربية النفس على التوبة والرجوع إلى الله عز وجل، يصلح النفس ويصونها من التمادي في مستنقع المعصية والفساد، ويريح الإنسان من عقدة المعصية، فينطلق الإنسان طيب النفس، نقي الفؤاد، مقبلاً على الله بوجه الطاعة والإنابة، ولعل في قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ما يؤكد هذا المعنى، قال ﷺ **[كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق، أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة، جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي**

([732]) المائدة: ٣٣، ٣٤

أراد، فقبضته ملائكة الرحمة][733]، وهكذا فإن فتح أبواب التوبة أمام المفسدين، يخلصهم مما هم فيه من الفساد والضياع، ويردهم إلى جادة الطريق فيصبحوا في عداد الصالحين.

المسألة السابعة: التعارف والتعاون على الخير

إن إرساء روح التعارف والتعاون على الخير والصلاح ــ انطلاقاً من القيم الإيمانية الصحيحة ــ في العلاقة بين أبناء المجتمع أفراداً وجماعات، هي أحد المرتكزات التي بنى عليها القرآن الكريم منهجه في إصلاح ما يطرأ من فساد في العلاقات، قال تعالى: ﴿...**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...**﴾[734]، وقال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[735] ولما كان الفساد بين أفراد المجتمع وتجمعاته يرجع إلى فساد العلاقات التي قد تنشأ بينهم، كالاعتداء بكل صوره، والظلم، والمنازعات، وغير ذلك، فإن القرآن الكريم قد وضع الضوابط التي تصون هذه العلاقات، وتضمن لكل فرد حقه، ودعا الناس جميعاً إلى التعاون على الخير والصلاح وتقوى الله، لتقويم ما قد يطرأ من فساد، ولعل بعض هذه الأمثلة تضع النقاط على الحروف

أ ــ **إصلاح العلاقة بين الأمم والشعوب،** إن فساد العلاقة بين الشعوب والأمم في أغلبه يرجع إلى استضعاف الشعوب واحتقار الأمم بعضها لبعض، وقد جاء القرآن الكريم لِيُذَكِّرَ الناسَ بأصلهم الواحد، وَرَدَّ التفاضل بين الناس إلى حُسْنِ البلاء، والعمل الصالح الناتج عن تقوى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ**

([733]) صحيح مسلم ــ كتاب التوبة ــ باب قبول توبة القاتل ــ ج٤ص٢١١٨ ــ ح(٢٧٦٦)

([734]) المائدة: ٢

([735]) آل عمران: ١٠٤

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[736]، فلو تعامل القائمون على مصالح الأمم والشعوب مع روح هذه الآية الكريمة بإيجابية وإنصاف، وجعلوا منها قانوناً يحكم طبيعة العلاقات بين الأمم والشعوب، لما كان هناك تنازع ولا عدوان، فالخلاف بين الناس في اللون والطباع واللغة والمواهب والقدرات، هو اختلاف تنوع وتكامل وليس اختلاف تناحر وتعارض، وعلى هذه الأسس أقام القرآن المجتمع الإسلامي الأول[737]، وقد أثبت الواقع نجاحاً عظيماً، وأبدع الناس خلال الحكم الإسلامي في جميع المجالات الروحية والعلمية والمادية أفراداً وجماعات، ولم يعد هناك تنازع في ظل سيادة هذه المعاني.

ب ــ **إصلاح العلاقة بين الرجل وزوجه**، وفي حال فساد العلاقة بين الرجل وزوجه أمر الله عز وجل المُصْلِحَيْنِ أن يستعينا بإخلاص النية وإرادة الصلح، ليحقق الله على أيديهم الخير وإزالة الفساد، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾**[738]، فسياق الآية الكريمة يقرر أنَّ وجود النية الصادقة، والتعاون على الإصلاح لدى الحكمين من جهة، ولدى الزوجين من جهة أخرى، كفيل بإيجاد الوفاق، وإزالة الفساد﴿رمضان نجم الدين﴾.

ج ــ **إصلاح العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب**، لقد دعا القرآن الكريم إلى التعاون مع أهل الكتاب على الحق والخير والصلاح، وقد جاء ذلك واضحاً في سياق قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ**

([736]) الحجرات: ١٣

([737]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٦ص٣٣٤٨

([738]) النساء: ٣٥

([739]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج٥ص١٦٧

تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[740]، يأتي سياق هذه الآيات تعقيباً على حوار مطول بين النبي ﷺ ووفد نجران، انتهي بحكم من الله عز وجل أن عقيدة التوحيد وإفراد الله بالعبودية التي جاء بها القرآن هي الحق، ومن حاد عنها فقد تلبس بالفساد والضلال ــ والله عز وجل عليم بحال المفسدين الذي ينسبون لله الولد ــ ثم يدعو السياق القرآني أهل الكتاب دعوة صريحة لأن يقف الجميع موقفاً واحداً في توحيد الله عز وجل وترك الشرك، وألا يعبد الناس بعضهم بعضاً، حتى لا يكون تفاضل بين الناس يؤدى إلى الفرقة والتعصب الذي يفسد على الناس حياتهم﴿مخرم بن عبد الله﴾، وفي ذلك دليل على أن التعارف والتعاون في الحق والخير يسهم في القضاء على الفساد.

فإن كان هذا الحال مع أهل الكتاب، فهو في حق أبناء الملة الواحدة أنجع وأشد تأثيراً في حل المنازعات والقضاء على الفساد بكل أشكاله.

المسألة الثامنة: الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

تحسن الإشارة هنا أننا لا نتناول مبحثاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ الحديث يدور حول منهج القرآن الكريم في إصلاح الفساد من خلال الأمر بالمعروف والنهي

([740]) آل عمران: ٦٢- ٦٤

([741]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج١ص٤٠٦

عن المنكر، ولما كان الفساد من أشد أشكال المنكر وأكثرها خطورة على المجتمع البشري، فقد أولى القرآن الكريم حيزاً كبيراً في سياق آياته لوعظ المفسدين، والأخذ علي أيديهم، وأمر الدعاة والمصلحين أن يأخذوا دورهم في القضاء على الفساد، وجعل لهم مكانة عظيمة عند الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾[742]، فالسياق في هذه الآية الكريمة يمتدح الفئة القليلة الباقية من أهل الخير والصلاح، الذين ساروا على نهج الأنبياء، وأخذوا على عاتقهم تغيير الفساد والوقوف في وجه المفسدين[743]، ونكتفي بذكر بعض نماذج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي ذكرها القرآن في إصلاح المفسدين وهي كما يلي:

أ ــ **الدعوة المباشرة**، وقد تمثلت في دعوة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾[744]، لما كانت أخص مهمة الأنبياء والمرسلين هي إنقاذ الناس من الضلال إلى الهدى، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإصلاح ما أحدثه المفسدون

([742]) هود: ١١٦

([743]) انظر: تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٤ص٣٧١

([744]) الأعراف: ٨٥، ٨٦

من واقع الحياة بعد أن أصلحها الله بالدين، فقد بدأ شعيب عليه السلام دعوته مع قومه بتذكيرهم بحق الله عليهم، والمتمثل في أن يعبدوه فلا يشركوا به شيئاً، ثم أمرهم بترك ما أقاموا عليه من الظلم والتطفيف والجلوس في الطرقات للصد عن سبيل الله، فهذه صورة من جهد المصلحين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لانتشال الناس من متسنقع الفساد إلى واحة الإيمان والطهر والصلاح.

ب ــ **مواجهة الفساد بالإصلاح**، فقد أمر القرآن الكريم المؤمنين بفعل الخير والإصلاح كوسيلة لدحر المفسدين وحصرهم وتضييق الخناق عليهم لعلهم ينتهون، قال تعالى: ﴿...**وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[745]، ففي سياق الآية يأمر موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام، أن يخلفه في بني إسرائيل بالعمل الصالح، وألا يطع المفسدين[746]، أو أن ينحاز إليهم، بل يجب أن يخالفهم ويأخذ على أيديهم إلى جادة الطريق.

ج ــ **الأخذ على يد المفسدين بالقوة**، وقد يصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر درجة يستلزم بها قتال المفسدين ورفع راية الجهاد لوضع حد لفسادهم، وإلا استحالت الحياة على الأرض ولحق الفساد بكل جوانب الحياة، نتيجة اختلال الموازين والقيم والأخلاق وعلو أهل الفساد، قال تعالى: ﴿...**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[747]، والجهاد باليد هو أعلى درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد سبق أن تناولنا شرح هذه الآية وأقوال العلماء في معنى الدفع[748].

([745]) الأعراف: ١٤٢

([746]) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ ج١ص٣٦٧

([747]) البقرة: ٢٥١

([748]) انظر: الفصل الأول أسباب الفساد ص٢٩

وهكذا نجد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منهج قرآني أصيل في إصلاح المفسدين، وقد نوع القرآن وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواجهة المفسدين.

المسألة التاسعة: إخلاص الولاء لله والبراءة من المشركين

إن الجماعة المسلمة حين تواجه أعداء الله تعالى من المفسدين ومن شايعهم، إنما تواجه جماعة ذات كيان عضوي له مفاهيم وأفكار، يمارسها بواقع عملي، يمثله مجتمع جاهلي، يعيش أفراده حالة من التوافق والولاء ضد هذه الجماعة المؤمنة، وضد ما تحمله من معاني الصلاح، فهم متوافقون في عدائهم لهذا الدين، ولهذه الفئة المؤمنة التي تحمل الدين كمنهج حياة، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾[749]، ومن هنا فليس أمام هذه الجماعة المؤمنة إلا أن تواجه الجاهلية الواقعية بنفس هذه الوسيلة، فتقيم المجتمع المؤمن الذي يدين لرب واحد، ويعطي أفراده الولاء لله ولرسوله ولإخوانهم في العقيدة، بدرجة أعمق وأمتن وأقوى من تلك التي بين الكفار، وقد حذر الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز من تهاون الفئة المؤمنة في أمر الولاء بحدوث فتنة كبرى، حين ينتصر أهل الشرك على المؤمنين، يفتنوا الناس عن دينهم، فالتجمع الجاهلي المتكافل أفراده لا يقابل إلا بتجمع مؤمن متكافل أفراده[750].

وهكذا فإن وجود الولاء والتكافل بين المؤمنين، وتعزيز مبدأ البراءة من المشركين من أهم الوسائل التي يُدَعِّمُ بها المنهج القرآني الجبهة الداخلية لصف المؤمنين، في مواجهة فساد الجاهلية وكيانها العضوي.

([749]) الأنفال: ٧٣

([750]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٣ص١٥٥٩

المطلب الثاني: إصلاح الدولة و إقامة العدل

و فيه مسألتان :

المسالة الأولى: إصلاح الدولة

المسألة الثانية: إقامة العدل

المسالة الأولى: إصلاح الدولة

للدولة ثلاث مكونات هي السلطة، والأمة "الشعب"، والأرض[751]، وقد حض القــرآن الكريم على حفظ وصيانة هذه المكونات الثلاث من كل عوامل الفساد، لتبقى دولة الإسلام التي تقيم دين الله في الأرض، طاهرة مصونة من مظاهر الفساد في كل مكوناتها.

ويمكن بيان مظاهر العناية التي أولاها القرآن لهذه المكونات على النحو التالي:

أولاً: السلطة

وتتكون من السلطان ومساعديه من الولاة والقضاة والمــشرعين والــوزراء وأمــراء الدواوين وغير ذلك، وقد تختلف هذه المسميات من عصر لآخر ومن قطر لآخر، وهم جميعــاً

(751) انظر: نظام الإسلام الحكم والدولة ــ محمد المبارك ــ ص٥٨

يمثلون السلطة في المسؤوليات، كل حسب تبعته، ويتولى هؤلاء جميعاً رعاية شئون الناس في دينهم ودنياهم، ومعاشهم وحلهم وترحالهم، وسلمهم وحربهم، وقد وضع القرآن الكريم هــؤلاء جميعاً أمام مسؤولياتهم في رعاية مصالح الناس، وأمرهم بإصلاح عملهم ورقابة الله في ذلك، وتجنب ما يفسد شئون الرعية ومصالحهم.

ومنشأ فساد السلطان ــ في معظم أحواله ــ من الجور، واتباع الهــوى، والانحــراف عن منهج الله عز وجل، لذا فقد حذر سبحانه وتعالى ولي الأمر من الوقوع في هذه المفاســد، وقد جاءت الآيات بالنهي عن ذلك بشكل صريح، فقد حذر سبحانه وتعالى نبيه داود عليه السلام من الفساد بعد أن استخلفه في الأرض، فقال: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَــاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَــبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾[752]، وتصلح هذه الآية الكريمة أن تكون مرجعاً لكل ذي سلطان ولي من أمر الناس شيئاً مهما كان يسيراً، يلتمس منها ملامــح القيــادة الربانية، فيجعل تقوى الله عز وجل نصب عينيه، ويُصْلِحْ في رعيته ويجتنب الفساد، وقد بــين الإمام القرطبي[753]رحمه الله، أن هذه الآية تضمنت العناصر التي يجب على ولاة الأمــر أن يتمتعوا بها، وهي كما يلي:

١ ــ العدل في الرعية، قال تعالى: ﴿**...وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِــسْطِ إِنَّ اللَّــهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[754]، وقال: ﴿**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْــوَاءَهُمْ**

([752]) ص: ٢٦

([753]) انظر: جامع العلوم والحكم ــ القرطبي ــ ج١٥ص١٦٧

([754]) المائدة: ٤٢

وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ...﴾[755]، فالأمر هنا على الوجوب، والحق والعدل ما وافق شرع الله، وما ظهر الفساد في أمة من الأمم إلا بسبب التمايز بين الناس في القضاء، قال ﷺ: **[يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها]**[756].

٢ــ **مجافاة الهوى**، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا...**﴾[757]، وقد سبق تفصيل العلاقة بين الفساد الهوى[758].

٣ــ **إثبات الحق بالبينة**، فلا يجوز أن يقضي الحاكم بعلمه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً**﴾[759]، فقد رفض النبي ﷺ أن يحكم في رجل ابتاع منه ﷺ فرساً إلا بشاهد، رغم أن الحدث مع النبي ﷺ ، فقد أخرج أبو داود في سننه **[أن النبي ﷺ ابتاع فرسا من أعرابي فاستتبعه النبي ﷺ ليُقْضِيَهُ ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي، فطفق رجالٌ يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه، فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ فقال: إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا**

([755]) المائدة: ٤٩

([756]) صحيح البخاري ــ كتاب الحدود ــ باب كراهية الشفاعة ــ ٦ص١٣٦٥ ــ ح(٦٧٨٨)

([757]) النساء: ١٣٥

([758]) انظر: الفصل الأول أسباب الفساد ص٢٤

([759]) النساء: ١٠٥

بعته، فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي فقال (أوليس قد ابتعته منك) فقال الأعرابي: لا والله ما بعتكه فقال النبي ﷺ: (بلى قد ابتعته منك) فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة فقال (بم تشهد ؟) فقال: بتصديقك يارسول الله فجعل النبي ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين][760]، فهذا هو سبيل الله في القضاء كما بينه النبي ﷺ ، والله عز وجل يجازي يوم القيامة بعد إقامة الحجة على المجرمين، قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[761].

٤ــ **ذكر اليوم الآخر**، قال تعالى: ﴿**... إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾[762] فذكر هذا اليوم، وما فيه من الأهوال، وفصل الله بين العباد، هو سياج أمان يقي ذوي السلطان من الجري وراء الدنيا ومتاع النفس وشهواتها، فالسلطة في الدنيا تنسي سلطان الله عز وجل يوم القيامة، وذكر القيامة يقتضي التزام الحق ومخالفة الهوى[763].

كما حث القرآن الكريم السلطان على التلطف بالرعية، والنصح لهم ومشاورتهم في الأمر، قال تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ**

([760]) سنن أبي داود ــ كتاب الأقضية ــ باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد ــ ص٥٤٦ ــ ج(٣٦٠٧)، قال عنه الألباني: صحيح.

([761]) يس: ٩٥

([762]) ص: ٢٦

([763]) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ البيضاوي ــ ج٢ص٣٠٨

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[764]، وهذا الخطاب موجه للنبي ﷺ باعتباره رسول الله وسلطان المسلمين وولي أمرهم، وهو ﷺ أسوة لغيره من ولاة الأمور.

كما حث القرآن الكريم السلطان على حسن اختيار مستشاريه ووزراءه، قال تعالى: ﴿**فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾[765]، فهذه الصفات العظيمة التي وردت في الآيات الكريمة صفات مميزة للجماعة المسلمة المختارة لقيادة البشرية، وينبغي لولي الأمر أن يختار أمراءه ومستشاريه ووزراءه ممن يتصفون بالإيمان، والتوكل، واجتناب كبائر الإثم والفواحش، والمغفرة، والعفو[766]، كما "ينبغي أن يكون المستشار عاقلاً"[767].

ويرى الباحث أن السلطان لو أخذ بهذه التوجيهات القرآنية العظيمة لصلح حال السلطان، وبصلاحه تصلح أحوا ل البلاد والعباد، قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"[768].

ثانياً: الأمة أو الشعب

والشعب في دولة الإسلام هم الرعية، وهم المؤمنون أينما وجدوا ــ إذ الأصل أن للمسلمين دولة واحدة بأمير واحد ــ والمعاهدون المقيمون في دولة الإسلام بعقد ذمة[769]،

([764]) آل عمران: ١٥٩
([765]) الشورى: ٣٦ - ٣٩
([766]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٥ص٣١٦١
([767]) روح المعاني ــ الألوسي ــ م٩ج٢٥ص٤٦
([768]) البداية النهاية ــ ابن كثير ــ ج٢ص١٠

وقد أولى القرآن الكريم الأمة المسلمة اهتماماً كبيراً وحافظ على وحدتها، وعمل على إصلاح الفرد والجماعة الذين هم العنصر الأهم من مكونات الأمة، وصانها من كل عوامل الفساد، وكان اهتمام القرآن بالفرد والجماعة على السواء، ويمكن بيان عناية القرآن بالأمة الإسلامية على النحو التالي:

١ــ **إصلاح الفرد والجماعة،** وقد تناول المطلب السابق من هذا المبحث هذه المسألة بشيء من التفصيل[770].

٢ــ **إصلاح العلاقة بين الرعية والسلطان،** فكما أن القرآن الكريم أمر ولاة الأمر بالعدل ومجافاة الهوى ومراقبة الله في الأمة، فقد أمر الرعية أيضاً بحسن التأدب مع السلطان، وطاعتهم وبرهم ويمكن بيان بعض هذه الجوانب فيما يلي:

أ ــ **طاعة أولي الأمر،** قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...**﴾[771]، وقد جعلت طاعة الله وطاعة رسوله مطلقة، وجعلت طاعة أولي الأمر مقترنة بطاعة الله ورسوله، فنطيعهم في الحق الذي يرضي الله ورسوله[772].

ب ــ **النهي عن النجوى،** كما حذر القرآن الكريم من النجوى في الأمور العامة دون علم السلطان، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾[773]، وقال:

([769]) انظر: نظام الإسلام الحكم والدولة ــ ص٩٩

([770]) انظر: الفصل الرابع ص١٨٦

([771]) النساء: ٥٩

([772]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٢ص٦٩١

([773]) المجادلة: ٩

﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾[774]، ويأتي هذا النهي عن النجوى لأن بعض المسلمين ممن لم تتطبع نفوسهم بروح الجماعة، يتجمعون عندما تحزب الأمور، ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيدا عن قيادتهم، الأمر الذي لا تقره طبيعة الأمة الواحدة، ذات القيادة الواحدة، والتي تقتضي عرض كل رأي، وكل فكرة، وكل اقتراح على القيادة ابتداء، وعدم التجمعات الجانبية في داخل صف الجماعة الواحدة، خاصةً عندما يدور في هذه التجمعات ما قد يؤدي إلى الاضطراب والبلبلة داخل الصف الإسلامي - ولو لم يكن قصد الإيذاء قائما في نفوس المتناجين - ولكن مجرد إثارتهم للمسائل الجارية، وإبداء الآراء فيها على غير علم، قد يؤدي إلى رواج الإشاعة المغرضة، التي تفضي إلى التمرد وعدم الطاعة[775].

وما أكثر ما يقع الناس في هذا الزمان في هذه الآفة، فينشأ عن ذلك تمزق الأمة، وتعدد تجمعاتها وقياداتها، بسبب ما يدور في هذه التجمعات التي تقوم على النجوى من تحريض وعرض للقضايا بعيداً عن أولي الأمر، ويكفي ما يؤكد فسادها أن ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا....﴾[776].

ج ــ **التثبت عند الإشاعة**، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...**﴾[777]، وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا...**﴾[778] ،

([774]) النساء: ١١٤

([775]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٦ص٣٥١٠

([776]) المجادلة: ١٠

([777]) النساء: ٨٣

فالآية الأولى ترسخ روح الشعور بالمسئولية لدى أفراد الرعية، وتلزمهم التثبت، ورد خبر الأمن أو الخوف لأولي الشأن، الذين يضعون الخبر في موضعه، ويحسنون التصرف في ضوء ما لديهم من خبرة ودراية، والآية الثانية تلزم المؤمنين عموماً بالتحقق والتثبت عند تلقى الخبر، وتضع قاعدة رئيسة في الحفاظ على سلامة الصف من آفة سوء الظن وظلم الآخرين.

وهكذا ربى القرآن الكريم الرعية وغرس في قلبها الإيمان والولاء للقيادة المؤمنة، وعلمها نظام الطاعة، والتثبت، بما يساعد على تماسك البنيان ويعزز الثقة والمحبة بين القيادة والرعية.

ثالثاً: الأرض

وأرض الدولة الإسلامية هي: الأرض التي أسلم أهلها وهي مملوكة لهم لا ينازعهم فيها أحد، أو أرض فتحها المسلمون عنوة، وأقاموا فيها أحكام الإسلام[779]، بعد أن استسلم أهلها.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الأرض والديار في آياته الكريمة، فقال تعالى: ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[780].

والأرض تفسد بجدبها وقحطها وقلة خيراتها، كما قال تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[781]،

([778]) الحجرات: ٦

([779]) نظام الإسلام الحكم والدولة ــ محمد المبارك ــ ص١٣٥

([780]) الممتحنة: ٨

([781]) الروم: ٤١

وكذلك تفسد بتسلط ملوك الدنيا، فيقتلوا أشرافها كما قال تعالى: ﴿**... إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً...**﴾[782].

فدعا القرآن إلى دفع الجدب والقحط عن الأرض بالدعوة إلى ذكر الله عز وجل، والاستغفار والتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...**﴾[783]، وقال على لسان نوح عليه السلام: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾[784]، فسياق الآيات الكريمة يشير إلى الرباط الوثيق بين ذكر الله والدعاء والاستغفار، والتقوى والعمل الصالح من جانب، وخصب الأرض وإخراج بركاتها من جانب آخر.

كما دعا القرآن الكريم إلى حماية أرض المسلمين والدفاع عنها وصون حصونها من الأعداء بالجهاد، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾[785]، فالآية الكريمة إعلان لاستمرار حالة الجهاد من أجل حماية ثغور المسلمين، وحماية ديارهم، فلا تزال الأمة قوية مصونة الجانب، وقد جيش النبي ﷺ بنفسه الجيوش لحماية ثغور دولة الإسلام، وكان أخرها غزوة

([782]) النمل: ٣٤

([783]) الأعراف: ٩٦

([784]) نوح: ١٠-١٢

([785]) التوبة: ١٢٣

تبوك[786]، وقد جَسَّدّ النبي ﷺ أهمية مبادرة الأعداء وأخذهم بالقوة بالواقع العملي والقولي فقال: **[...ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر...]**[787].

المسألة الثانية: إقامة العدل

يحسن القول هنا أننا لا نتناول مبحثاً في العدل، وإنما نريد بيان علاقة منهج القرآن في إصلاح الفساد من خلال إقامة العدل، قال تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ...**﴾[788]، ويبدأ سياق الآية برد الأمانات إلى أهلها، وهي المرتبة الأولى من إقامة العدل والمساواة بين الناس، وقد بين القرآن الكريم ثقل هذه الأمانة، التي نأت بها الجبال، قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[789]، ثم أمر بعد ذلك بإقامة العدل في الأرض، من خلال العدل بين الناس، ليعيش الناس حياتهم في طمأنينة وأمان، فلا يتسلل الفساد إلى حياتهم من خلال القضاء والسلطان.

فإن الناس إذا نعموا بالعدل ساد بينهم الأمن، واستقرت نفوسهم، واطمأنت قلوبهم، وازدهر مجتمعهم، وعم بينهم الخير والبركة[790]، وغياب العدل من حياة الأمم و الشعوب نقيض ذلك، وهل نقيض العدل إلا الجور والفساد؟

([786]) تقع شمال الجريرة العربية، بين الحجر وبلاد الشام، وقيل سكنها أصحاب الأيكة، وقد دخلها النبي ﷺ في العام التاسع من الهجرة، لغزو من تجمع من الروم ولخم وجذام لقتال المسلمين، فلما وصل وجدهم قد تفرقوا فلم يلق كيداً فمكث فيها أياماً ثم عاد إلى المدينة. انظر: معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ ج٢ص١٥

([787]) صحيح مسلم ــ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ــ مقدمة الكتاب ــ ج١ص٣٧٠ ــ ح(٥٢١)

([788]) النساء: ٥٨

([789]) الأحزاب: ٧٢

([790]) انظر: النظام السياسي في الإسلام ــ محمد أبو فارس ــ ص٥٤

وقد أرسل الله عز وجل رسله بالبينات لإقامة العدل والقسط بين الناس، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...**﴾(محمد رمضان)، فالعدل هو الضمان الوحيد للبشرية من عواصف الفساد التي تحيق بها في معترك الأهواء والعواطف، وميدان المنافسة وحب الذات، وفي هذه الأجواء لا بد من ميزان ثابت يرجع إليه البشر جميعاً، فيجدون فيه الحق والعدل والإنصاف دون محاباة، ليقوم الناس بالقسط، فبدون هذا الميزان العادل الذي يمثل القرآن الكريم عموده الفقري، تبقى البشرية في تخبط وفساد، يشكل خطراً يهدد الحياة البشرية بكليتها[792].

والعدل مقترن بوجود الكون، فالسماوات والأرض وما فيهن قام بالحق والعدل والإنصاف، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾(رمضان)، قال المفسرون: بالحق أي بالعدل والإنصاف، لا بالظلم والجور(رمضان)، فالناس جميعاً من أصل واحد، متساوون في الحقوق والواجبات العامة، والقلوب والأعمال هي محل نظر الله عز وجل، وليس اللون ولا المال ولا الجاه ولا السلطان، والناس جميعاً في ذلك سواء، قال تعالى: ﴿**...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[795]، والتقوى كسب وجهد شخصي لا يورث، وقد أمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالعدل فقال: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ**

([791]) الحديد: ٢٥

([792]) انظر: في ظلال القرأن ــ سيد قطب ــ ج٦ص٣٤٩٤

([793]) الحجر: ٨٥

([794]) انظر: جامع البيان في تأويل أي القرآن ــ الطبري ــ م٧ج١٤ص٣٤ ، تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٤ص٥٥٣

([795]) الحجرات: ١٣

بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾، وأَمْرُ اللهِ عز وجل فيه الخير والصلاح للبشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿**...وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعالَمِينَ**﴾[797]، وقد جاء الأمر في الآية بإقامة العدل في الأحكام بين الناس، والتحذير من الهوى ــ الذي يحمل على العصبية وبغض الناس ــ فيتركوا العدل ميلاً مع شهوة النفس ورغبتها، وأمرهم لزوم العدل على أي حال، لما للميل عن العدل من مفسدة تلحق بالناس، فتربك حياتهم فتفسد ولا تستقيم لهم طريق.

وقد أقام المسلمون دولتهم على الحق والعدل، استجابة لأمر الله عز وجل، وانسجاماً مع منهج القرآن الكريم في إقامة العدل و الحكم بالقسط، ففتح الله لهم البلاد وقادوا الناس إلى الخير والصلاح، ودحروا الفساد فلم يعد له وجود في حياتهم، وقد شهد لهم العدو قبل الصديق، ومن النماذج الطيبة التي يحسن ذكرها في هذا المقام ما جاء عن عبد الله بن رواحة، "لما بعثه النبي ﷺ يخرص[798] على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليَّ، ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنازير، وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض"[799].

([796]) النساء: ١٣٥

([797]) آل عمران: ١٠٨

([798]) تقدير الثمار وهي على أشجارها عند نضجها. انظر: النهاية في غريب الحديث الأثر ــ المبارك بن محمد الجزري ــ ج٢ص٦٢

([799]) تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج٢ص٤٨٣

المبحث الثاني: إصلاح الفساد بالعقوبة الرادعة

و فيه مطلبان:

المطلب الأول: عقوبة المفسدين في الدنيا

المطلب الثاني: عقوبة المفسدين في الآخرة

المطلب الأول: عقوبة المفسدين في الدنيا

وفيه أربع مسائل

المسألة الأولى: إقامة الحدود

المسألة الثانية: الاستئصال والتدمير

المسألة الثالثة: عذاب الخزي

المسألة الرابعة: سوء الخاتمة

المسألة الأولى: إقامة الحدود

إن إقامة الحدود في الشريعة الإسلامية رغم ما فيها من ألم وشدة على المفسدين، إلا أنها جزء من عطف الله عز وجل ورحمته بالعصاة، فهذه العقوبة غالباً ما تكون فرصة عظيمة للتوبة، ونقطة تحول في حياة العصاة[800]، وقد أنكر الله على الذين يُبْتَلَونَ في الدنيا بالشدة أو المرض ولم يتعظوا بذلك، فقال سبحانه: ﴿**أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾[801].

وقد بينت الآيات الكريمة من كتاب الله أن الهدف من القصاص والحدود هي العبرة والردع والتأديب، وبيان ذلك كما يلي:

١ــ قال تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[802]، ففي هذه الآية الكريمة يكشف الله عز وجل لعباده ارتباط أحوال الناس وأعمالهم، بأحوال الكون من حولهم، ففساد القلوب والأعمال يتبعه

([800]) انظر: أصول الدعوة ــ عبد الكريم زيدان ــ ص٢٧٢

([801]) التوبة: ١٢٦

([802]) الروم: ٤١

فساد في أحوال الأرض، فتحبس السماء ماءها، وتمنع الأرض خيراتها، وكل هذا من صنع الله عز وجل وعقابه للناس، فالقحط والجدب في الأرض لا يتم عبثاً ولا يقع مصادفة، وإنما هو جزء من عذاب الله يقتص به من المفسدين ليتألموا بما يصيبهم من ضنك العيش، فيعزموا على مقاومة نفوسهم الشريرة، فيكفوا عن الفساد، ويرجعوا إلى الله عز وجل، فيصلحوا أعمالهم، ويرجعوا وإلى منهج الله القويم[803].

٢ــ ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[804]، فالسارق الذي أفسد في الأرض فَحُدَّ وقطعت يده، يكون هذا القطع رادعاً ومطهراً له من الوقوع في الجريمة مرة أخرى، وقد يحدث له القطع توبة ينعم بعدها بالإيمان والعمل الصالح، فيتوب الله عليه، ويعيش بعدها حالة من لذة الوصال والرضا بحكم الله، يشعر معها بلطف الله عليه وتفضله بقبول توبته، والتوفيق إليها، وما كان له أن يصل إلى هذه الحالة لولا الحد أو القصاص.

٣ــ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[805]، والعبرة من ذلك أن المفسد

([803]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٥ص٢٧٧٣

([804]) المائدة: ٣٨، ٣٩

([805]) البقرة: ١٧٩

إذا علم أنه سَيُقْتَلُ لو أنفذ عزمه في القتل، لكف عن صنيعه فكان في ذلك حياة لـــه ولغيـــره، وصون للنفوس، وقد جاء في الكتب المتقدمة: "القتل أنفى للقتل"[806]، وقال تعالى منبهاً لأخـــذ العبرة من قوم لوط الذين أهلكوا بسبب فسادهم: ﴿ **وَإِنَّكُمْ لَتَمُـــرُّونَ عَلَـــيْهِمْ مُـــصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[807]، أي أفلا تعتبرون و تتعظون من مصير أهل هذه القـــرى، كيـــف كانت نهايتهم.

٤ــ قال تعالى عند إيقاع العقوبة على فئة من المفسدين: ﴿**...وَلْيَـــشْهَدْ عَـــذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[808]، "ليكون ذلك أبلغ في زجرهما، وأنجع في ردعهما، فإن الفضيحة قد تنكل أكثر مما ينكل التعذيب"[809]، .

المسألة الثانية: الاستئصال والتدمير

وإن من رحمة الله بعباده لزجرهم عن الفساد وليرجعوا إلى فطرتهم الطيبة الـــصالحة، أن يهلك المفسدين بعذاب رادع جامع، فيستأصلهم ويترك آثارهم قرى مدمرة، لتكـــون عبـــرة لمن بعدهم، قال تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُـــمْ لا يَـــسْتَأْخِرُونَ سَـــاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[810]، وقال: ﴿**مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ**﴾[811]، أَيْ لكـــل أمـــة وقت محدد لفنائها وموتها، فإذا جاء هذا الوقت المحدد عند الله عز وجل، لا يستأخرون عنـــه ساعة ولا يستقدمون.

([806]) تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ج١ص٤٥١

([807]) الصافات: ١٣٧، ١٣٨

([808]) النور: ٢

([809]) صفوة التفاسير ــ محمد على الصابوني ــ ج٢ص٢٧

([810]) الأعراف: ٣٤

([811]) الحجر: ٥

والله عز وجل لا يأخذ القرى بالعذاب إلا إذا أفسد أهلها، وظلموا وبدلوا نعمة الله كفراً، ففناء الأمة أو استئصالها مرتبط بفسادها وظهور المترفين فيها، وخروجهم عن حالة الصلاح، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾[812]، وقال تعالى: ﴿**....وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾[813].

وقد جاء القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي تبين مصارع الظالمين، وكيف أن الله قد استأصلهم بالعذاب، وبقيت آثارهم مدمرة لتكون عبرة وردعاً للمفسدين بعدهم، قال تعالى: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[814]، وسياق الآية جاء تعقيباً على تسعة رهط من ثمود، كانوا يفسدون في الأرض ولا يعرفون للصلاح سبيلاً.

وقال تعالى في حق قوم لوط: ﴿**وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾[815]، أي تركنا في قراهم عبرة ورادعاً لمن كان يخشى سوء العاقبة والعذاب الأليم.

وقد بينت السنة المطهرة أن عتبة ابن ربيعة ــ وكان سيداً في قريش ــ جاء للنبي ﷺ يطلب منه الكف عن سب أصنام قريش، فقرأ عليه ﷺ فاتحة سورة فصلت، فلما وصل ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾[816]، فعندها أمسك عتبة بفمه ﷺ وناشده الرحم أن يكف عن كلامه، ورجع إلى أهله واحتبس عن

([812]) الإسراء:١٦
([813]) القصص: ٥٩
([814]) النمل: ٥٢
([815]) الذاريات: ٣٧
([816]) فصلت: ١٣

قريش، فلما راجعه القوم في ذلك، قص عليهم عتبة ما سمعه من النبي ﷺ وقال: قد علمتم أن محمداً ﷺ إذا قال شيئاً لم يكذب، وإني خشيت أن ينزل بكم العذاب[817].

فهذه الحادثة تبين الأثر الرادع لقصص الغابرين وما نزل عليهم من عذاب، كما بينت وقع تلك القصص على قلب رجل غير مؤمن كعتبة ابن ربيعة[818]، فكيف سيكون أثرها على من كان في قلبه شيء من إيمان؟

المسألة الثالثة: عذاب الخزي

ومن رحمة الله بعباده أن يظهر أمر المفسدين، ويكشف خفايا نفوسهم، فيخزهم في الدنيا، ويبطل كيدهم، ويدمر بنيانهم، ليكون ذلك رادعاً وزاجراً للناس، لئلا يتلبسوا بالفساد ويفتتن الخلق بهم، ولعل هذه الشدة على المفسدين تردع من كان في قلبه ذرة خير، ليعود إلى رشده ويتوب إلى ربه، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[819]، والسياق القرآني يعلنها حرباً شديدة على المفسدين بما يناسب فعلهم، فيلحق بهم الخزي والصغار ويمكن توضيح ذلك في النقاط التالية:

([817]) انظر: البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ ج٣ص٦٢، وبنحوه: في المستدرك على الصحيحين ــ الحاكم ــ ج٢ص٢٧٨ ــ ح(٣٠٠٢)، قال عنه الذهبي في التلخيص: صحيح

([818]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٥ص٣١١٦

([819]) المائدة: ٣٣، ٣٤

١ - القتل والصلب، وما فيه من الخزي والذل بعد الموت، فإن من إكرام الميت الإسراع في دفنه[820]، ولكن هؤلاء المفسدين لا كرامة لهم حتى بعد موتهم، بل يصلب المفسد منهم أشهراً على قارعة الطريق خزي له وعبرة لغيره[821]، وهل هناك من خزي وذل أشد من ذلك.

٢ - تقطيع الأيدي والأرجل، وما فيه من الخزي لمن وقع عليه الحد بما يجعله منكسر النفس طيلة ما تبقى له من عمره، وتجعله عبرة لغيره، إلا أن يتوب توبة نصوحا يكون معها راضياً بحكم الله، فيكون الرضا تسلية له.

٣ - نفي المفسدين من الأرض وما فيه من إبعادهم عن الأهل، أو العشيرة، أو العصابة، أو الحزب الذي يتقوون به، فيشعرهم النفي بالغربة والضعف والخزي والذل والهوان، فلعل شعورهم بالضعف والوحدة أن يردعهم[822]، ويضع حداً لتطاولهم على الناس، ويفسح لهم باباً للتوبة وصدق التوجه إلى الله، أو أن يجدوا لهم من الصحبة الخيرة من تأخذ بأيديهم ليستأنفوا حياة كريمة من جديد.

المسألة الرابعة: الندم وسوء الخاتمة

ومن رحمة الله عز وجل بعباده أن يتعرض المفسدون عند موتهم للشدائد والمواقف المفزعة، ليكونوا عبرة لغيرهم، فيتعظ الناس من سوء خاتمتهم، فيعودوا إلى الله تعالى وتستقيم حياتهم، وقد جاء في القرآن الكريم ما يعزز هذا القول وبيان ذلك فيما يلي:

١ ــ **سوء خاتمة قارون**، إن خاتمة قارون ونهايته مفزعة حقاً، وذلك أن المرء إذا مات غريقاً أو قتيلاً، فهو شيء مألوف للناس، أما أن تنشق الأرض فتبلع شخصاً وبيته وماله

([820]) انظر: المغني ــ ابن قدامة المقدسي ــ ج٢ص٤٥٢

([821]) انظر: المبصر لنور القرآن الكريم ــ نائلة هاشم صبري ــ م٢ج٦ص١١٦

([822]) انظر: في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ج٢ص٨٨٠

في بطنها، فهو أمر مفزع مخيف! تضطرب منه القلوب، وتذهل منه العقول، وتهتز له الأركان، ويترك معانٍ كبيرة، تكشف عن المصير الفاضح والخزي الذي آل إليه من تعرض لهذا الخسف، لذا لما خسف الله الأرض بقارون وبيته، اهتزت قلوب الذين تمنوا مكانته وعلوه وفساده في الأرض، قال تعالى: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾[823] ، فكان الخسف رادعاً وزاجراً لكل من تمنى الفساد والعلو.

٢ - **سوء خاتمة فرعون**، لقد كانت نهاية فرعون الطاغية المستعلى المتجبر نهاية مفزعة مذلة، إذ أغرقه الله ومن معه من الجند في البحر، فلطمته الأمواج على وجهه من كل جانب، حتى إذا أحس بحقيقة ضعفه، قال على استحياء بعد فوات الأوان، ﴿**...آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ**﴾[824]، وقد كان بوسعه أن يعلنها مدوية وهو سيدٌ في قصره، ويكون من السابقين الأولين، ولكن فساده وطغيانه صده عن الحق، فلا بد أن يدفع ثمن هذا الفساد والعلو والطغيان، حسرة وندماً في الحياة قبل الممات.

وقد قذفه البحر جثة هامدة، ليكون لمن بعده عبرة وآية، فهذه هي نهاية المفسدين، ندم عند الموت، وميتة شنيعة يؤخذ فيها المفسدون وهم في قمة فسادهم وطغيانهم، ليكون ذلك أنكى لهم، قال تعالى: ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ...**﴾[825].

([823]) القصص: ٨١، ٨٢

([824]) يونس: ٩٠

([825]) ابراهيم: ٤٢

المطلب الثاني: عقوبة المفسدين في الآخرة

و فيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: إحباط العمل

المسألة الثانية: الطرد من رحمة الله

المسألة الثالثة: العذاب الأليم

المسألة الرابعة: مضاعفة العذاب يوم القيامة

إنَّ من رحمة الله بالعباد أنه لم يتركهم هملاً، بل بين لهم سبيل الصالحين ومقامهم يوم الدين، ليتنافسوا هذه المراتب الرفيعة في الحياة الدنيا، وحذرهم سبل المفسدين، وتوعد من تبع طريقهم بشتى أصناف العذاب، ليكون هذا الوعيد زاجراً لهم، فيرجعوا إلى ربهم تائبين مستغفرين، وقد جاء السياق القرآني مبيناً عقوبة المفسدين يوم القيامة ويمكن إجمال ذلك في المسائل التالية:

المسألة الأولى: إحباط العمل.

أصل الحَبَط: أَلَمٌ ينفخ بطن البعير من عشب سام، وحَبِطَ عَمَلُه: بمعنى فَسَدَ عَمَلُه الذي ظاهره الصلاح فلم يجازه الله عليه[826]. والمعنى الإصطلاحي المقصود أن تكون للمرء أعمالٌ صالحة ولكنها محفوفة بسيئات أتت عليها[827]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى...**﴾[828].

والله سبحانه وتعالى قد توعد المفسدين بأن يحبط أعمالهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنْ النَّاسِ**

([826]) انظر: كتاب العين ــ الخليل بن أحمد ــ ج٣ص١٧٤

([827]) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ــ الأصبهاني ــ ص٢١٦

([828]) البقرة: ٢٦٤

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾﴿ﷻ﴾، فقتل النفس من أشد أنواع الفساد، فكيف بقتل الأنبياء؟ وكيف بقتل الآمرين بالمعروف من الناس؟ لذا فقد توعد الله سبحانه وتعالى هذا الصنف من المفسدين بالعذاب الأليم، وأن يحبط ما لهم من عمل صالح في الدنيا قبل الموت، وذلك بفضحهم وكشف نواياهم الفاسدة التي وراء أعمالهم، ويوم القيامة حين يكون المرء في أمس الحاجة لحسنة يدخل بها الجنة، فما يجد له من حسنة قط، وقد أكدت السنة المطهرة هذا المعنى حيث قال ﷺ :[**هل تدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة، ويأتي قد شتم عرض هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، فيقعد، فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار]**﴿صلى الله عليه وسلم﴾.

المسألة الثانية: الطرد من رحمة الله

ومن منهج القرآن الكريم في إصلاح المفسدين، أن يتوعدهم بمقت الله تعالى وبغضه، وطردهم يوم القيامة من رحمته، فلا ينظر إليهم، ومن طرد من رحمة الله فقد خسر خسراناً عظيماً، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**﴾[831]، ففي الآية

([829]) آل عمران: ٢١، ٢٢

([830]) مسند الامام أحمد ــ ج٢ص٣٠٣ ــ قال شعيب الأرنؤوط: صحيح على شرط مسلم.

([831]) الرعد: ٢٥

الكريمة قضى الحق سبحانه وتعالى بلعن المفسدين وطردهم من رحمته، ورحمة الله تعالى أرجى للعبد يوم القيامة من عمله مهما كان صالحاً، فليس من أحد يدخل الجنة يوم القيامة إلا برحمة الله تعالى وفضله، قال ﷺ **[لن يُنْجي أحداً منكم عملُه، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة...]**[832]، فرحمة الله تعالى هي حبل النجاة يوم القيامة، بها يدخل الناس الجنة، وبها يُرفَعُ أهل الجنة الدرجات، وبها يُكفِرُ الله السيئات، وهي خير للعبد من عمله[833]، فمن حرمها يوم القيامة فهو المحروم، والشقي هو المطرود من رحمته عز وجل، وقد تكفل الله برحمته لمن آمن به وخافه واتقاه، قال تعالى: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾**[834].

ويأتي هذا التهديد والوعيد للمفسدين ردعاً لهم ليستدركوا أنفسهم، ويرجعوا إلى بارئهم تائبين منيبين.

المسألة الثالثة: العذاب العظيم

والعذاب في اللغة: هو الإيجاع الشديد، وقيل: أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي: طرفها، وقد قال بعض أهل اللغة: التعذيب هو الضرب[835]، والعظيم في اللغة: في الأجسام: كبر الحجم والطول والعمق، وفي المعاني: الشيء الذي فاق كل تصور[836]،

([832]) صحيح البخاري ــ كتاب الرقاق ــ باب القصد والمداومة على العمل ــ ص١٣١٤ ــ ح رقم (٦٤٦٣)

([833]) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ــ ابن حجر العسقلاني ــ ح١١ص٢٩٦

([834]) الأعراف: ١٥٦

([835]) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ــ الأصبهاني ــ ص٥٥٤.

([836]) انظر: لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج١٢ص٤٠٩

وقد توعد الله المفسدين بالعذاب العظيم يوم القيامة، وقد ذكر السياق القرآني صوراً شتى لألوان العذاب والمصير الفاضح الذي ينتظر هؤلاء المفسدين، الخارجين عن أمر الله تعالى، المحاربين لدعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[837]، وتبين الآية الكريمة ما أعد الله للمفسدين من العذاب العظيم في نار جهنم، هذا العذاب الذي يفوق كل تصور! إنه المصير المفزع الذي ينتظر هؤلاء المفسدين، إنه العذاب العظيم المقيم. . . ! إنه عذاب لا يعلم ماهيته إلا الله عز وجل، فالنفس البشرية يعتريها الفزع والهول عندما تسمع بالعذاب، فكيف إذا وصف بالعظيم؟ وكيف إذا كان الواصف رب العالمين؟

إن المفسد حين يرى العذاب يتمنى أن لو كان له ما في الأرض جميعاً، ومثله معه، ليفتدى به من عذاب ذلك اليوم العظيم، لذا فقد جاء التعقيب على آية الحرابة السابقة بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[838].

والعذاب العظيم خبر مجمل في القرآن الكريم، والقارئ لكتاب الله عز وجل عندما يسمع بالعذاب العظيم يستحضر في ذهنه شتى أنواع العذاب التي وصفها الله في كتابه للكفار والمنافقين والمجرمين الذين عاثوا في الأرض فساداً وإفساداً، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

([837]) المائدة: ٣٣

([838]) المائدة: ٣٦

أ ــ حرقهم بالنار حتى تنضج الجلود، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[839].

ب ــ شرابهم ماءٌ كالمهل يشوي الوجوه، قال تعالى: ﴿....وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾[840].

ت ــ تصفيدهم بالأغلال، قال تعالى: ﴿... وَأُوْلَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[841].

ث ــ ثيابهم فصلت من نار، وغسلهم من ماءٍ يصهر الجلود، وعذابهم بغير انقطاع، قال تعالى: ﴿... فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[842].

ج ــ سقاؤهم من صديد، قال تعالى: ﴿...وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[843]

ح ــ طعامهم من زقوم، وشرابهم من حميم، قال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ *

([839]) النساء: ٥٦
([840]) الكهف: ٢٩
([841]) الرعد: ٥
([842]) الحج: ١٩- ٢٢
([843]) إبراهيم: ١٥ــ ١٧

طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾[844].

خ ــ ظلهم ألسنة اللهب، قال تعالى: **﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنْ اللَّهَبِ﴾**[845]

فهذا بعضٌ من أصناف العذاب الذي أعده الله للعصاة يوم القيامة، وقد توعد المفسدين بأعظمه، ليكون ذلك رادعاً وزاجراً لهم لعلهم يرجعون.

المسألة الرابعة: مضاعفة العذاب

ومن رحمة الله وتفضله على عباده الصالحين أن يضاعف لهم الأجر أضعافاً كثيرة، قال تعالى: **﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**[846]، ومن رحمته أيضاً أنه يجازي المسيء بعمله دون مضاعفة، ويعفوا عن كثير، أما المفسدون فإن الله يُحَمِّلهم أوزارهم وأوزار من أضلوهم بفسادهم وبصدهم عن سبيل الله عز وجل، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾**[847]،أي: زدنا قادة الفساد عذابا فوق عذاب أتباعهم، فأحد العذابين على كفرهم، والعذاب الآخر من عذاب الذين أفسدوهم [848]، ونظير ذلك قوله تعالى: **﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا**

([844])الصافات: ٦٢ ــ ٦٧

([845]) المرسلات: ٢٩،٣٠

([846]) الأنعام: ١٦٠

([847]) النحل: ٨٨

([848]) انظر: الجامع لأحكام القرآن ــ القرطبي ــ ج١٠ص١٤٦.

﴿يَزِرُونَ﴾[849]، فالله سبحانه وتعالى لا يحابي أحداً من خلقه، ولا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وتأتي هذه المضاعفة، وهذا العقاب الرادع للمفسدين ليراجعوا أنفسهم ويرأفوا بها، ويرجعوا إلى ربهم تائبين قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله.

وهكذا فإن القرآن الكريم قد بين للمفسدين عاقبة فسادهم يوم القيامة، وما أعد الله تعالى لهم من سوء الخاتمة وأصناف العذاب، ليقَوِّمَ سلوكهم، ويحي قلوبهم، ويقيم الحجة عليهم.

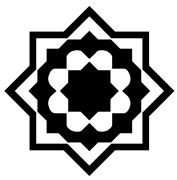

([849]) النحل: ٢٥

الخلاصة

يتناول البحث ظاهرة خطيرة على مستوى الفرد والجماعة، ألا وهي ظاهرة الفساد والمفسدون، وقد حصر الباحث دراسته في نواحي الفساد التي صرح بها القرآن الكريم من خلال آيته الكريمة، لذا فقد كان البحث بعنوان "**الفساد والمفسدون: دراسة قرآنية موضوعية**".

وقعت الدراسة في مقدمة وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، أما المقدمة فقد تناولت أهمية البحث وأسبابه وأهدافه، وأما التمهيد فقد تناول تعريف الفساد في اللغة والاصطلاح وتفريقاً بين الفساد في المصطلح القرآني والمفهوم الجاهلي.

وأما الفصل الأول فقد تناول الحديث عن أسباب الفساد، ومظاهره وآثاره على مستوى الفرد والجماعة.

وأما الفصل الثاني فقد تناول أنواع الفساد، وقد حصرت هذه الأنواع تحت عناوين ثلاثة يندرج تحتها كل أنواع الفساد، وهي فساد النية، وفساد العقيدة، وفساد السلوك والأخلاق.

وأما الفصل الثالث فقد تناول صفات المفسدين، ثم تناول الباحث نماذج مختارة للمفسدين على مستوى الأفراد والجماعات.

وأما الفصل الرابع والأخير فقد تناول منهج القرآن الكريم في إصلاح الفساد، وقد تمثلت في علاج الفساد من خلال التربية والتوجيه للفرد والجماعة، ثم إصلاح الدولة وإقامة العدل ثم إقامة الحدود وردع المفسدين.

وقد خرج الباحث بالنتائج التالية

١- واقعية القرآن الكريم في علاج الظواهر المَرَضيَّة في المجتمع وإعطاء الأولوية للظاهرة الأكثر انتشاراً.

٢- لقد خلق الله عز وجل الكون صالحاً، وإنما يقع فيه الفساد بما تكسب أيدي المكلفين.

٣- لا يجوز نشر الفساد في الأرض تحت أي ذريعة كانت.

٤- ولاة الأمر والسلطان يتحملون القسط الأكبر من الفساد الذي تعيشه الأمم والمجتمعات.

٥- للفساد أثر كبير في تفشي الأمراض الاجتماعية بين الناس، وسلب المجتمعات نعمة الأمن.

٦- انتشار الفساد في المجتمع نذير خطر ورسول قحط وعقوبة ربانية عامة.

٧- وراء كل فساد في الأرض نية فاسدة.

٨- السبب في انحراف أخلاق المفسدين وسلوكهم هو فساد اعتقادهم بالغيبيات من بعث وجزاء ووعد ووعيد.

٩- تفشي القتل وسفك الدماء في المجتمع تنذر بحالة الفساد التي وصل إليها هذا المجتمع.

١٠- قطع الأرحام مفسدة كبرى تدل على فساد خصال من تلبسوا بها، فلا يرجى منهم خير.

١١- إن الأمة الإسلامية مكلفة برعاية أموال الأيتام والإحسان إليهم واعتبر المس بها نوع من أنواع الفساد.

١٢- إن النفس الشريرة هي العنصر الرئيس في الفساد.

١٣- إن معرفة المرء بربه من خلال التعرف على أسمائه وصفاته هي أول طريق القضاء على الفساد والتخلص من شروره.

١٤- يعالج القرآن الكريم الظواهر المرضية معالجة شاملة من كافة جوانبها، ليعطي الحل الأفضل والأمثل، وهذا بحد ذاته يعتبر إعجازاً تشريعياً، وإعجازاً تربوياً إصلاحياً.

١٥- الثواب والعقاب منهج قرآني أصيل في إصلاح الفرد والجماعة.

التوصيات

١- على أهل العلم والمصلحين أن يأخذوا دورهم ويتقلدوا مكانتهم في التوجيه والإصلاح.

٢- على المصلحين إعطاء النفس البشرية من العناية والاهتمام، والتربية والتوجيه ما يسهم في تحصينها وصيانتها من عوامل الفساد وأسبابه

٣- إصلاح المناهج التربوية في مدارس التعليم الأساسي بحيث تُربى الأجيالُ الناشئة تربية إيمانية متكاملة ترسخ في النفوس حب الصلاح وفعل الخير، وكره الفساد والنفور منه، في مرحلة مبكرة من حياتهم..

٤- على ولاة الأمر وضع خطة استراتيجية تهدف من خلالها إلى تهيئة الناس لقبول تطبيق شرع الله تعالى في المفسدين لصيانة المجتمع من ويلات وشرور المفسدين.

٥- على ولاة الأمر ملاحقة المفسدين الذين يروجون للرذيلة ــ كالصور الإباحية والأفلام الهابطة و... ــ بين الأجيال الناشئة.

٦- على ولاة الأمر فرض رقابة على وسائل الإعلام المحلية وما تبثه من فكر يهدم القيم والأخلاق ويرسخ روح التبعية واليأس في نفوس الناس.

٧- على الجمعيات الخيرية مزاولة دورها في رعاية الناشئين وحسن استغلال طاقاتهم بما يعود عليهم بالفائدة ويقلل من فرص استغلالهم من قبل المفسدين بما يسهم في صيانة المجتمع من شرور المفسدين.

فهـــرس الآيـــات

السورة	رقم الآية	نص الآية	الصفحة
الفاتحة	٣	مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ.	٣٥
البقرة	٣	الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ.	٩٨
البقرة	١١	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ.	٩،٨٠،١٠٨،١٤٠
البقرة	١١	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ.	٤٦
البقرة	١٢	أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ.	٨١،٤٦،١٣، ١٠٨
البقرة	٢٦	نَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا..	١٣٣
البقرة	٢٧	الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّـهُ بِـهِ أَنْ يُوصَـلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ.	٩، ٥٧ ،٦٣، ١٠٤، ١٣٠، ١٣٣
البقرة	٣٠	قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَـدِّسُ لَكَ قَالَ.	٨ ،١١ ،٦١ ١١٧، ١٩٣
البقرة	٤٩	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ...	١٥٦، ١٨٢
البقرة	٥٠	وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ	١٨٢
البقرة	٥٥	وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ...	١٧٥
البقرة	٥٧	وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ...	١٨٢
البقرة	٥٩	وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ	١٨٢
البقرة	٦٠	كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ.	١٢، ٤١، ١٣٤
البقرة	٨٣	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا....	١٣١
البقرة	٨٥	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ..	١٨٠
البقرة	٨٦	ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ...	١٨٠
البقرة	٨٧	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ..	٩٦، ١٧٥
البقرة	٨٧	أَفَكُلَمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ..	٢٦
البقرة	٩٧	قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ...	١٧٦
البقرة	١٠٠	أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.	١٣٣، ١٨٠، ١٣٤
البقرة	١٠٢	وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ....	٥٠، ١٠٨
البقرة	١٠٩	وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا	١٣٧
البقرة	١٤٥	وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنْ الظَّالِمِينَ	٢٥
البقرة	١٧٧	لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ...	٩٤، ١٣٢
البقرة	١٧٩	وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُوْلِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.	٢١٨
البقرة	١٨٠	كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ ...	١٣٢
البقرة	١٨٨	وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً ...	١١٩
البقرة	١٩٠	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ ...	١٠٦، ١٢٦

البقرة	٢٠٤	وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ ...	١١، ١٣٧
البقرة	٢٠٥	وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ...	٨، ١٧، ٦١، ١١٨، ١٢٢، ١٢٦، ١٣٧، ١٤٠
البقرة	٢١٥	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ...	١٣٢
البقرة	٢٢٠	فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنْ الْمُصْلِحِ ...	١٥، ٨٢، ١١٠، 127، ١٩١
البقرة	٢٤٦	أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ ...	٣٦
البقرة	٢٥١	فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ...	٧، ٢٨، ٣٠، ٢٠٠
البقرة	٢٥٥	اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...	٩٠
البقرة	٢٥٨	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ ...	150، ١٥٢، ١٥٣
البقرة	٢٦٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي..	٢٢٥
البقرة	٢٧٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ..	١٠٧
البقرة	٢٧٩	فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ ..	١٠٣
البقرة	٢٠٦	وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ	١٣٧، ١٤٠
آل عمران	١٩	إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ...	٢١، ٤٤
آل عمران	٢١	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ...	٢٢٥
آل عمران	٢٢	أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ	٢٢٥
آل عمران	٥٧	وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ...	١٧٨
آل عمران	٦٢	إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ ...	١٤٢، ١٩٧
آل عمران	٦٣	فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ.	١٤، ١٤١، ١٤٢، ١٩٧
آل عمران	٦٤	قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ...	١٩٧
آل عمران	٧٥	وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ...	١٧٧
آل عمران	٨١	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ ...	٩٥
آل عمران	١٠٤	وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ ...	١٩٥
آل عمران	١٠٨	تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ	٢١٤
آل عمران	١١٠	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ..	٦٤
آل عمران	١١٢	ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ...	١٨٣
آل عمران	١٣٩	وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.	٣٣
آل عمران	١٥٩	فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا ...	٢٠٦
آل عمران	١٨١	لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ	١٤٥، ١٧٤
النساء	١	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا	٦٢
النساء	٢	وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ...	١٢٧، ١٣٠

النساء	٣	وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ...	١٢٧
النساء	١٠	إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ...	١١٠، ١٢٧
النساء	١٨	وَلَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ ...	٥٢
النساء	٢٨	وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً.	١٩٣
النساء	٢٩	ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...	١٠٦
النساء	٣٥	وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا ..	١٩٦
النساء	٣٦	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى ...	٦٢، ١٣١
النساء	٣٨	وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...	٨١
النساء	٥٦	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ ...	٢٢٨
النساء	٥٨	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ..	١٠٣، ٢١١
النساء	٥٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...	٢٠٨
النساء	٦١	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ ...	٩٥
النساء	٨٣	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ...	٢٠٩
النساء	٨٩	وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...	١٣٧، ١٤٦
النساء	٩٢	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ...	٦٠
النساء	١٠٥	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ...	٢٠٥
النساء	١١٤	لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ ...	٢٠٨
النساء	١٣٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ...	٢٦، ٢٠٤، ٢١٣
النساء	١٣٦	وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا	٩٥، ١٨٧
النساء	١٤٢	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ ...	٨٢
النساء	١٥٠	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ ...	٩٥
النساء	١٥١	أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً	٩٥
النساء	١٥٧	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ ...	١٧٥
النساء	١٦٠	فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ...	١٨٢
النساء	١٦١	وَأَخْذِهِمْ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ...	١٧٨
النساء	١٧١	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا...	٨٧
المائدة	١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...	١٣٣
المائدة	٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ ...	١٩٥
المائدة	١٥	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ...	٧١، ٩٤
المائدة	١٦	يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ ...	٩٤
المائدة	٢٠	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ ...	١٨٢
المائدة	٢٧	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنَ الْمُتَقِينَ....	٧٩
المائدة	٣٢	مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ ...	١٦
المائدة	٣٣	إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً ...	١٦، ٥٥، ١٢٥

			١٩٤، ٢٢١، ٢٢٨
المائدة	٣٤	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .	١٩٤، ٢٢١
المائدة	٣٦	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ...	٢٢٨
المائدة	٣٨	وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ ...	٢١٨
المائدة	٣٩	فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	٢١٨
المائدة	٤٢	سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ ...	٢٠٤
المائدة	٤٩	وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ ...	٢٠٤
المائدة	٥٠	أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ	١٩
المائدة	٦٢	وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ ...	١٠٦، ١٧٦
المائدة	٦٣	لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمْ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمْ السُّحْتَ ...	١٠٦، ١٧٦
المائدة	٦٤	وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ.	١٤، ١٧، ٤٨، ٥٥، ٦٦، ٩٠، ١٠٦، ١١٨، ١٣٥، ١٧٦
المائدة	٧٧	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاء ...	٢٤
المائدة	٧٨	لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ...	١٠٧
المائدة	٧٩	كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.	١٠٧
الأنعام	١٩	قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا ...	٨٨
الأنعام	٣٣	قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ...	٩٧
الأنعام	٣٦	إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ	١٩١
الأنعام	٧١	قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا...	٢٥
الأنعام	٨٢	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ	٦٦
الأنعام	٩٣	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ ...	٥٣
الأنعام	١١٩	وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ ..	٢٤
الأنعام	١٥٠	وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الذِينَ كَذَّبُوا...	٢٤
الأنعام	١٥٢	وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ...	١٢٦
الأنعام	١٦٠	مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا...	٢٣٠
الأنعام	١٦٢	قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.	٧٩
الأعراف	٣١	وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ.	١١٠
الأعراف	٣٤	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ.	٦٧، ٢١٩
الأعراف	٥٤	أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِين.	٢١
الأعراف	٥٥	ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .	٩٢، ١٨٩
الأعراف	٥٦	وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً ...	٩، ٩٢، ١٨٩
الأعراف	٧٤	فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ.	١٢

الأعراف	٨٠	وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ .	١٧٠
الأعراف	٨١	إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ...	٤٨ ،١٧٠، ١٧١
الأعراف	٨٥	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ ...	٩، ٨٩، ١٠٨، ١٢١، ١٨٧، ١٩٨
الأعراف	٨٦	فوَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ.	١٣، ٥١، ٦٦، ١٠٨، ١٢١، ١٢٥، ١٤٥، ١٩٩
الأعراف	٩٦	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.	٦٨، ٧٠
الأعراف	١٠٣	ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ...	٩٦
الأعراف	١٢٧	وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ...	١٠، ٢٠، ٨٧، ٩٦، ١٥٩
الأعراف	١٣٣	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ الطُّوفَانَ...	٧٢
الأعراف	١٣٤	وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمْ الرِّجْزُ قَالُوا يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ .	١٥٨
الأعراف	١٣٥	فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ.	١٥٨
الأعراف	١٤٢	وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ ...	١٣، ١٩٩
الأعراف	١٥٦	وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ...	٢٢٧
الأعراف	١٥٨	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...	٥٧
الأعراف	١٦٧	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ...	١٨٣
الأعراف	١٨٠	وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ...	٩٠
الأعراف	١٨٣	وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ .	١٤، ١٥٣
الأعراف	١٨٩	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...	١٠٣
الأنفال	٧٣	وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ ...	١٧، ٣٩، ٢٠٠
الأنفال	٧٥	وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ...	١٣٢
التوبة	٤	إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا ...	١٣٣
التوبة	٧	كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ ...	١٣٣
التوبة	٢١	يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ.	٥٦
التوبة	٣٠	وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ...	٩١، ١٧٥
التوبة	٤٦	أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ.	٨١
التوبة	٧٢	وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...	٥٦
التوبة	١٠٥	وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ...	٩٨
التوبة	١١٢	التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ...	١٩٣
التوبة	١٢٣	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ...	٢١١

التوبة	١٢٦	أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ ...	٢١٧
يونس	٣٨	أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ ...	٩٩
يونس	٣٩	بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ...	٩٩
يونس	٤٠	وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ.	١٤، ٩٩
يونس	٨١	فَلَمَّا القَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ...	١٣، ٥٠، ١٠٩ ١٥٤
يونس	٩٠	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا...	٥٢، ٨٩، ٢٢٣
يونس	٩١	الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ.	١٣، ٥٣، ٨٩
يونس	٩٢	فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً...	١٦١
هود	٧٨	وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ...	٤٨، ١٤٤، ١٧٣
هود	٧٩	قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ.	٤٨، ١٤٤، ١٧١
هود	٨٢	فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ...	١٧٣
هود	٨٣	مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ.	١٧٣
هود	٨٤	الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ .	١٢١
هود	٨٥	وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ.	١٢، ٦٥، ١٢١
هود	٨٧	قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ...	١٢٢
هود	١٠٢	وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ.	١٥٤، ١٨٣
هود	١١٦	فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ ...	١٦، ٣٢، ١٨٦، ١٩٨
يوسف	٨	إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ...	١٧٧
يوسف	٩	اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ...	١٧٧
يوسف	٧٣	قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ.	١١، ٦٤، ١٠٩، ١٢٠
الرعد	٥	وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ...	٢٢٩
الرعد	٢٥	وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ.	٩، ٥٨، ٦٣، ١٠٤، ١٣١، ١٣٤، ٢٢٦
ابراهيم	١٥	وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ.	٢٢٩
إبراهيم	١٦	مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ.	٢٢٩
إبراهيم	١٧	يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ...	٢٢٩
إبراهيم	٤٢	وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ ...	٢٢٣
إبراهيم	٤٦	وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ ...	١٥١
الحجر	٤	وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ .	٦٧
الحجر	٥	مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ.	٦٧، ٢١٩

الحجر	٨٥	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ...	٢١٣
النحل	١٧	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ.	٢١
النحل	٢٥	لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ ...	٢٣٠
النحل	٢٦	قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ...	١٥٤
النحل	٤٥	أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ...	٦٨
النحل	٥١	وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ.	٨٨
النحل	٥٣	وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...	١٧٤
النحل	٥٧	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ.	٩٢
النحل	٦٢	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى ...	٩٢
النحل	٨٦	وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا ...	٨٨
النحل	٨٧	وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ .	٨٨
النحل	٨٨	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ.	١٠، ٥٨، ٨٩، ١٤٥، ٢٣٠
الإسراء	٤	وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً.	١٠، ٦٨، ١٧٤ ١٨١
الإسراء	٥	فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ...	١١، ٦٨
الإسراء	٨	وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً.	٦٨، ١٨٣
الإسراء	١٦	وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ...	٣٢، ٢١٩
الإسراء	٧٠	الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ...	٦٠
الكهف	٢٩	وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...	٢٢٩
الكهف	٤٦	الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ ...	١١٩
الكهف	٩٤	قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ...	١٣، ١٦٧، ١٦٨
الكهف	١١٠	قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...	٩٤
مريم	٦٥	رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ..	٢٧
مريم	٨١	وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً.	٨٧، ٨٨
طه	١٦	فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى.	٢٦
طه	٢٤	اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى.	٣٤
طه	٧٠	قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ...	١٥٧
طه	١٢٣	قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ...	٤٤
طه	١٢٤	وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا...	٤٤، ١٨٧
الأنبياء	٢١	أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ .	٢٧، ٨٨
الأنبياء	٢٢	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ.	٧، ٢٧، ٨٨
الأنبياء	٣٠	وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ.	٧٠
الأنبياء	٣٥	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...	٥٢

الأنبياء	٨٨	فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ.	٥٣
الأنبياء	١٠٥	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.	٦٧
الحج	١٨	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ...	٧٣
الحج	١٩	فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ الْحَمِيمُ .	٥٦، ٢٢٩
الحج	٢٠	يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ .	٥٦، ٢٢٩
الحج	٢١	وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ.	٥٦، ٢٢٩
الحج	٢٢	كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ.	٥٦، ٢٢٩
الحج	٤١	الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ..	١٨١
الحج	٧٥	اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.	٩٤
المؤمنون	٢٤	فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ..	٩٦
المؤمنون	٣٣	وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بلقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ ...	٣٢
المؤمنون	٤٥	ثُمَّ أَرْسَلنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلطَانٍ مُبِينٍ .	٣٥
المؤمنون	٤٦	ثُمَّ أَرْسَلنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلطَانٍ مُبِينٍ .	٣٥
المؤمنون	٤٧	فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ .	١٥٩
المؤمنون	٧١	وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنّ.	٧، ٢٤، ٧٤، ١٤٣
المؤمنون	٩١	مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ...	٩٢
المؤمنون	٩٩	حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ.	٥٣
المؤمنون	١٠٠	لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ...	٥٣
النور	٢	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا...	٢١٩
الفرقان	٧	وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ...	٩٧
الفرقان	٨	أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ ...	٩٧
الفرقان	٩	انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا.	٩٧
الشعراء	٥٤	إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ .	١٦٠
الشعراء	٥٥	وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ.	١٦٠
الشعراء	١٤٦	أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ.	١١٢
الشعراء	١٤٧	فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ .	١١٢
الشعراء	١٤٨	وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ .	١١٢
الشعراء	١٤٩	وَتَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ .	١١٢
الشعراء	١٥٠	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ.	١١٢
الشعراء	١٥١	وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ.	١٠، ٣٧، ٥٠، ١١٢
الشعراء	١٥٢	الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ.	٣٧، ١١٢
الشعراء	١٥٢	الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ.	١٠، ٣٧، ٣٨، ٥٠، ١١٢

الشعراء	١٨١	أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنْ الْمُخْسِرِينَ.	١٢١
الشعراء	١٨٢	وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ.	١١٠، ١٢١
الشعراء	١٨٣	وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ.	١٢، ١١٠
الشعراء	١٨٩	فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ.	٧٣
النمل	١٤	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ...	١٤،٣٥ ٨٠، ١٥٨
النمل	٣٠	إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ .	٣٥
النمل	٣١	أَلا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ.	٣٥
النمل	٣٤	قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ.	٧، ٣٦، ١١٣، ١٣٧، ٢١٠
النمل	٤٨	وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ.	١٠
النمل	٥٢	فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ.	٢٢٠
النمل	٥٦	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آل لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ...	٢٠
النمل	٨٨	وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ ...	٧٣
القصص	٤	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ.	١٣، ٣٤، ٤٩،٨٧ ١١٧، ١٥٥، ١٥٦
القصص	٣٨	وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي...	١٥٠، ١٥١، ١٥٩
القصص	٣٩	وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ	١٥٨
القصص	٤١	وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ.	١٦٣
القصص	٥٠	إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ...	٢٥
القصص	٥٩	وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا...	٢١٩
القصص	٧٦	إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنْ الْكُنُوزِ...	١٦١
القصص	٧٧	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ .	١٤، ١٧، ٧٢، ١٦١، ١٩٠
القصص	٧٨	قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ...	١٦١
القصص	٧٩	فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَالَيْتَ لَنَا ...	١٦١
القصص	٨٠	وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا...	١٦٢
القصص	٨١	فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنْ الْمُنْتَصِرِينَ.	٧٢، ١٦٢، ١٦٤ ١٦٥، ٢٢٢
القصص	٨٢	وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ...	١٦٢، ٢٢٢
القصص	٨٣	تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا...	١٨
القصص	٨٧	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ ...	١٠٠
القصص	٨٨	قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي...	١٠١
العنكبوت	٢٨	وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ .	٤٧، ١٠٠، ١٤٤ ١٧١

العنكبوت	٢٩	أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ .	٤٧، ٦٥، ١٠٠، ١١١، ١٢٤ ١٤٤، ١٧٢
العنكبوت	٣٠	قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ.	١٤، ٤٧، ٦٥، ١٠٠ ١١١، ١٢٤، ١٤٤، ١٧٢
العنكبوت	٣٦	وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ	١٢، ١٩٠
العنكبوت	٣٩	وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا ...	١٦٢
الروم	٢١	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ ...	٢٠،٦٢
الروم	٤١	ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ...	١، ١٧، ٧٠، ٢١٠، ٢١٧
الأحزاب	٥٧	إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ ...	٩٥
الأحزاب	٧٢	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ...	٢١٢
سبأ	١٨	وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ...	١٢٤
سبأ	٣٤	وَمَا أَرْسَلنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلا قَال مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلتُمْ بِهِ كَافِرُونَ.	٣٢
يس	٩٥	الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.	٢٠٦
الصافات	٦٢	أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ.	٢٢٩
الصافات	٦٣	إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ.	٢٢٩
الصافات	٦٤	إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ .	٢٢٩
الصافات	٦٥	طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ.	٢٢٩
الصافات	٦٦	فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ .	٢٢٩
الصافات	٦٧	ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ.	٢٢٩
الصافات	١٣٣	وَإِنَّ لُوطًا لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ .	٧٢
الصافات	١٣٤	إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ .	٧٢
الصافات	١٣٥	إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ .	٧٢
الصافات	١٣٦	ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ .	٧٢
الصافات	١٣٧	وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ .	٢١٨
الصافات	١٣٧	وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ .	٧٢
الصافات	١٣٨	وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ .	٧٢، ٢١٨
ص	٢٦	يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ ...	٢٥، ٢٠٤، ٢٠٦
ص	٢٨	أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ...	١٤، ٥٦
الزمر	١٥	فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ...	٥٧
الفتح	١٩	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي...	٧٩
غافر	٢٣	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ .	١٦٤

غافر	٢٤	إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ.	١٦٤
غافر	٢٥	فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ...	١٤٦
غافر	٢٦	وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِيـنَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ .	١٧، ٢٠، ٩٦ ١١٧، ١٥٩
غافر	٢٩	يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ..	١٤١، ١٦٠
غافر	٤٣	فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً.	١٨٣
غافر	٤٦	النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ	٥٤
فصلت	١٣	فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ.	٢٢٠
الشورى	١١	فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ ...	٩٠
الشورى	١٥	فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ..	٢٦
الشورى	٢٧	وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ..	٤٢
الشورى	٢٨	وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.	٧٢
الشورى	٣٠	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ.	٧٤
الشورى	٣٦	فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ...	٢٠٦
الشورى	٣٧	وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ.	٢٠٦
الشورى	٣٨	وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا ...	٢٠٧
الشورى	٣٩	وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ.	٢٠٧
الزخرف	٢٣	وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلا قَال مُتْرَفُوهَا إِنَّا ...	٣٢
الزخرف	٣٢	أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ ..	١٠٣
الزخرف	٥١	وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ ...	١٦٠
الزخرف	٦٧	الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ.	٥٨
الزخرف	٨٧	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...	٨٦
الجاثية	٢٣	أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَهُ اللهُ عَلى عِلمٍ.	٢٥
محمد	٢٢	فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ .	١٠، ٣٠، ٦٢، ٦٣، ١٣١
الفتح	٨	إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا.	٩٤
الفتح	٩	لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ...	٩٤
الفتح	١٨	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي ...	٧٩
الحجرات	٧	وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ...	١٤٣
الحجرات	١١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ ...	١٩٣
الحجرات	١٢	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ.	٤٦
الحجرات	١٣	يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ...	١٩٦، ٢١٣
الحجرات	١٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا...	٢٠٩
ق	١٦	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ...	١١٩

الذاريات	٣٧	وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.	٢٢٠
الذاريات	٤٨	وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ.	٧١
النجم	٣	وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الهَوَى .	٢٦
النجم	٤	إِنْ هُوَ الا وَحْيٌ يُوحَى.	٢٦
النجم	٣٢	الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ...	٤٦
القمر	١٤٩	إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ.	٧٣
الحديد	٢٥	لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ ...	٢١٢
المجادلة	٩	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ...	٢٠٨
الحشر	١٤	لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ...	١٠٧، ١٣٦، ١٧٩
الممتحنة	١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ..	٣٩
الممتحنة	٤	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ..	١٣٥
الممتحنة	٨	لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ	٢١٠
التغابن	١٦	فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ....	١٨٦
الملك	١	تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.	٨٧
الجن	٢٦	عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً .	٩٨
الجن	٢٧	إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً.	٩٨
نوح	٧	وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ..	١٤٢
نوح	١٠	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً .	٢١١
نوح	١١	يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا.	٢١١
نوح	١٢	وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا.	٢١١
المزمل	٢٠	إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ...	١٢٣
المدثر	٣٠	عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ.	٩٩
المرسلات	٢٩	انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ .	٢٣٠
المرسلات	٣٠	لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنْ اللَّهَبِ.	٢٣٠
النازعات	٢٣	فَحَشَرَ فَنَادَى .	٨٧، ١٥٩
النازعات	٢٤	فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى.	٨٧، ١٥٩
النازعات	٤٠	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الهَوَى .	٢٦
النازعات	٤١	فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى.	٢٦
البروج	١٢	إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ.	١٥٥
الفجر	١٠	وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ .	١٦، ٦٨
الفجر	١١	الَّذِينَ طَغَوْا فِي البِلادِ .	١٦، ٦٨
الفجر	١٢	فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ .	١٦، ٦٨
الفجر	١٣	فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ .	١٦، ٦٨
الفجر	١٤	إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ.	١٦

الشمس	٧	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا .	١٩٢
الشمس	٨	فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا.	١٩٢
الشمس	٩	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا .	١٩٢
الشمس	١٠	وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا.	١٩٢
قريش	١	لِإِيلافِ قُرَيْشٍ .	١٢٣
البينة	٥	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...	٧٩
قريش	٢	إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.	١٢٣
الإخلاص	١	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ .	٩٢
الإخلاص	٢	اللَّهُ الصَّمَدُ .	٩٢
الإخلاص	٣	لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ .	٩٢
الإخلاص	٤	وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.	٩٢

فهرس الأحاديث الشريفة

مرقم	الحديث	المصدر	الصفحة
١	إذا أصبح إبليس بث جنوده فيقول: من أضل اليوم مسلما	المستدرك	١١٦
٢	إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار،	مسلم	٨٣
٣	إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع	مسلم	٥٤
٤	أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة	البخاري	١٠٤
٥	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة	الترمذي	١٠٥
٦	إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته	مسلم	١٨٣
٧	إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه	المعجم الأوسط ، ضعيف	٢٩
٨	أن النبي ﷺ ابتاع فرسا من أعرابي فاستتبعه النبي	أبو داود	٢٠٥
٩	إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم	الخاري	٥٠
١٠	إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته	مسلم	٨٢
١١	بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلىهرقل	البخاري	٣٦
١٢	بينما رجل يمشي قد أعجبته جمته وبراده إذ خسف به	مسلم	١٦٥
١٣	خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو	البخاري	٦٣
١٤	سيكون قوم يعتدون في الدعاء	سنن بن ماجه ــ صحيح	٩٣
١٥	فليس من نفس إلا و هي تنظر إلى بيت في الجنة أو بيت	المستدرك	٥٨
١٦	كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا	مسلم	١٩٤

١٧	الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما	مسند أحمد	٣٣
١٨	كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه	مسلم	٥٠،١٢٠
١٩	لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب	مسلم	١٦٩
٢٠	لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس	مسلم	٧٤
٢١	لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به	مسلم	١٣٥
٢٢	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق	مسلم	١٨٨
٢٣	لما أتى موسى قومه، أمرهم بالزكاة	المستدرك	١٦٤
٢٤	لن يُنْجي أحداً منكم عملُه، قالوا ولا أنت يا رسول الله	البخاري	٢٢٧
٢٥	ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب	المعجم الأوسط	٣١
٢٦	من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل	مسلم	١٣٠
٢٧	من قتل دون ماله فهو شهيد	مسلم	١٢٠
٢٨	هل تدرون من المفلس؟	مسند أحمد	٢٢٦
٢٩	ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر	المستدرك	٧١
٣٠	ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر	مسلم	٢١١
٣١	ويبعث الله يأجوج ومأجوج	مسلم	١٦٩
٣٢	يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال: يقول:	مسلم	١٦٧
٣٣	يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق	البخاري	٢٠٤
٣٤	يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما	مسلم	١٢٦
٣٥	يقول قال الله عز وجل : أنا الرحمن وأنا خلقت الرحم	احمد	٦٢

قائمة المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين ــ أبو حامد الغزالي ــ بيروت ــ دار الكتب العربية ــ دون تاريخ.

٢- أدب الدنيا والدين ــ أبو الحسن الماوردي: القاهرة:مصطفى البابي الحلبي ــ دون تاريخ.

٣- الأدب المفرد ــ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ــ تخريجات وتعليقات محمد ناصر الدين الألباني ــ الطبعة الثانية ــ دار الصديق ــ السعودية ــ٢٠٠٠م.

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ــ محمد بن محمد العمادي أبو السعود ــ بيروت ــ دار الفكر ــ دون تاريخ.

٥- الأزهر ــ مجلة شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية ــ القاهرة.

٦- أُسد الغابة في معرفة الصحابة ــ أبو الحسن على بن محمد المعروف بان الأثير ــ بيروت ــ دار الفكر ــ ٢٠٠٣م.

٧- أصول الدعوة ــ عبد الكريم زيدان ــ ط٣ ــ بغداد ــ دار البيان ــ ١٩٧٦م.

٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ــ محمد الأمين الشنقيطي ــ القاهرة ــ مكتبة ابن تيمية ــ ١٩٨٨م.

٩- أطلس العالم، أطلس جغرافي مصور ــ مكتبة الصغَّار ــ دون تاريخ.

١٠- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ــ محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية ــ تحقيق ــ محمد حامد الفقي ــ الطبعة الثانية – بيروت ــ دار المعرفة ــ ١٩٧٥م.

١١- الأفعال في القرآن الكريم دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع القراءات ــ عبد الحميد السيد ــ عمان ــ دار حامد للنشر ــ ٢٠٠٣م.

١٢- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ــ عبد الله التل ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ــ المكتب الإسلامي ــ ١٩٧١م.

١٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى عام ٧٩١هـ ــ الطبعة الثانية ــ القاهرة، مطبعة البابي الحلبي ــ ١٩٦٨م.

١٤- بدائع الفوائد ــ محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية ــ بيروت ــ دار الكتاب العربي ــ دون تاريخ .

١٥- البداية والنهاية إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ــ مكتبة المعارف – بيروت ــ ١٩٨٨م.

١٦- تاج العروس من جواهر القاموس ــ محمد مرتضى الزبيدي ــ بيروت ــ دار مكتبة الحياة ــ دون تاريخ.

١٧- تاريخ الأمم والملوك ــ ابن جرير الطبري ــ بيروت ــ دون ناشر ــ دون تاريخ.

١٨- التحرير والتنوير ــ محمد الطاهر ابن عاشور ــ تونس ــ دار سحنون للنشر والتوزيع ــ ١٩٩٧م.

١٩- التعريفات ــ أبي الحسن علي بن محمد الحسني الجرجاني ــ بيروت ــ دار الكتب العلمية ــ ٢٠٠٠م.

٢٠- تفسير البحر المحيط ــ أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي ــ بيروت دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ــ ٢٠٠١م.

٢١- تفسير الخازن المسمى لب التأويل في معاني التنزيل ــ علاء الدين علي بن محمد البغدادي ــ بيروت ــ دار الفكر ــ ١٩٧٩م.

٢٢- تفسير الشعراوي ــ محمد متولي الشعراوي ــ القاهرة ــ أخبار اليوم إدارة الكتب والمكتبات ــ ١٩٩١م.

٢٣- تفسير القرآن العظيم ــ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ــ تحقيق السيد محمد السيد ــ دار الحديث ــ القاهرة ــ ٢٠٠٢م.

٢٤- التفسير الكبير ــ فخر الدين الرازي ــ الطبعة الثانية ــ طهران ــ دار الكتب العلمية ــ دون تاريخ .

٢٥- تفسير المراغي ــ أحمد مصطفى المراغي ــ دون مكان ــ دار الفكر ــ دون تاريخ

٢٦- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ــ وهبة الزحيلي ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ــ دار الفكر المعاصر ــ ١٩٩٨م.

٢٧- تهذيب التهذيب ــ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ دار الفكر ــ بيروت ــ ١٩٨٤م.

٢٨- تهذيب الأسماء واللغات ــ يحيى بن شرف الدين النووي ــ بيروت ــ دار الكتب العلمية ــ دون تاريخ.

٢٩- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ــ يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي ــ تحقيق بشار عواد معروف ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٩٨٠م.

٣٠- التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي ــ محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق محمد رضوان الداية ــ دار الفكر المعاصر بيروت ــ٢٠٠٢م.

٣١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ــ عبد الرحمن السعدي ــ الرياض ــ مؤسسة مكة للطباعة ــ ١٩٧٨م.

٣٢- الثقات ــ أبو حاتم محمد بن حبان ــ بيروت ــ مؤسسة الكتب الثقافية ــ ١٩٨٣م.

٣٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن ــ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ ــ الطبعة الثالثة ــ بيروت ــ دار المعرفة ــ ١٩٧٨م.

٣٤- جامع العلوم والحكم ــ عبد الرحمن بن شهاب الدين المعروف بابن رجب الحنبلي ــ بيروت ــ دار الفكر ــ ٢٠٠٢م.

٣٥- الجامع لأحكام القرآن ــ أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ــ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ــ القاهرة ــ١٩٦٧م.

٣٦- جاهلية القرن العشرين ــ محمد قطب ــ دار الشروق ــ بيروت ــ ١٩٧٨م.

٣٧- الجرح والتعديل ــ عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ــ الهند ــ مجلس دائرة المعارف العثمانية ــ ١٩٥٣م.

٣٨- الجرح والتعديل ــ عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي ــ دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٩٥٢م.

٣٩- جريدة القدس المحلية ــ مؤسسها محمود أبو الزلف

٤٠- جريدة الأيام ــ تصدرها شركة مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر ــ رئيس التحرير أكرم هنية.

٤١- جريدة الرسالة ــ فلسطين ــ جريدة يومية تصدر عن حزب الخلاص الإسلامي.

٤٢- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ــ عبد الرحمن الثعالبي ــ تحقيق أبو محمد الغاماري الإدريسي ــ بيروت ــ دار الكتب العلمية ــ ١٩٩٦م.

٤٣- حاضر العلم الإسلامي والغزو الفكري ــ صالح حسين الرقب ــ الطبعة الثالثة ــ غزة ــ مطبعة الأمل ــ ٢٠٠٠م.

٤٤- الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة و السلام ــ صفي الدين المباركفوري ــ الطبعة الرابعة ــ المنصورة ــ دار الوفاء ــ ٢٠٠١م.

٤٥- الرسالة التدمرية : مجمل عقيدة أهل السلف ــ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ــ مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود ــ المدينة المنورة ــ ١٤٠٨هـ

٤٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ــ محمود الألوسي ــ بيروت ــ دار الفكر ــ ١٩٧٨م.

٤٧- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ــ يحيى بن شرف الدين النووي ــ بيروت ــ دار الجيل ــ ١٩٨٥م.

٤٨- زاد المسير في علم التفسيرــ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي ــ بيروت ــ المكتب الإسلامي ــ ٢٠٠٢م.

٤٩- زهرة التفاسير ــ الشيخ محمد أبو زهرة ــ القاهرة ــ دار الفكر العربي ــ دون تاريخ.

٥٠- سنن أبي داود ــ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ــ حكم على أحاديثه ناصر الدين الألباني ــ الرياض ــ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ــ ١٩٨٨م.

٥١- سنن الترمذي ــ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ــ حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني ــ الرياض ــ مكنبة المعارف للنشر والتوزيع ــ ١٤١٧هـ.

٥٢- سنن النسائي ــ ابو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الشهير بالنسائي ــ حكم على أحاديثه ناصر الدين الألباني ــ الرياض ــ مكتبة المعارف ــ ١٤١٧هـ

٥٣- السيرة النبوية ــ عبد الملك ابن هشام ــ القاهرة ــ مكتبة المنصورة ــ ١٩٩٩م.

٥٤- شرح العقيدة الطحاوية ــ ابن أبي المعز الحنفي ــ ط٦ ــ بيروت ــ المكتب الإسلامي ــ ١٤٠٠هـ .

٥٥- صحيح البخاري ــ محمد بن إسماعيل البخاري ــ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ــ المنصورة ــ مكتبة الإيمان ــ٢٠٠٣ م.

٥٦- صحيح السيرة النبوية ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن ــ دون تاريخ.

٥٧- صحيح مسلم ــ أبو الحسين مسلم بن الحجاج: دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة ــ دون تاريخ.

٥٨- صحيح مسلم بشرح النووي ــ يحيى بن شرف الدين النووي ــ بيروت ــ دار الفكر ــ١٩٩٢م.

٥٩- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ــ المكتب الإسلامي ــ ١٩٨٨م.

٦٠- صفوة التفاسير ــ محمد على الصابوني ــ بيروت ــ دار القرآن الكريم ــ ١٩٧٦م.

٦١- صيد الخاطر ــ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ــ تهذيب أسامة السيد ــ الطبعة الرابعة ــ بيروت ــ مؤسسة الكتب الثقافية ــ ١٩٩٥م.

٦٢- ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ الطبعة الثالثة ــ بيروت ــ المكتب الإسلامي ــ ١٩٩٠م.

٦٣- الطبقات الكبرى ــ محمد بن سعد بن منيع البصري ــ بيروت ــ دار صادر ــ دون تاريخ.

٦٤- طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها ــ عبدالله بن محمد بن جعفر الأنــصاري ــ تحقيق عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي ــ الطبعة الثانية ــ مؤســسة الرســالة ــ بيروت ــ ١٩٩٢م.

٦٥- طبقات المفسرين ــ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ــ تحقيق : علي محمد عمــر ــ القاهرة ــ مكتبة وهبة ــ ١٩٧٦م.

٦٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ــ بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني ــ بيروت ــ دار صادر ــ ٢٠٠٢م.

٦٧- الغارة على العالم الإسلامي ــ ال شاتيله ــ محب الدين الخطيب مترجم ــ القاهرة ــ منشورات العصر الحديث ــ ١٩٨٠م.

٦٨- فتح الباري شرح صحيح البخاريــ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ــ بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هــ.

٦٩- فتح القدير الجامع بين فن الرواية و الدراية من علــم التفــسيرــ محمــد بــن علــي الشوكاني: دار الفكر: بيروت ــ ١٩٨٣م.

٧٠- في رحاب التفاسير ــ عبد الحميد كشك ــ القاهرة ــ المكتب المــصري الحــديث ــ ١٩٩٣م.

٧١- في ظلال القران ــ سيد قطب ــ ط١٠ ــ القاهرة ــ دار الشروق ــ ١٩٨١م.

٧٢- القاموس القويم في اصطلاحات الأصوليين ــ محمد حامــد عثمــان ــالقاهرة ــ دار الحديث ــ ١٩٩٦م.

٧٣- القاموس المحيط ــ الفيروز أبادي بيروت العربية للطباعة والنشر ــ دون تاريخ.

٧٤- القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام ــ علي بن عباس البعلي الحنبلي ــ تحقيق محمد حامد الفقي ــ مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، دون تاريخ.

٧٥- الكامل في ضعفاء الرجال ــ عبدالله بن عدي ــ تحقيق : يحيى مختار غزاوي ــ الطبعة الثالثة ــ بيروت ــ دار الفكر ــ ١٩٨٨م.

٧٦- كتاب العين ــ الخليل بن أحمد الفراهيدي ــ بيروت ــ مؤسسة الأعلمي ــ ١٩٩٨م.

٧٧- كتاب توحيد الخالق ــ عبد المجيد الزنداني ــ دار السلام للطباعة والنشر ــ جدة ــ ١٩٨٥م.

٧٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ــ أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري ــ بيروت ــ دار المعرفة ــ دون تاريخ .

٧٩- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ــ علي بن حسام الدين المتقي الهندي ــبيوت ــ مؤسسة الرسالة -١٩٨٩م.

٨٠- لباب النقول في أسباب النزول ــ عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي ــ بيروت ــ دار إحياء العلوم – بيروت ــ دون تاريخ.

٨١- لسان العرب ــ محمد بن مكرم بن منظور ــ بيروت: دار صادرــ دون تاريخ.

٨٢- المبصر لنور القرآن ــ نائلة هاشم صبري ــ مطبعة الرسالة المقدسية ــ ١٩٩٧م.

٨٣- مجلة آفاق قانونية ــ مجلة تصدر عن الجمعية القانونية الفلسطينية للعلوم القانونية .

٨٤- مجلة الإسراء ــ تصدر عن مديرية الإعلام والبحوث بدار الفتوى بالقدس.

٨٥- مجلة صامد الاقتصادي ــ تصدر عن مؤسسة صامد الإقتصادي (جمعية معامل أبناء شهداء فلسطين ــ عمان.

٨٦- مجلة المهندس الفلسطيني ــ تصدر عن نقابة المهندسين ــ فلسطين ــ القدس

٨٧- مجمع الأمثال ــ احمد بن محمد النيسابوري ــ بيروت ــ دار الجيل ــ ١٩٩٦ م.

٨٨- محاسن التفسير المسمى محاسن التأويل ــ محمد جمال الدين القاسمي ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ــ دار الفكر ــ ١٩٧٨م.

٨٩- محيط المحيط: قاموس مطول للغة العربية ــ المعلم بطرس البستاني ــ بيروت مكتبة لبنان ــ١٩٩٨م.

٩٠- المختار الصحاح ــ محمد بن أبي بكر الرازي ــ المطبعة العامرية العثمانية ــ [القاهرة] ــ ١٣١١هـ .

٩١- مختصر منهاج القاصدين ــ أحمد بن قدامة المقدسي ــ دمشق ــ مؤسسة دار البيان ــ ١٩٧٨م.

٩٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ــ محمد بن أبي بكر ابن القيم ــ تحقيق محمد حامد الفقي ــ الطبعة الثانية ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ١٩٧٣م.

٩٣- المستدرك على الصحيحين ــ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ــ بيروت ــ دار الكتب العلمية ــ ٢٠٠٢م.

٩٤- مسند الامام أحمد بن حنبل ــ أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ــ بيروت ــ دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ــ دون تاريخ.

٩٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للراعي ــ أحمد بن محمد الفيومي ــ دمشق ــ دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ــ دون تاريخ.

٩٦- معالم التنزيل ــ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ــ تخقيق عبد الرزاق المهدي ــ بيروت ــ دار إحياء التراث العربي ــ ٢٠٠٠م.

٩٧- معاني القرآن واعرابه ــ عبد الرحمن بن اسحق النهاوندي الزجاج المتوفي ٣٣٧هـ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت ــ عالم الكتب ــ ١٩٨٨م.

٩٨- المعجم الأوسط ــ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ــ عمان ــ دار الفكر ــ ١٩٩٩م.

٩٩- معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ــ دار صادر ــ ١٩٩٥م.

١٠٠- المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم ــ نبيل عبد السلام هارون ــ القاهرة ــ دار النشر للجامعات ــ ١٩٩٧م.

١٠١- معجم مقاييس اللغة ــ ابن فارس ــ الطبعة الثانية ــ بيروت ــ دار الفكر للطباعة والنشر – ١٩٩٨م.

١٠٢- المغني ــ عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي ــ مكتبة الرياض الحديثة ــ الرياض ــ ١٩٨٠م.

١٠٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ــ ابن القيم ــ ط٣ القاهرة ــ مكتبة حميدو ــ ١٩٧٩ م.

١٠٤- مفردات ألفاظ القرآن ــ أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ــ تحقيق صفوان عدنان داودي ــ الطبعة الثانية ــ دمشق ــ دار القلم،٢٠٠٢م.

١٠٥- المقتطف من عيون التفاسير ــ مصطفى الحصن المنصوري ــ تحقيق محمد علي الصابوني ــ القاهرة ــ دار الفكر ــ ١٩٩٦م.

١٠٦- مناهج البحث العلمي ــ أحمد حسن عساف ــ الطبعة الثانية ــ عمان ــ دار الأوائل ــ ١٩٩٩

١٠٧- المنتخب من مسند عبد بن حميد ــ أبو محمد عبد بن حميد ــ حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه السيد صبحي البدري السامرائي ــ محمود الصعيدي ــ بييروت ــ عالم الكتب ــ ١٩٨٨م.

١٠٨- المنطلق ــ محمد أحمد الراشد ــ الطبعة الثامنة ــ بيروت ــ مؤسسة الرسالة ــ ١٩٨٣م.

١٠٩- المواريث في الشريعة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ــ محمد علي الصابوني ــ الطبعة الخامسة ــ الرياض ــ دار الصابوني ــ ١٩٨٧م.

١١٠- الموسوعة العربية العالمية ــ تعريب تيرا دل فيوجو ــ الطبعة الثانية ــ الريــاض ــ موسعة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ــ ١٩٩٩م.

١١١- نظام الإسلام الحكم والدولة ــ محمد المبارك ــ ط٤ ــ دون مكان ــ دار الفكر ــ ١٩٨١م.

١١٢- النظام السياسي في الإسلام ــ محمد أبو فارس ــ عمان ــ المؤلف ــ ١٩٨٠م.

١١٣- نظم الدرر ــ البقاعي ــ بيروت ــ دار الكتب العلمية ــ ١٩٩٥م.

١١٤- النهاية في غريب الحديث والأثر ــ المبارك بن محمد الجزري ــ تحقيــق : طــاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي ــ المكتبة العلمية ــ بيروت ــ ١٩٧٩م.

١١٥- النهر الماد من البحر المحيط ــ أبو حيــان الأندلــسي ــ دار الفكــر ــ بيــروت ــ ١٩٨٧م.

١١٦- النية في الإسلام وبعدها الإنساني ــ عدنان علي النحوي ــ الرياض ــ دار النحــوي ــ ١٩٩٢م.

١١٧- الوجيز في تفسير الكتاب العزيزــ علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ــ دار القلــم ــ دمشق: ١٩٩٥م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تمهيد	
أولا: تعريف الفساد لغة واصطلاحا	١
الفساد لغة	١
الفساد صطلاحا.....	٢
ثانيا: الفساد في السياق القرآني	٣
ثالثا: الفساد بين الجاهلية والإسلام	١٩
الفصل الأول	
أسباب الفساد ومظاهره وآثاره كما يوضحها القرآن الكريم.....	٢٢
المبحث الأول : أسباب الفساد.....	٢٣
اتباع الهوى	٢٤
اعتقاد تعدد الآلهة.....	٢٧
ترك الجهد في سبيل الله	٢٨
ظهور المترفين	٣١
العلو والطغيان.....	٣٣
فساد الملوك	٣٥
طاعة المسرفين.....	٣٧
ترك الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين.....	٣٨
الفراغ مع وفرة الطعام	٤٠
المبحث الثاني: مظاهر الفساد وآثاره.....	٤٣
المطلب الأول: مظاهر الفساد وآثاره على الأفراد.....	٤٥
انحراف السلوك	٤٦
الندم عند الموت.....	٥١

عذاب القبر ٥٤
سوء المصير يوم القيامة..... ٥٤
المطلب الثاني: مظاهر الفساد وآثاره على الأمة..... ٥٩
سفك الدماء ٦٠
قطع الأرحام..... ٦١
انتشار الرذيلة..... ٦٤
فقد الأمن ٦٦
الفناء و الاستئصال..... ٦٧
المطلب الثالث: آثار الفساد الكونية..... ٦٩
القحط و الجفاف..... ٧٠
الكوارث و الدمار..... ٧١
اختلال النظام الكوني..... ٧٣

الفصل الثاني

أنواع الفساد كما يصورها القرآن الكريم..... ٧٥
المبحث الأول: فساد النية و القصد ٧٦
المطلب الأول: تعريف النية والقصد لغة واصطلاحاً..... ٧٧
المطلب الثاني: صور من فساد النية وأقوال العلماء فيها..... ٧٩
المبحث الثاني : فساد العقيدة ٨٥
المطلب الأول: فساد الاعتقاد في الإلهيات..... ٨٦
المطلب الثاني: فساد الاعتقاد في النبوات..... ٩٣
المطلب الثالث: فساد الاعتقاد في الغيبيات..... ٩٨
المبحث الثالث: فساد في السلوك و الأخلاق..... ١٠٢
المطلب الأول: فساد في المعاملات ١٠٣

المطلب الثاني: فساد في الشهوات و الرغبات ١٠٩

الفصل الثالث

صفات المفسدين ونماذج مختارة..... ١١٤

المبحث الأول : صفات المفسدين.....
١١٥

المطلب الأول : صفات عدوانية .....
١١٦

سفك الدماء ١١٦

الاعتداء على المال العام والخاص..... ١١٩

التطفيف ١٢١

ترويع الآمنين وقطع الطريق..... ١٢٢

أكل أموال اليتامى ومخالطتهم بنية سيئة..... ١٢٦

المطلب الثاني : صفات ذات طابع اجتماعي ١٢٩

قطع الأرحام..... ١٣٠

نقض العهود و المواثيق .....
١٣٣

البغض و الحسد.....
١٣٥

الغدر والخديعة.....
١٣٧

المطلب الثالث: صفات عامة..... ١٣٩

الاعتداد بالرأي..... ..... ١٤٠

التعالي وغمط الحق..... ١٤١

انحراف الأهواء..... ١٤٣

الصد عن سبيل الله..... .... ١٤٥
المبحث الثاني: نماذج مختارة من المفسدين ومصائرهم ١٤٨
المطلب الأول: أفراد اشتهروا بالفساد..... .... ١٤٩
النموذج الأول: النمرود بن كنعان ١٥٠
النموذج الثاني: فرعون..... ١٥٥
النموذج الثالث: قارون..... ١٦١
المطلب الثاني: أمم اشتهرت بالفساد..... ١٦٦
النموذج الأول: يأجوج و مأجوج.....
١٦٧
النموذج الثاني: قوم لوط.....
١٧٠
النموذج الثالث: بنو إسرائيل.....
١٧٣

الفصل الرابع

منهج القرآن الكريم في إصلاح الفساد..... ١٨٤
المبحث الأول: إصلاح الفساد بالتربية والتوجيه
المطلب الأول: إصلاح الفرد و الجماعة..... ١٨٥
الدعوة للإيمان بالله..... ١٨٧
مراقبة الله و كثرة الذكر..... ١٨٨
رجاء اليوم الآخر..... ١٩٠
الإحسان و فعل الخيرات..... ١٩١
تطهير النفس و تزكيتها..... ١٩٢
فتح أبواب التوبة ١٩٣
التعارف و التعاون على الخير..... ١٩٥

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر..... ١٩٨
إخلاص الولاء لله والبراءة من المشركين..... ٢٠٠
المطلب الثاني: إصلاح الدولة وإقامة العدل..... ٢٠٢
إصلاح الدولة..... ٢٠٣
إقامة العدل ٢١١
المبحث الثاني: إصلاح الفساد بالعقوبة الرادعة..... ٢١٥
المطلب الأول: عقوبة المفسدين في الدنيا ٢١٦
إقامة الحدود ٢١٧
الاستئصال والتدمير..... ٢١٩
عذاب الخزي ٢٢١
الندم وسوء الخاتمة..... ٢٢٢
المطلب الثاني : عقوبة المفسدين في الآخرة..... ٢٢٤
إحباط العمال..... ٢٢٥
الطرد من رحمة الله ٢٢٦
العذاب الأليم ٢٢٧
مضاعفة العذاب ٢٣٠
الخاتمة ٢٣٢
الفهارس
فهرس الآيات القرآنية..... ٢٣٥
فهرس الأحاديث النبوية..... ٢٤٨
فهرس المصادر والمراجع ٢٥٠
فهرس الموضوعات ٢٦١
ترجمة ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية .....